



رسائل سجين سياسي
في جيبته

الخراب

0816246

مصطفى طيبة

**رسائل سجين سياسي
إلى حبيبته**

الجزء الأول



سجن مصر
ليمان طره
تخشيبة الوايلي
معتقل القلعة
سجن الواحات الخارجة
ليمان أبو زعبل
تخشيبة مصر الجديدة
سجن الاستئناف
تخشيبة السيدة زينب
سجن المحاريق
سجن القناطر الخيرية

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

حبیبتی

هل تذكرين حديثك التليفوني معي في اول يناير عام ١٩٦٥ ؟

انا ما زلت اتذكره بالحرف الواحد .

- الاستاذ

- انا هو .

- متى خرجت من السجن ؟

- ٤ ابريل ١٩٦٤

- كم سنة مكثت في السجن ؟

- ١٢ سنة

- سجن أو اعتقال

- ١٠ سنوات سجن و ٢ اعتقال

- ولماذا لم تخرج بعد قضاء مدة العقوبة ؟

- من انت ؟

- صديقة .

- ما اسمك ؟

- وهل يهمك اسمي ؟

- ما حمت صديقة كما تقولين فيهمني ان اعرف اسمك .

- وهل تعرف اسم كل صديقاتك وأصدقائك ؟

- اظن ذلك والا اكون قد فحقت ذاكرتي .

- تواضع ماذا ؟

- واين التواضع هنا ؟

- انت فارس الاربعينات .

ومرت ثوان شهدت خلالها شريطا سينمائيا يسجل أحداث الأربعينات حتى يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ اليوم الذي اعتقلت فيه وهنا جاء صوتك يحمل رنة سخرية .

- لماذا توقف ارسالك ؟

- وحدث رنة الغضب في نبرات صوتي .

- هل تسخرين مني ؟

- ووصلت الى نبرات صوتك تحمل الاسف والاعتذار

- عفوا ، آسفة ، كنت امزح معك .

- واستمرت رنة الغضب في صوتي .

- هل انت من شباب الستينات الذين شطبوا على كل ما قدمناه لشعبنا ؟

- وجاءت نبرات صوتك تحمل أسفك للمرة الثانية .

- كلا ، كلا

- أبدا • أبدا • ولكن لنأى بعض الملاحظات • ومن واجبكم أن تسموها •
- هل مى ملاحظات أو أحكام مسبقة ؟
- « ولم تردى إلا بعد ثوانى - أدركت خلالها أنك فهمت ما اقصد »
- « معك حق هناك فرق بين ملاحظات قد تكون سليمة وقد تكون خاطئة ومن الضروري أن تناقش والا صارت أحكاما مسبقة تضر بالمسيرة •
- « ومريت لحظة عانت ذاكرتى خلالها الى الوراء •• الأربعينات والخمسينات والمسنوات الأربع فى الستينات •• ثم جاء صوتك يحمل رنة الصق •
- « أرجو أن لا أكون قد لست جانباً من مسيرتكم يثير حساسية خاصة عنكم •
- « أبدا • أبدا • من رأى أن هذا الجانب بالذات هو الذى يجب أن تعرفوه يا جيل المسنين •
- « ولماذا لا تكتبه ؟
- « أخشى أن لا التزم بالموضوعية التامة •
- « حاول •
- « حاولت مررت وفشلت •
- « ولماذا ؟
- « لأننى فرد ، جزء من ظاهرة كبيرة ومعقدة •
- « لكنك لست مجرد فرد •• كنت أحد البارزين من قادة المسيرة •
- « هذا هو بالتحديد الذى يشل تفكيرى عند محاولتى الكتابة فى هذا الموضوع •
- « ما العمل إذن ؟
- « اكتبى أنت :
- « وهل أملك قدرة الكتابة فى مثل هذا الموضوع ؟
- « نعم تملكن •
- « وجاء صوتك يحمل الدهشة كل الدهشة ،
- « أنا لا أملك إلا خبرة صغيرة •
- « الا تملكن الايمان بالشعب ؟
- « كل الايمان • ولكنى لا أملك أدوات البحث ومصادره •
- « ابحنى عنها وستجدينها •
- « أين ؟
- « عند الذين اشتركوا فى صنع المسيرة •
- « ولكنهم مختلفون •
- « الاموات فقط هم الذين لا يختلفون ••
- « كانت خلافتهم جذرية وعميقة الجذور •
- « ابحنى عن أسباب ذلك •

- أيسن ؟
- في كل ما يعملونه ويفعلونه .
- سيكون مجرد تسجيل .
- سجلي أولا ثم بعد ذلك يجيء دور التحليل .
- لا أم لك القدرة على التحليل .
- لا تفكرى في ذلك الآن . هيا ابحنى وستجدين معك آخرين يساعونك .
- هل تمنحني أن تكون أحد الذين يساعدوننى ؟
- ليس وعدا . بل التزاما .
- موافقة . ولكن بشرط .
- ما هو الشرط ؟
- ان تكتب ذكرياتك خلال ١٢ سفة سجن .
- موافق .
- ومتى تبدأ ؟
- حين أجد نفسى فى ظروف تساعدنى على الكتابة .
- وهل هناك ما يشغلك عن مثل هذا العمل الكبير ؟
- نعم .
- ما هو ؟
- ابحث عن شىء صادق .
- هل انت متسائم ؟
- بل فى غاية التفاؤل .
- امنت أفهم .
- لا تتمجلى . غدا تفهمين .
- هل تساعدنى على الفهم ؟
- اعدك ولكن بشرط .
- ما هو ؟
- ان تبدئى أنت فى تسجيل تاريخ الاربعبينات .
- سأبدأ بالبحث عن فرسانها .
- أو لست أنا أحد فرسانها . كما تقولين ؟
- نعم . ومن فرسانها البارزين .
- اذن نلتقى .
- كل لقاء له شروط
- وما هى شروطك ؟
- ليست شروطى ولكنها شروط الحياة .
- وساد الصمت لحظة دار خلالها بيننا حوار صامت لكنه ، كان
- اعق من كل حوارنا السابق المسومع

ومنذ ذلك التاريخ قمت بمحاولات عديدة كي اكتب ، وفشلت في
كثرت لا اعرف لماذا ظلت اعلق نجاحي في الكتابة على لقاء
فرحت ابحت عنك عند كثيرات ولم اجدك . لم اجد الصورة التي
خلال حديثك التلفزيوني معي وبعده . ومضت السنوات تجر
السنوات وكانني اسير وراء سراب ، حتى التقيت بك ، وعرفت .
انني كنت ابحت عن لحظة صدق هي اشبه بالسراب في عالم
بالزيف والتفاسق .

ورغم ان هذه اللحظة قد اعادت الي الثقة في قدرتي على
ومنحتني الشجاعة كي اكتب كل ما اعرفه عن الحقيقة ، فانني لم
غير جزئ ، منها لأسباب موضوعية لم تكن مطروحة منذ ١٢
يوم وعدتك يا حبيبتي بان اكتب .

ولقد حاولت كل جهدي ان اتجنب ما يمكن ان يلوي البعض
ليضعه في خدمة الفئوى المشووعة ، وفي نفس الوقت كنت مو
قدر استطاعتي - عندما تعرضت لعدد من المواقف السياسية ،
لبعض قيادات « التنظيمات » . فاعزى لفلان حين تناولها
بسخريه مريرة . . ولا ترفض اجتهداه عندما طرح تساؤلات
القضايا النظرية . واحسب انه قد ان الأوان كي تعرف الاجيا
حقائق فترة خصبة في تاريخ مصر .

الرسالة رقم ١

حبيبتي

اللحظة الصافقة التي بحثت عنها ١٢ سنة ، أعيشها اليوم بكل
كيساني . ومن هذه اللحظة أستمد الثقة في قدرتي (على الكتابة)
وأبدا بيوم خروجي من السجن في ٤ أبريل ١٩٦٤ : بدأت رحلة
الافراج عن آخر دفعة من المعتقلين الشيوعيين يوم ٤ أبريل ١٩٦٤
نقلتنا السيارات من سجن «الخاربيق» القابع في قلب الصحراء بالولايات
الخارجية الى أسيوط ، ومنها بالطيار الى محطة تكتات الجيش بالمباسية .
لن احك كيف تم « شحننا » . . وأحسب ان طريقة « شحن » الحيوانات
أفضل بكثير من الطريقة التي « شحننا بها » . ولم تكن هذه هي مشكلتنا
فنحن على أي حال في طريقنا الى « الحرية » . فبل ذلك حين كانوا
« يشحنوننا » من سجن الى آخر كنا نحتج ونرفض هذه المعاملة الانسانية
أصلا في ان نجد معاملة أكثر انسانية في السجن « المشحونين » اليه .
لكن هذه المرة كانت مشكلتنا من نوع آخر هي مشكلة حياتنا في ظل « الحرية »
كنا أكثر من ٧٠ شخصا . في طريقنا الى الحياة التي نبحث عنها
سنوات طويلة وصلت الى ١٢ سنة بالنسبة للبعض ولم تقل عن ٥ سنوات
للبيعض الآخر . وبالطبع كان لكل واحد منا مشاكله الخاصة ولكننا
كلها تصب في مشكلة واحدة هي « لقمة العيش » . فالجميع ، عمالا ،
وفلاحين وطلبة ، ومنقفيين وأساتذة جامعات ومدرسين ، فصلوا من أعمالهم
منذ سنوات . والبعض يستطيع مواجهة حياته الجديدة بحكم وضعه
الاجتماعي . وقتا طالا أو قصر ، غير انه بالتأكيد سيجد « لقمة العيش »
والبعض - بحكم وضعه الاجتماعي ، أن يستطيع مواجهة الحياة الا أياما
محدودة تحديدا قدرات عائلاتهم المأهولة المحدودة . بعدما ستكون لقمة
عيشهم صعبة وعسيرة . وغير هؤلاء كان هناك من يبحث عن المكان
الذي سيقضى فيه أياما محدودة يبحث خلالها عن أحد من اهل أو اقاربه
فقط كي يأويه ليلا بعد البحث بالنهار عن « لقمة العيش » التي لا يدرى
متى سيحصلها ، ان وجدها ، فهناك من لم يجدها حتى اليوم الا في شكل
أبشع أنواع الاستغلال . هكذا راحت « الفرحة » وجاءت « الفكرة » .
ولدت « فرحة » عنا خلال الوقت الذي استغرقته رحلة السيارات

من سجن المحاربين إلى أسبوعاً • وجاءت « الفكرة » بعد ركوبنا القطار المتجه إلى القاهرة • وفي محطة العباسية وضع الجميع أمام « الحضة » ! ارتفع صوت الضابط قائد الحرس يقول :

– التي بيته في القاهرة وضواحيها يركب العربية دي ، ودي • واللي بيته في المحافظات الأخرى يركب العربية دي ، ودي •
ركب الجميع عدا ثلاثة زملاء لم يركبوا السيارات • سألهم الضابط ، عن سبب عدم ركوبهم • لم يجب أحد منهم • ذهب إلى الضابط وهمست في أذنه :

– الثلاثة الزملاء ليست لهم عناوين معروفة في مصر كلها •

قال الرجل بصوت خافت وبثأثر شديد :

– ما العمل ؟ ليس أمامي إلا أن أسلمهم لسجن الاستئناف حتى يعبروا على محال إقامتهم •

– صبروا •• سنجد حلاً •

وانتظر الرجل والدمعة تكاد تقفز من عينه • والجميع ينتظرون تحرك السيارات وهم لا يعرفون سبب عدم تحركها ، ولا سبب عدم ركوب الزملاء الثلاثة • كنت الوحيد تقريباً الذي لم يفاجأ بهذا الوضع • ربما لأن صلتى بجميع الزملاء من مختلف الاتجاهات على مدى ١٢ عاماً لم تكن مجرد صلة سياسية وإنما كانت صلة إنسانية في مظلمها ، مثبات المشاكل التي واجهت مثبات المسجونين والمعتقلين كان لا يعرفها أحد غيري • ساءمت في حل بعضها بما يتفق مع الظروف العامة والخاصة ، لكن البيض الآخر كان مستعصياً على الحل ، منها هذه المشكلة • ناديت على أحد الزملاء المقتدرين وطلبت منه أن يجد للزملاء محلاً لسكنهم حتى يديروا أمر إقامتهم • وركب الزملاء الثلاثة سيارة الذين يعيشون في القاهرة ! أما كيف عاشوا هم والآخرين •• فتلك قصة سأحكيها لك في رسالة أخرى • عندما أكتب عن ١٢ سنة بعد خروجي من السجن •

تحركت السيارات وكنت في إحدى سيارات الذين يعيشون في القاهرة بالطبع لم تكن وجهة السيارات هي العناوين المختلفة لركابها وإنما كانت تتجه إلى أقسام بوليس أحياء العاصمة حيث يتم إجراءات الإفراج بعد التأكد من محل السكن لتنفيذ باقي العقوبة ! نعم يا حبيبتي باتسي العقوبة ، وهي « المراقبة » • أنا مثلاً كان الحكم الذي صدر ضدي هو ١٠ سنوات أشغال شاقة ، و ٥ سنوات مراقبة – طبعاً السنيتين الزيادة كانوا اعتقال – وعلى فكرة عدد شهور السنة بالنسبة للقاتل وتاجر المخدرات وماتك المرض واللص ٩ شهور فقط وفقاً للائحة المسجون ، أما بالنسبة لمسجون الرأي فهي ١٢ شهراً بالتعلم والكمال ، فقد

نهبوا في عام ١٩٥٥ الى أن أصحاب الرأي اخطر من أعتى المجرمين. فاستنفذوا المسجونين السياسيين من قانون السجن ! معنى هذا اننى قضيت في السجن ١٢٠ شهرا بدلا من ٩٠ شهرا ثم تفضلت مباحث أمن الدولة باستئنافى ٢٤ شهرا أخرى ، فيكون المجموع ١٤٤ شهرا وكان يمكن ان يمد الى البقية الباقية من عمرى لولا قرار الرئيس الراحل، عبد الناصر بالافراج عني . والافراج لم يكن يعنى اسقاط العقوبة وبالتالي كان على ان انفذ بقية العقوبة بأن اتواجد في مسكنى ابتداء من غروب الشمس حتى شروقها . والمراقب معه دفتر يوقع عليه شرطى بما يثبت وجود المسجون في بيته . وطبعا من حق هذا الشرطى - حرصا على أمن الدولة - ان يوظف « المراقب » فى أى وقت من الليل ليتأكد من وجوده ! ولك ان تتصورى يا حبيبتى حالة المراقب المسكين حين يرتفع صوت غليظ منى عز الليل ليوقظه ويجبره على النزول الى حيث ينتظره الشرطى على الباب الخارجى للمنزل ليوقع له على الدفتر مرة ثانية وربما ثالثة ورابعة حسبما يرى رجل مباحث أمن الدولة !

وهل تعرفين يا حبيبتى عقوبة الهرب من حكم المراقبة ؟ السجن مرة أخرى وقد يصل الى الحكم بقضاء مدة المراقبة فى السجن ! ولقد حاولوا هذا معى بعد خروجى من السجن بأسبوع واحد حين جاء زوار الفجر ليقبضوا على بتهمة الهرب من المراقبة الليلية . فى تلك الليلة لم يات الشرطى كالمتاد فى كل ليلة . ولما وصلت الساعة الثانية عشرة مساء توجست شرا تبته لى مباحث أمن الدولة ، فطلبت من بعض الاصدقاء الذين كانوا فى زيارتى ان يذهبوا الى القسم ويتبثوا فى محضر انفى موجود فى المنزل وأطلب حضور الشرطى ليوقع على الدفتر . وكان هذا المحضر هو السند القانونى الذى استند اليه المحامى الذى تطوع للدفاع عنى عند محاكمتى وأفرج عنى القاضى ولكن بعد ان قضيت ٤ ايام فى سجن الاستئناف وتسمى « الشخصية » وكانت أفضل على أى حال رغم قسوتها من ٥ سنوات أخرى .

وقد اعترف رجل المباحث (٠٠) فى الداخلية بأن هدفهم كان بالفعل هو عودتى للسجن لفضاء السنوات الخمس ! ثم اعترف لى بعد ذلك أنهم حاولوا مرة أخرى معى ومع عدد من الزملاء تلميح تهمة الهرب من المراقبة لولا صدور قرار الرئيس الراحل جمال عبد الناصر باسقاط العقوبة عن كل الشيوعيين الذين أفرج عنهم . اذكر اننى فى اليوم نفسه الذى صدر فيه هذا القرار خرجت لأجوب كل شوارع القاهرة سيرا على الأقدام طول الليل . وكانت هذه أول مرة أرى فيها ليل القاهرة بعد انفى عشر عليها ونصف !

أعود بك الى ٤ أبريل ١٩٦٤ ، يوم خروجى من السجن وعودتى اليه مرة أخرى فى اليوم نفسه .

قلت لك اننى زكيت سيارة الفين يعيشون فى القاهرة واودعوني مع عدد من الزملاء فى قسم بوليس السيدة زينب • لم يكن لى مسكن خاص، فبعد حوالي ٦ سنوات اتفتحت مع زوجتى « الايطالية » على الانفصال ففى لم تعد تحتل مطارتها فى رزقها • وانا من ناحيتى لم اكن ارى شعاعا واحدا من امل الخروج من السجن • بل انسى فى السنوات الاخيرة وطحت نفسى على اننى ساقضى ما بقى من عمري فى السجن • وبالطبع استبقيت الذهاب الى منزلى السابق • لم يبق املنى غير ثلاثة امكنة فى القاهرة • الاول فى شبرا حيث يسكن أحد أخوتي الكبار •• لكنه قاطعنى تماما منذ أكثر من ٨ سنوات خوفا على عمله وعلى بيته ، فانقطع تماما عن زيارتى • وأخى الثانى وهو أكبر منى أيضا - رحمه الله - كان يسكن فى طره بجوار السجن الذى قضيت فيه ٤ سنوات ولم يفكر أبسدا فى زيارتى منذ قبض على - ولم يبق املنى غير منزل أخى الصغير - رحمه الله - كان صديقى وزميلى وعرف السجن أيضا ثم أثر السلامة بعد خروجه من السجن عام ١٩٥٥ لكنه تزوج وأنجب طفلة خلال وجودى فى السجن ، ولا اعرف مدى استعداد زوجته لاستضافتى • وقررت أن انتظر الى الصباح كى اعطى نفسى فرصة للتفكير أكثر وارسل من يتحسس الموقف عند الاخوة الثلاثة • ولما طلبت من الضابط النوبجى ذلك فوجئت بقسوله :

- لا استطيع ان اتحمل بقاءك هنا حتى الصباح • قلت له مشكلتى •• وتائر الرجل وقيل مشكورا ان يستضيفنى فى مكتبه حتى الصباح • كان شابا له صلة بالسياسة واهتماما بها • وبينما نحن فى حديثنا اذا بأخى الصغير مسعد • رحمه الله • أمامنا فى المكتب • لقد راح منذ الصباح يسأل عنى فى أقسام الشرطة حتى عرف من بعض الزملاء اننى هنا فى قسم السيدة زينب • لن انسى ابدا اللحظات الأولى لهذا اللقاء الانسانى بعد أكثر من ٨ سنوات لم يستطع خلالها أن يزورنى فى الواحات ، فالزيارة فى الواحات كانت تكلف مالا يقل عن ١٢ جنيهها أجور مواصلات فقط • يضاف اليها مصاريف البيت فى اسبوط وثمن بعض لوازم الزيارة !

قال :

- صدفة عظيمة جدا •

- ما مى ؟

قال - رحمه الله - والدعوى تسيل من عينه :

- اليوم ٤ ابريل عيد ميلاد ابنتى وذكرى زواجنا •

- كل سنة وانت طيب يا مسعد • ثلاثة مناسبات سعيدة فى يوم واحد !

حقا لما ينسد القسى تيجى له عشوتين فى ليلة واحدة •

كان مسعد يسكن في مصر الجديدة قريبا من مسكني السابق . وكان على أن نذهب في حراسة أحد الشرطة الى قسم مصر الجديدة لعمل إجراءات المراقبة ، وحيث يجري تنبيهه لطريقة تنفيذ عقوبة « المراقبة » . الطريق من السيدة زينب الى مصر الجديدة يستغرق حوالي ٤٥ دقيقة بالتاكسي . خلالها تحدثت معه في أمور كثيرة ، أبى الذي مات في أحد الملاهي !! تصوري، مات في ملجأ لأنه لم يطق الحياة مع أي من أولاده ! وأخسى التي مرضت بسبب القبض على عام ١٩٥٢ وقال لها الأطباء ان شفائها بصدمة أخرى وإكبر مفرحة ، وظلت المسكينة تنتظر ابويها ١٩٦٢ - تاريخ انتهاء المسرة سنوات - ولما اعتملت ولم أخرج كما كانت تتوقع ماتت المسكينة بعد يومين من عودتي الى السجن ! والخلافات بين الأخوة وكيف وصلت الحالة بينهم الى درجة بالغة السوء . و . و . وتصبحت أمامي مشاكل بلدينا ومجتمعنا بالنسبة لقطاع محدود الدخل . وشعرت فجأة بصداق شديد لم يفارقتي الا بعد ان تناولت أسبرين وفنجان شاي في مكتب الضابط النوبنجي بقسم مصر الجديدة . بعد أن هنأتني الضابط بكلمات تقدير ومشاعر إنسانية اعتذر عن عدم امكانه اتمام الاجراءات اللازمة لخروجي الليلة لأن الموظف المختص غير موجود . لم أعلق . لكن مسعد همس في أذنه بكلمات ترجوه ان أحضر معه خذلة عيد ميلاد ابنته . وسمح لنا الرجل بالذهاب الى الخذلة بشرطين : الأول ان يأتي معنا الشرطي الحارس . والشرط الثاني أن أعود الى القسم قبل الثامنة من صباح اليوم التالي . وطبعاً قبلنا الشرطين وشكرناه .

المسافة بين قسم البوليس ومنزل اخي مسعد لا تستغرق أكثر من ٥ دقائق ، خلالها همس مسعد في أذني :

- ميمي « زوجتي السابقة » تنتظر منك الموافقة على حضورها الخذلة .
- وما رأيك انت ؟
- انها لم تسك لحظة واحدة
- ولولدها كيف حالهم ؟
- الابن في كلية الطب ، والبنات موظفة .

توقفت عن السير بحجة انني أبحث عن شيء وقع مني . ولما استأنفت السير ظلت صابئة حتى وصلنا الى الباب الخارجي للمعارة التي يسكن فيها . قال :

- هل ارسل من يطلب ميمي ؟

لم يسمع مني جوابا ، وإنما سمع بكائي المتشنج . لم اعرف لحظتها
لماذا بكيت كالأطفال . بعد أقل من نصف ساعة قضيتها في جو غريب
عفى ، جو لم اعرفه منذ شبابي المبكر ، شعرت وكأنني لا انتمي
إلى هذا العالم . وظلت بالسجن مرة أخرى ! بل إن نفسي لم تهدأ
إلا بعد أن عدت مرة أخرى إلى سجن قسم مصر الجديدة . هل تصدقين ؟
هنا ما حدث .. احكيه لك في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

• يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٧

حبيبتي

كان صوت الموسيقى الراقصة « يطن » في اذني وأنا ما زلت عند باب العمارة . أخذت أصعد السلالم ببطء شديد ، توقفت مرات ، ونسي كل مرة كان الشرطي يمسك بذراعي . . كي لا أصرب ! على باب الشقة طلبت من أخى أن يغمض عيني من حضور هذه الحفلة . لم يجب . . واحتواني بين ذراعيه وأخذ يقبلني . وجاء صوت نسائي لينتزعني من هذه اللحظة الانسانية .

- أهلا وسهلا . . حمد الله على السلامة .

« لابد أن هذه السيدة زوجة أخى » . حدثني عنها كثيرا في خطاباته القليلة إلى في السجن . هذه الابدانة التي تملأ وجهها لم تبعد احساسى ببرودة صوتها وهي تحييني ولا برودة يدها وهي تسلم على . معذورة . عليها أن تقوم بالواجب أرضاء لزوجها . لكن أخى حدثها عن كثير . . هكذا كتب إلى في خطاباته ! . أغلب الظن أنها لم تعهم شيئا مما قاله . سكنت الموسيقى فجأة واتجهت كل أنظار الحاضرين إلى هذا المشهد الغريب . أحد المدعوين يتقاط ذراعه شرطي . منظر يستحق الفرجة . همس يدور ، وزوجة أخى تتركني لتنتقل بين المدعوين لتفسر لهم الحكاية . هكذا أصبح فرجة على آخر الزمن . لماذا لم تعطهم فكرة يا مسعد ! لكن المسكين لم يكن يعرف . . ولوتفتت أصوات :

- حمد الله على السلامة .

- أهلا وسهلا .

وعادت الموسيقى تصدح مرة أخرى . الضيف عرفوا الحكاية عادوا إلى الرقص . والضيف لم يعرفوا بعد يتهايمسون قلبا مع زوجة أخى ثم يعودون إلى الرقص . وراح المصور يلتقط لي صورة كثيرة . . على باب الشقة . وبين المدعوين ولثاء جلوسى . وكان الشرطي الحارس حريص على أن يظهر معي في الصورة وهو ينادي ذراعى . انسا لا احب الاضواء لا كما يقولون في الاذاعة والتلفزيون والسينما ، ولكن لأن الباحث كانت حريصة جدا على أن تلتقط لي صورة عديدة من كل الجهات ، وفي كل مناسبة وكانت المناسبات كثيرة . . يوم قبضوا على . . وعند نقلى من سجن إلى آخر . . وما أكثر السجن التي تنقلت بينها ! وكانوا يطبعون هذه الصور بالمشراش . . لتوزع على جميع أقسام بوليس الملكة المصرية

ثم - جمهورية مصر - ثم الجمهورية العربية المتحدة - ا فيسوم دخلت
السجن يا حبيبتى كانت مصر ما زالت « مملكة » .. ومكنت به ١٢ عاما
ومى « جمهورية مصرية » ثم « جمهورية عربية متحدة » !
كميات كبيرة من المندوبيتشات والجاتوه والمربطات وضعوا امامى ..
اول مرة منذ غادرت قسم السيدة زينب مروراً بقسم مصر الجديدة ،
حتى وصولى المنزل ، لم تترك يد الشرطى اليمنى يدى اليسرى الا ليتفرغ
للاكل ! لكنه كان بين كل مانتوبيتش وساوندوبيتش يتخصصنى ليطمئن على
وجود وديمته ! رغم اننى استحق الشفقة فقد اشفت حقيقة على اخى
مسعد . كان المسكين يجلس الى جانبي لحظة يرحب بى ويعزم على بالاكل
ثم يذهب الى مدعويه وهكذا ..

« مالى انا وهذا للمام » ١٢ سنة يا مصطفى لم تر خلالها لحما ابينى
لم تسمع صوت اموات . لم تكلم يدك يد اموات . عيناك لم تر غير
لون الزنزانة الاصفر .. ولون الصحراء .. الاصفر . وانذاك لم تسمع
سوى اصوات « بروخى » حرس السجن - والسلاسل التى يقيدونك بها ..
تسمع صوتها فى نومك ويقظتك وحتى عندما كنت تستحم ! هكذا تنقل
فجأة من الموت الى الحياة .. واى حياة ؟ كاد راسى ينفجر .. هاجمنى
الصداغ .. صرخت ..
- اسيرين ..

توقفت الموسيقى وعادت بسرعة بعد ان تناولت الاسبرين من فتاة
كانت تجلس الى جانبي طول الوقت .. كانت صامتة ولكن نظراتها
ودودة .. وابتهاماتها حسوة ..

« هذه الفتاة من تكون ؟ ربما ابنة اخى الكبير . ان له ولد وبنتين .
يوم حظت للسجن كان احمد فى الثانوية العامة . وكانت آمال فى الاعدادية
واميرة فى الابتدائية ! اغلب الظن انها آمال . هل اسألها ؟ لا داعى .
لكن مى بالقطع ليست ابنة أحد من اخوتى الآخرين ، ومى ايضا ليست ديدى
بنيت اختى - الله يرحمها - فقد ولدتها وأنا فى السجن ، وهذه الفتاة لا يقل
عمرها عن ٢٢ عاما . ربما تكون « تيتى » بنت زوجتى السابقة ..
يا سيدى لا تتعجل الامور . بكرة تصرف كل حاجة ،
راسى يتأكل .. اشعر برغبة شديدة فى النوم فقد انهت جسدى
تماما .. ورجت فى اغلاله .. وحطت .. نعم حطمت ..

مازالت انكر كل تفاصيل هذا الحلم البعيد . سلاحك لك يا حبيبتى
بالتفصيل . الفتاة التى كانت تجلس الى جانبي تقول لى وابتهاماتها
الودودة لا تفارقتها ..

- انا لست قريبتك يا مستألا ...

- غنوا .. وهل سالتك ؟

- تعبيرت وجهك كانت تسال

- تقرئين انكسارى ؟
- اقراها .. وأومن بالامام منها .
- لا زلت صغيرة ؟
- وانت .. ألم تبدأ فى مثل عمري ؟
- يبحو انك تعرفين على الكثير ؟
- لست وحدى .. كثيرون يعرفون .
- كيف ومتى ؟
- كما عرفت أنت الذنب سبقوك ؟
- عرفناهم من الكتب والصحف .
- ونحن كذلك .. ولكن ازيد عليك .. فأتنا اعرفك شخصا .
- شخصا ! انت فى عمر ابنتى لو كان لى بنقا .
- كنا جيرانك حين أتوا للقبض عليك
- اذن كان يجب ان اعرفك .
- تسكت الفتاة لحظة ثم تقول :
- كنت طفلة .. وكان عمري ٨ سنوات .. وكانت زوجتك ،
- وما زالت تحبني ..
- لم تنسك لحظة واحدة ..
- واصرخ قائلا وبضحكة مستيرية
- لم تنسنى لحظة .. سيدى باسدى .
- تأخذنى الفتاة بين ذراعيها .. تهدمنى كالطفل وتقول :
- انها تحبك .. صدقتى .
- اصرخ مرة أخرى وأقول .
- لكنها قتلت ابنتى .. اسقطته وهو جنين .. كان عمره الآن ١٣ سنة .
- ادركت خطاها ! .. وهى تريد طفلا منك .
- بعدها .. تصرف نظرا .
- وتعود الفتاة الى مدهمتى كطفل رضيع :
- انها تنتظرك .. صدقتى انها تحبك .
- انا لا احبها وام لها فى جداتى .. لن ترانى ابدا .. ابدا .
- لماذا تزوجتها انى ؟
- كان من الضروري ان استيقظ من النوم . فهذا السؤال لن أجده
- جوابا فى حلمى او فى يقظتى واستيقظت على صوت رقيق شذى .
- فيه حد ينال ليلة الانراج عنه ؟
- اخذنى عبد السلام هاشم وهو الاخ الاصغر لصلاح هاشم زميل الدراسة
- وزميل السجن . تركته فى سجن الحارثى فهو من بين المحكوم عليهم الذين
- لم ينهوا مدة العقوبة مثلى . حكم عليه فى نفس قضيتى بـ ١٠ سنوات
- (٢٢ - رسائل)

سجن • ثم حكم عليه بثلاثة سنوات أخرى وهو فى السجن ! وتهمته
أنه قاتل مظاهرة من طلبة الجامعة عام ١٩٥٤ حين خرج لتأدية امتحان
هناك • لم يكن وحده الذى قاد مظاهرات فى الجامعة • كان غيره
كثيرون صدرت ضدهم أحكام أيضا • ولذلك صدر قرار بحرمان
المسجونين الشيوعيين من الدراسة وبالتالى من الخروج للامتحان •

قلت وأنا ما زلت فى حالة نوم

- والله كبرت يا عبد السلام •

- ومخى كبير كمان •• مالك ؟

- قرفان تعالى ننفزل •

- نسروح فين ؟

- نقعد على قهوة •• علوز أشوف الناس •• والشارع ••

ولكن رغم احساسى باللفة أكثر مع جو القهوة بصخبها وضجيجها
فلم أستطع أن أمكث أكثر من نصف ساعة بعدها شعرت بحنين شديدا
للمودة الى السجن •• وذهبت مبكرا الى سجن قسم بوليس مصر الجديدة
وهناك شعرت بأننى عشت الى موطنى ! عشت الى أهلى !! وهذه قصة
أخرى •

أحكيها لك فى رسالتى المقبلة يا حبيبتى •

٧ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٣

حبيبتي

مازلنا فى يوم ٤ إبريل ١٩٦٤ - يوم الإفراج عنى •
عدت الى سجن « التخشبية » بقسم مصر الجديدة بعد مالا يزيد عن
« ساعتين » قضيتها فى حفلة عيد ميلاد بنت أخى ثم احد المقاهى الشعبية •
ما ان وطأت قدمى أرض « التخشبية » حتى ملأنى الاحساس بالامان !
تصورى يا حبيبتي •• احسست بالامان مع اللصوص والنصابين
والقوادين •• الصغار طبعا •• فالكبار لا يأتون هنا •• ومع المتسولين
والشردين و ••

الامان داخل « حجرة » أرضها مكسوة « بالزفت » وخليط من « بصاق »
النزلاء وبولهم •• وبرازهم •• فهى للنوم •• و « لقضاء الحاجة » فى
نفس الوقت ! وجدران « التخشبية » يلطخها خليط من دم البشر ، ودم
الحشرات • فمن النادر ان تمر ساعة واحدة دون ان تحدث « خنافة »
بين النزلاء تستخدم فيها الامواس والمطوى • كما لا يمكن ان يعيش
« الانسان » لحظة واحدة فى هذه « التخشبية » دون ان - يقتل مئات
من حشرة « البق » تلك التى تنافس الانسان فى امتصاص دم أخيه
« الانسان » !

لماذا يسمون هذه الحجرة « التخشبية » ؟

ربما لأن البشر يكسسون بها كما يكس الخشب فى المخازن !
هذا هو الأرجح •• فقد رحت أبحث عن مساحة أتف عليها داخل هذه
« التخشبية » •

- اتفضل يا بيه هنا ••

- لا بابيه تعالى هنا ••

وكادت تحدث خنافة تستخدم فيها كالمادة الامواس والمطوى لولا
تدخل « المعلم » ••

- بس يا واد أنت وموه •• سيب « الايراد » ده ليه •• اتفضل هنا
يابيه ، وأشار الى مكان بجانبه •
- ألف شكرا معلم •
- جاي فى ايه يا بيه ؟

نظرت الى الساعة فلم أجدها ، تحسست المحفظة فلم أجدها ، والقلم
الباركر أيضا لم أجده لم أجب .. وضعت الاكل الذي كان فى يدي
على الارض .

- اتفضلوا يا رجالة .

ما كاد الرجال بهجمون على الاكل حتى صاح فيهم « المعلم » :

- اسننى باواد أنت وهوه ..

نراجع الجميع ووقفوا ينتظرون أوامر المعلم .

- يا ولاد ، الكلب ، بقى برضه أحنا ولاد بلد نفهم الأصول . اسمع
يا بيه أنت بابن عليك ابن ناس أنت عرفت ان حاجتك اتلطشت منك ، ومع
ذلك تعزم علينا بالاكل الحلو ده .. يا واد يا عبده هات حاجات البيه ..
يتناولها من « عبده » ويعطيها لى :

- اتفضل يا بيه آدى الساعة ، وآدى القلم ، وآدى المحفظة . فيها
خمسة جنيه أعم .

- متسكروى .. اتفضلوا ..

- متسكرين يا بيه .. طوقت نقدر ناكل معاك عيش وملح .
« لم ينسوا القيم الشعبية .. أكل العيش والملح يعنى الأمان .. ان
لا تخن من أكلت معه .. اللصوص الصغار دفعتهم ظروف المجتمع الى
السرقة من أجل أن يعيشوا . لكن اللصوص الكبار .. نجنوم المجتمع ..
غارقون حتى رؤوسهم فى بحار الخيانة .. خيانة الناس .. وخيانة الوطن ،
واستمرت جلستنا حتى الصباح .. يسالون ولجيب على أسئلتهم ..
نظراتهم تفيض مودة وحبا .

قال أحدهم :

- يا بيه أنت صحيح بنى آدم ..

قلت ضاحكنا ..

- .. هو مش كل الناس ولاد آدم ؟

- لا يا بيه .. فيه ناس ولاد الشيطان .. بيعاملونا زى الكلاب .

- الحكاية مش حكاية ولاد آدم ولا ولاد الشيطان .. انما هى حكاية
الانسان « ووجت نفسى اتكلم باستفاضة وبأسلوب بسيط عن استغلال
الانسان لأخيه الانسان .. كيف ؟ ولماذا ؟ والطريق الى القضاء على
الاستغلال » .

ويسال أحدهم :

- والاشتراكية دى يا بيه تدبنا الفرصة اننا نعيش زى البنى آدميين ؟

- طبعاً .. الاشتراكية تدى للفرصة لكل انسان أن يعمل وينال حقه

- زى ما عبد الناصر بيتقول ؟

- تقريبا ..

تعرفين يا حبيبتي اننى دخلت السجن قبل ثورة يوليو بأسبوع واحد ..
ولم أشهدهما الا فى ٤ ابريل ١٩٦٤ .. ولكن كان لى موقف مختلف تماما
عن مواقف زملائى حين كانوا خارج الاسوار وكان مختلفا ايضا عندما
قبض عليهم فى يناير ١٩٥٩ .. وسأحكى لك عن ذلك فى رسائلنى المقبلة .

١٠ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٤

حبيبتى

طلع على صباح يوم ٥ أبريل وأنا مستغرق فى حديث منذ المباشرة مساء اليوم السابق مع فزلاء « تخشبية » قسم شرطة مصر الجديدة • ولقد عرفت « التخشبية » مرتين ، كانت المرة الاولى فى « تخشبية » قسم شرطة لواءى يوم قبض على احمد حلمى رئيس المباحث العامة « البوليس السياسى سابقا » فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ ، فقد اودعنى هناك لحسابه حتى انتقل الى سجن مصر لحساب النيابة العامة • فى ذلك اليوم حذر احمد حلمى مأمور القسم من خطورتى على المواطنين ! وطلب أن أسجن فى غرفة انفرادية • واحتار مأمور السجن ، ماذا يفعل ؟ ليس فى القسم غير غرفة للرجال وأخرى للنساء ، فابن يضئنى ؟ وأخيرا وجد الحل •• غرفة النساء ليس بها سوى اثنتين وهى تبعدين عن غرفة الرجال •• فوضئنى فى طرفة صغيرة تطل على غرفة النساء •• ولكن ظلت مشكلة هى أنه يمكن الحديث مع النساء المسجونات من شبك واسع لفرفتهن •• ولم يكن أمامه من حل خوفا على المراتين سوى أن يندبهما الى خطورتى • وبعد أن أغلق بنفسه باب غرفة النساء •• وتأكد من اغلاق باب الطريقة •• وبعد اعطاء التعليمات المشددة للحراس بان لا يتصل بى أحد والتنبيه الى أى حديث يجرى بينى وبين المراتين •• انصرف مطمئنا !

ويبدو ان تلك الاجراءات والتنبيهات المشددة أثارت فضول المراتين فبعد دقائق قالت أحدهن :

- أيه الحكاية يا بيه •• أنت جاي فى أيه •• أنا عمري ما شفت كده •
- وانتي بتيجي هنا كثير ؟
- مرة كل أسبوع •• مرتين •• حسب الأحوال •
- لم أفهم ما تقصده •• فلم أرد عليها •• فقالت بفضب ،
- أيه يا فندى ما بتدريش على ليه •• مش قد القام والا أيه ؟
- وتدخلت المرأة الأخرى •
- يا أختي •• حيلك على البيه شوية •• ده باين لبن ناس ومش فاهم •
- قلت وابسمامة خفيفة على وجهي :
- الحقيقة مش فاهم •

قالت نفس المرأة :

- مش يا بول - والنبي ده ابن ناس .. شوفى ضحكته يا روحى عليه

قالت الاولى :

- آه والنبي .. ضحكته حلوة .. يحملك لشبابك .

- الله يخليكي .. لكن .. بتبجي هنا كثير ليه ؟

- لما تشحط وما اقدرش ادفع المعلوم

« ويبعدو أن وجهى لم يستطع اخفاء الاحساس بالآلم والاسمئزاز » .

قلت :

- آيه ابدأ ما فيش حاجة .

قالت بغضب :

- آيه يعنى احنا ولاد ناس برضه .. بس الزمان االى حكم علينا ..

ولقصة العيش مرة .

« لقد حسبت المسكينة اننى احقرتها .. كما يحقرها حتى اولئك الذين يستمتعون بها لرضاء لشهواتهم الحيوانية » قلت معتذرا :

- وحياك يا ستى انت فهمتى غلط .. انا زعلان علىسانك !

وتدخلت المرأة الثانية

- والنبي ماليكى حى يا سيه .. شوفى صوته فيه حنية قد آيه !

قالت الاولى :

- متأسفة يا بيه والنبي انت طيب وبابن عليك خام قوى .

« عرفت لأول مرة انها اذا نادتنى بيا بيه تكون راضية عنى واذا قالت با افندى يكون ذلك تعبيراً عن غضبها .. قلت :

- لا أبداً مغبس داعى للأسف .. أنتو مظلومين .

قالت الاولى :

- أول مرة فى حياتى حد يقول لى أنتى مظلومة .

قالت الثانية :

- والنبي ده خام قوى .. أنت يا بيه جاي فى آيه .

- جاي فى قضية سياسية .

- يعنى آيه يا بيه .. عملت آيه ؟

- بتطالب بان الناس تعيش كويس ..

- طيب واللى يطلب بكده يجبسوه ؟

- طبعاً لانهم مش عايزين كل الناس تعيش كويس ..

قالت المرأة الثانية

- يعنى البيه عاوز يخلّى كل الناس كويسين ؟

قالت الاولى :

- صحيح يا بيه ؟

فلت :

- كل الناس لازم تشتغل وما فيش حد يكسب من ورا حد

قالت الاولى :

- الله يحبك لنسباك أنت واللى زيك يا اخويا ..

ومالت الثانية :

- الله ينصرك أنت وزمايلك يا حبيبي ..

« حبيبي !! لم أسمع هذه الكلمة من قبل بمثل هذه الرقة والعذوبة .. سمعتها كثيرا من زوجتي السابقة ولم افعل كما افعلت هذه المرة .. هذه المرأة قالت هذه الكلمة لزوجاتها وستقولها بعد ذلك كثيرا ولكن هل يفعلون كما افعلت .. بالقطع لا .. وبالتأكيد لم يكن انفعالي حسيا .. كان انفعالا انسانيا خالصا »

وجاء صوتها ليقطع لحظة صمتي وتاملتي :

- سوفى يا سنية .. وشه زى الملاك .. والنبي ده بني آدم ..

« رعم الحياة الا انسانية التى تعيشها هذه المرأة وامثالها فهى باى لسة صديقة تعود اليها انسانياتها المهذرة .. »

كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا .. ووصلت الى اسماعنا اصوات وشتائم متبادلة بين رجال ونساء ، قالت الاولى :

- الايراد وصل ..

وقالت الثانية :

- الكبسة المرة دى على بيت مين يا ترى ؟

فتح الباب .. وامتلأت الطرقة بحوالى ٧ نساء شبه عاريات وثلاث مخبرين يقودهم رجل مدنى يجوح انه ضابط بوليس الآداب .. خرج المخبرون بالنساء فى الغرفة وسط سيل من اذع الشتائم .. وبعد ان اغلق الباب عليهن .. تنبه الضابط الى وجودى .. سال بغضب ..

- انت ايه .. وايه جابك هنا ؟

قلت بسخرية :

- انا زى ما انت شاييف .. واللى جابنى هنا المامور ..

- ليه ما دخلتش حجرة الرجال ..

- والله تسال المامور فى الحكاية دى .. يظهر انه مش حريص قسوى على حماية الآداب !

قال بغضب :

- انت بتهزر .. انت جاي فى ايه ؟

- اسأل البكباشي أحمد حلمي رئيس البوليس السياسى ..

« وما كساد الرجل يسمع اسم أحمد حلمي حتى ظهر على وجهه الرعب .. »

فاسرع بفتح الباب خلفه نسـم نادى على الشرطى لينـبـه عليه بان يـمنـعـني
من اى كلام مع النساء .

بعد انصرفه . . قال الشرطى محدثا نفسه بصوت عال :

– طيب وازاي اقدر امنه من الكلام مع الستات . . طيب وليه هو
راح يقول لهم ايه يعنى . . ومهما قال طب ما هو الباب مقفول عليهم . .
انا مش فاهم .

ناديت على الشرطى وفلت له :

– افهمك انا . .

– الله يـسـتـرك فهمنى انا عـقـلى راح بطير . . الطابط النوبتجى قال
خد بالك من الشاب ده احسن يتكلم مع الستات . . والعسكرى اللي
استلمت منه قال خد بالك الراجل ده خطر قوى على الامن . . وانا من
ساعة ما استلمت الساعة ١٢ وانا سامع كلامكو . . كلامك حلو . .
ما فيش ابدا لا مؤاخـذـة . . قلة ادب . .

قلت مقاطعا :

– اهو الكلام الحلوه هو الخطر على الامن . .

قال :

– أمن مين يس ؟

– أمن الأغنياء اللي بينهبوني وينهبوك . .

– آه فهمت .

– أيوه – فهمت ايه بقى .

– فهمت .

« انصرف الشرطى بعيدا . . ولم يعطنى فرصة كي ابين له السرقة
بين البلد والنظام السياسى للبلاد » .

واردت أن أروح فى اغفائة حتى أستطيع مواجهة تحفيـن الخـبـابة الذى
لم يبق عليه سوى ساعات . . لكن تعليقات كثيرة من النساء فى الغرفة
المجاورة لم تمكنى من هذه الرغبة . . سمعت احدا من تقول :

– وانت شفتى سياسيين قبل كده ؟

وتردد اخرى .

– آه وحياتك . . بتاتى واحد مرة . . ما عملش حاجة . . لكن

ادانسى فلوس .

وتردد الاولى .

– وعرفتى منين انه سياسى ؟

– هو قال كده وكان جاى لى هربان من البوليس . . ولما اطمـان
مشى . .

« ربما لم يكن هذا هو السبب الحقيقى . . اغلب الظن انه كان مثلى لم

يستطع بأن يتواصل حسيا فقال ما قاله .. اذكر اننى حتى زواجى
الأول عام ١٩٥١ لم اعرف الجنس .. وذات يوم فى عام ١٩٤٨
حاولت ذلك مع احدى بائعات الهوى وكنت مع بعض زملاء العمل فلم اتمكن
من ذلك .. واذكر اننى مشيت من الجيزة حيث كانت مغامرتى الأولى والأخيرة
حتى منزلى بشبرا وأنا لا أعرف سببا محسدا لهذا الموقف الشاذ فى نظر
زملائى الذين عرفوا القصة من المرأة ، فراحو يتكلمون على ويسخرون
من قدراتى ويشككون فيها . ولسنوات طويلة ظننت ان ذلك نقصا فى
تكوينى .. لكن بعد أكثر من ٢٤ عاما عرفت الحقيقة .. عرفت ان لحظة
الاتصال الحسى بالنسبة للانسان السوى لا تحدث الا نتيجة التفاعل
الانسانى والفكرى والعاطفى . وهذه اللحظة هي أصغر لحظات
الانسان الحقيقى .. واطن ان مثل هذه اللحظات الصادقة .. نادرة
جدا ندرة الانسان الصادق وسط عالم مزيف منافق .
ورحت فى اغائته صجوت منها على صوت ينادينى .
شرطيان وضابط بملابس الرسمية يقودهم البكباشى أحمد حلمى ..
جاءوا كى يصحبونى الى نيابة أمن الدولة .. للتحقيق معى .

كانت هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها « تخشيبية » قسم الشرطة
ومنها خرجت الى سجن مصر ثم الى سجون أخرى كثيرة ساعدت عن
ذكرياتى فيها فى رسائل القيلة . وكانت المرة الثانية التى عرفت فيها
« التخشيبية » هى يوم الإفراج عنى بعد ١٢ عاما عشتها فى سجون مصر
المختلفة .

وكل « تخشيبات » أقسام الشرطة تشهد مع صباح كل يوم نشاطا
كبيراً .. اعداد من رجال الشرطة يحملون القيود الحديدية التى توضع
فى المعصمين وهو يستخدم مع « الخطرين » او جنزيرا طويلا يربطون به
عددا من التهمين « غير الخطرين » . ومع اشراقة صباح كل يوم عندما
يسمع نداء التخشيبية صوت القيود والسلاسل الحديدية مختاطة
بأصوات الشرطة تنادى عليهم يستعدون جميعا للرحيل .. وعادة
يعرف كل واحد اين سيذهب .. هذا للتحقيق معه ثم السجن ..
وهذا لنزله الى سجن بعد ان حكم عليه .. وهكذا .. كنت انما
الوحيد الذى قضى ليلته فى « التخشيبية » ليفرج عنى فى الصباح .

وعندما نودى على ، تجمع حولى كل من فى « التخشيبية » وعانقونى
فى ود ومحبة وأمر بعضهم على ان يعرفوا عنوانى ليزورونى .. وبالفعل
حدثت صداقة مع عدد منهم لسنوات طويلة بعد الإفراج عنى .

وعلى الرغم من اننى خرجت من التخشيبية حوالى الساعة الثامنة صباح يوم

• أبريل ١٩٦٤ فأننى لم اغادر قسم مصر الجديدة الا الساعة التاسعة مساء حيث صحبونى الى المباحث العامة ومنها الى المنزل الذى وصلته حوالى الثانية عشر مساء وخلال تلك الساعات حدث الكثير .. وهو ما سأحكيه لك يا حبيبتي فى الرسالة المقبلة •

١٢ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٥

حبيبتي

فى الثامنة والنصف صباحا كنت فى مكتب مأمور قسم مصر الجديدة
العمل الاجراءات اللازمة للافراج عنى . حيثنى للرجل بابتسامة عريضة
ووجوده وحولنى الى الجاويش المختص بمثل هذه الاجراءات . وما كاد
الجاويش يبدأ فى تدوين البيانات المطلوبة . الاسم . السكن .
للعمل . الخ حتى دخل رجل بملابس مدنية .

ومعنى بكلمات لم اتبينها فى اذن الجاويش الذى تحرك ليتوجه مع
ضابط المباحث الى مأمور القسم . ثم عاد ليقول لى ان على ان انتظر
حتى تاتى الاوامر بالافراج .

قلت مستفسرا :

- اوامر ؟

رد على الرجل بصوت فيه كل رنات الامسى :

- والله يا ابنى ما انا عارف .

- امال مين اللى يعرف ؟

- المباحث العامة .

ولعب الفار فى « عبي » . لا بد ان امرا قد حدث . طلبت من
الجاويش ان اقرأ صحيفة الصباح . فناولنى اياها وهو يبتسم
ابتسامة من يعرف ما الذى اريد ان اعرفه من قراتى للجريدة .
وبعد ان تصفحت اهرام ٥ أبريل ١٩٦٤ قلت :

- مفيش انقلاب ضد عبد الناصر . ايه الحكاية آمال ؟

- والله يا ابنى ما يعرف الحكاية الا المباحث العامة . اصبر شوية
ربنا يفرجها .

ذهبت الى مأمور القسم لاعرف منه الموضوع وقبل ان ادخل مكتبه
قابلت بعضا من امالى المسجونين الذين ما زالوا فى القاعات ولم يصدر
عنهم قرار الافراج بعد . وعرفت منهم الحكاية ،

بعد أقل من ساعتين من تحرك السيارات بنا من سجن **الحساريق**.
بالواحات الخارجية الى اسبوط ومنها الى القاهرة للامراج عنا نحن المعتقلين ..
ديرت الباحث مع مأمور السجن **مؤامرة** ضد المسجونين الذين تركناهم فسي
انتظار القرار **الجمهورى بالافراج** عنهم راح ضحيتها الشهيد « **لويس** ».

اسحق « وجرح محمد سيد احمد و د . اسماعيل صبرى عبدالله »
بدأت **المؤامرة** بتحرس **مأمور السجن** بواحد من الزملاء الشبان اتفنا ،
« فسحة » الزملاء المسجونين .. وكان هذا الحرس موعاة الصفر ما ان بدأ
المسجونون يتجهون الى حيث ينف المأمور والزميل حتى انهال **رصاص** .
الداافع الرشاشة من وراء الاسوار الخارجية للسجن .. واسفط اخدى
الرصاصات الفادرة **الشهيد « لويس اسحق »** واصابت اخرى وجهه
محمد سيد احمد وأخرى ساق د . اسماعيل صبرى عبدالله وكادت تتحول
الى مجزرة بروج ضحيتها عشرات الزملاء ، لولا تدخل أحد ضباط السجن ،
الذى صاح بأعلى صوته .

— اخذوا هذه مؤامرة ضدكم .

واعطى أوامره للسجانة دون اذن من المأمور وبجو أنه كان يعرفه
تواطؤه مع الباحث العامه بالكف عن اطلاق الرصاص .. ونصح
الزملاء المسجونين بدخول العنابر .

وحمل هذا **الضابط الوطنى** برقبات الزملاء المسجونين الى الرئيس
جمال عبدالناصر بوضوح فيها ابعاد المؤامرة وأهدافها ويطلبون
التحقيق الفورى ويكررون تأييدهم لمسياسة الرئيس الوطنية التقدمية .
كما حمل خطابات الى أهالى المسجونين كى درسوا برقيات مماثلة
الى الرئيس ويذهبوا الى رئاسة الجمهورية بطلبون التحقيق .

وحتى ساعة متأخرة من ليل يوم ٤ أبريل كان كل أهالى المسجونين
مقسمين بين **رئاسة الجمهورية** و**منزل الرئيس جمال عبد الناصر** بطلبون
تأييد أبناءهم للثورة وقائدها ويطلبون التحقيق فى المؤامرة التى
تستهدف الايقاع بين الشيوعيين والثورة وبالنالى الفاء قرار الافراج عنهم .
ولم يهدأ بال أهالى الا بعد ان سافر بعضهم مع النيابة التى امر
الرئيس عبد الناصر بسفرها فوراً الى **الواحات** للتحقيق .
شهد الضابط الوطنى وبعض السجانة « ما حدث من أسوأ مأمور
السجن لأحد الزملاء . » وشهد بعض السجانة بأن المأمور أمرهم بالاستعداد
بحمل الرشاشات واتخاذ مواقعهم خلف الاسوار الخارجية للسجن
واطلاق النار على المسجونين عند حدوث مشاحنة بينه وبينهم ، وان
هذه الأوامر صدرت فى حضور واحد من ضباط الباحث الذى كان
قد حضر بعد رحيلنا مباشرة .

وعندما عرض التحقيق على الرئيس عبد الناصر امر باحالة مأمور السجن الى الماش والتحقق لمعرفة من الذى دبر هذه المؤامرة فى المباحث العامة • ويبدو ان نقل حسن المصيلحي من المباحث الى الجوازات والجنسية كان دليلا على تدبيره للمؤامرة • ولحسن المصيطى هذا - وهو منذ اواخر عام ١٩٦٤ يملك شركة للتصدير والاستيراد فى جنيف - قصص مع الشيوعيين المسجونين والمعتقلين ساحكيها لك يا حبيبتى فى رسائل مقبلة • وبالطبع كنت انا وبعض الذين لم يخرجوا يوم ٤ أبريل - وقبل ان تصل أوامر المباحث بحجزنا رهائن فى اقسام الشرطة لحساب المباحث العامة - فى انتظار نتائج المؤامرة حتى اذا حققت اهدافها والى قرار الافراج تعود مرة أخرى الى المعتقل • حتى الذين أفلتوا وخرجوا يوم ٤ أبريل ذهب رجال المباحث الى بيوتهم للاطمئنان على وجودهم للقبض عليهم مرة أخرى عندما تنجح المؤامرة ! غير ان الكثيرين منهم تركوا منازلهم ولم يعودوا اليها الا بعد ان فسلت مؤامرة المباحث العامة • وفى الساعة الثامنة مساء ٥ أبريل كنت فى حجرة الضابط النوبتجى لانتهاء اجراءات الافراج عنى •• وعلى باب قسم البوليس حيث تجمع حولى الاهل والأصدقاء ، رايت ضابط مباحث القسم وعلي وجهه ابتسامة مسطحة •• هنأتى بالافراج •• وباب رجال المباحث المعروف طلب منى أن أصحبه فى سيارته لمقابلة حسن المصيلحي • انهال عليه أخى « رحمه الله » بالشتايم وصرخت زوجتى السابقة ورفض الأصدقاء ان اصحبه •

قال ضابط المباحث فى برود شديد

- لك مطلق الحرية فى ان تحضر أولا تحضر •• كل ما فى الأمر ان سيادة اللواء « حسن المصيلحي » يريد ان يتحدث معك قليلا • « تملككنى رغبة شديدة فى الذهاب الى حسن المصيلحي كى اسمع ما سيقوله عن المؤامرة التى دبرها من مكتبة فى القاهرة قلت للضابط بسخرية :

- سأحضر معك من الواجب ان اشكر الرجل الذى استضافنا وكرم

ضيافتنا !

قال :

- لنقوم مش فاممين •• احنا موظفين بنفذ أوامر عليا •

- ومؤامرة المحاريق •• كانت أوامر عليا أيضا ؟

امتنع وجه الرجل ولم يجب ركبته معه ومعى أخى وبعض الأصدقاء فى عريقة •• ولحقت بنا ثلاث سيارات أجرة تحمل الأصدقاء •• استقبلنى أحمد صالح داود رئيس قسم مكافحة الشيوعية وكانت هذه هى المرة الثالثة التى أقابل فيها هذا الرجل • كانت المرة الأولى فى سجن مصر عندما رحلت اليه من

سجن المحاريق بالوحدات حيب كان من المفروض ان يفرج غنى فى ابريل ١٩٦٢ •
غير ان المباحث العامة استضافتنى عامين آخرين كما سبق ان اخبرتك
يا حبيبتي فى رسالة سابقة • فى ذلك اليوم كان معى زميل فى قضيتى
نفسها وزميل آخر فى فضبة اخرى ، انا وزميلي الاول فبض علينا فى يوم
واحد وحكم علينا بعقوبة واحدة ، اما الزميل الآخر فكان حكمه
٣ سنوات وسيفرج عنه قبلنا بايام • وفى صباح اليوم نفسه الذى خرج
فيه الزميل الثالث وبعد أقل من ساعتين ، اهتزت جدران السجن ••
انتباه •• انتباه •• انتباه • يصيح بها السجانة بصوت عال جدا
حين تصل الى السجن شخصية خطيرة مثل شخصية احمد صالح داود •
دقائق وكان هذا الرجل الخطير ومعه ثلاثة من ضباط المباحث وماهور
السجن وعدد من الضباط والسجانة قد ملأوا الزنزانة الضيقة
التي تحتوينى وزميلي صاح سجان بصوت عال :

- تفتينى •• تفتينى ••

الذعر يملأ مامور السجن وضباطه •• تلتفتى نظراتهم بعينى التى
ترسل اليهم نظرات مطمئنة معناها بلغة السجون •

- لا يوجد شىء ممنوع • اطمئن ••

والتفت نظرات احمد صالح داود وضباط المباحث الذين معه بعينى فلم
يجدوا بهما سوى تساؤل ساخر عن سر مقدمهم المفاجئ • وبعد دقائق
معدودة كان كل شىء واضحا • الغرض الذى اتى من اجله ضباط المباحث
لم يتحقق •• لم يجدوا علبة السلمون !

لا تضحكى يا حبيبتي •• اتسبم لك انهم جاؤا من اجل علبة سمك
سلمون ! لكنهم لم يجدوها ولم يجدوا حتى « الكوز » الفارغ !
قال احد الضباط بغيط :
- فين الاكل اللى كان معاكو •

قلت بسخرية ••

- قصحك علبة السلمون ؟

ازداد غضبه ولوح بيديه •

- ايوة فين هيه •• ؟

- اظن كان فيه علبة هنا واخذها معاه زميلنا الذى خرج
اليوم اسالوه عنها •• لعله لم يزل عنكم بعد فى الانتظار •

خرج ضباط المباحث وقد امتلأت وجوههم بالحقد والغضب •• لقد
فشلت مؤامرتهم لتالفين قضية جديدة لى وزميلي من اجل استضافتى
عشر سنوات اخرى •

كان معنا بالفعل علبة مسلمون .. تركها معنا الزميل الثالث الذى ترك السجن فى صباح ذلك اليوم طالبا منا ان نعطيهما لاحد زملائنا فى سجن القناطر الخيرية الذى سذهب اليه انا وزميلي الثانى قبل اعتقالنا من جديد أو الاقراج عنا من هناك . لا أدري لماذا ساورنى الشك فى الزميل الثالث ربما لأنه مكث طول الليل يكيل لى الحيح والثناء كيلا الى الحد الذى جعلنى اشك فى أنه يجبر شيئا . وحتى صباح اليوم التالى كانت علبة السلمون فى حوزته .. واعطاها لى قبل ان يترك سجن مصر بعقائى .. ولم تمض دقائق بعد أن ترك الزنزاة الا وكانت الطلبة مفتوحة .. لم يكن بها سمك السلمون اللذيذ .. وانما كانت محشوة بالأوراق . بعضها مكتوب بخط اليد .. وبعضها مطبوع على الرونيو .. وبسرعة أحرقنا وزميلي كل الأوراق فى « جردل البول » وتصادف ان جاء موعد « الفسحة » .. والفسحة معنا ان بخرج السجن الى دورة المياه ليقضى حاجة ويلبى « الحاجة » التى تجمت فى الجردل طول الليل وساعات النهار التى تغلق فيها الزنزاة .. وفى دورة المياه ازال زميلي الثانى أى أثر للورق المحروق واعطى الكوز لاحد المساجين الذى فرج به كثيرا فان له استعمالات عديدة فى السجن . مأمور السجن فهم هذا كله دون ان انطق بكلمة .. وكان سعيدا سعادة لا حد لها .. وعند انصراف هذا الجمع الحاشد الذى جاء ليضبط علبة السلمون .. تأخر المأمور خطوات ليشد على يدي شاكرا ممثنا فلو ان المباحث وجدت علبة السلمون لنكلت به ويكل ضباط السجن وسجانيه .

تسألين .. لماذا يا حبيبتي ؟ .. سأقول لك .

عند دخول أى سجن الى السجن أو خروجه منه لاي غرض .. التحقيق معه . أو العلاج .. الخ يجرى تفتيشه بدقة شديدة حتى لا تدخل معه أو تخرج ممنوعات . والممنوعات كثيرة جدا .. تبدأ من الشاي والسجائر والمخدرات وتنتهى بالمشورات « الشيوعية » وكل المنوعات بما فيها المخدرات لا تساوى شيئا الى جانب « المشورات » ! ويا ويل المسجون السياسى الذى تضبط معه ورقة مكتوب بها أى كلام أو حتى نظيفة قهى دليل على أنه ينوى كتابة انكسار « هدامة ومثورة » ولكن اذا وجدت مخدرات مع مسجون فلا بأس .. فالجميع يمكن ان « ينمسطوا » !

وعادة يقوم ضباط السجن بتفتيش المسجونين الخطرين امثالنا بحثا عن منشورات أو أوراق نظيفة بوصفها « مشروعات منشورات » . وفى حالتنا هذه لو ان المباحث وجدت علبة السلمون أياما وما بها من أوراق لانهت الدنيا على مأمور السجن وضباطه وسجانيه لامالهم وعنى

بفظتهم وبالنالى يضع رجال المباحث أرجلهم فى السجن بشكل واضح
 رعو ما يرمضه صباط السجن حبيب يجنون فى هذا تدخل فى علمهم ،
 مفانون السجن لا يسمح لضباط المباحث بدخول السجن والتفتيش وإذا
 حدث فيكون ذلك بأذن من وزير الداخلية ، حدث ذلك فى حالتنا هذه وفى
 حالات أخرى صادرة جدا . لم أعرف ماذا حدث « للزميل » الثالث
 حين عاد ضباط المباحث بخفى حنين . لكنه أصرح عنه على أى حال
 وعدت وزميلي الى سجن القلعة تسم الحاربيق مسلفين . ونحن أصرح
 عنى فى أبريل ١٩٦٤ وجدت هذا الزميل الثالث يكتب فى الصحف والأذاعة
 والتليفزيون ويؤلف الكتب الكثيرة ، فى النقد والأدب ، وحتى السياسة !
 وهو حتى كتابة هذه السطور كاتب « كبير » ينسار اليه بكل أصابع
 اليعين والرجلين ! كانت هذه هى المرة الأولى التى أقابل فيها
 أحمد صالح داود . . . وكانت المرة الثانية يوم ان ذهبوا بسى من سجن
 التناظر المبرية الى المباحث العامة . . لاعفالى . . أو ثلاثرأج عنى .
 يومها لم أسك لحظة فى امنى ساعقتل . . وما كنت أفكر فيه هو
 اننى سأعقد كثيرا من امتيازات المسجون . . سأخلع الحذاء وامسى حافيا . .
 لن يسمح لى بالزيارة كل مدة كما تقضى لائحة المسجون . . لن أستطيع
 شراء نسي من الكانتين . . الخ . . الخ . . والبذلة « الملكى » التى ألبسها هذه
 ستجد طريقها مرة أخرى الى مخازن السجن الى زمن لا أعرف مداه . .
 لم ألبسها بل عشر سنوات الا أياما قليلة خلعتها مره أخرى كسى
 ألبس « بذلة » المعتقل !! ما كنت ادخل باب المباحث العامة حتى وجدت
 زوج اختى « رحمه الله » ومعه احد اخوتى الكبار . هجم على وهو يكاد
 بختنق من البكاء ويقول :

- اختك فى انتظارك . . راح تموت لو ما ظلمتش . .

ويقول اخى :

- ذنب اختك فى رقيتك . . اعمل اللى يقولوا لك عليه . .

لم أجب عليهم وطلبت من الضابط ان ينهى الاجراءات المطلوبة . . .

يفرول وعلى وجهه ابتسامة باردة . . ياعنة . . خبيثة . .

- مستعمل لبه . . خليك شوية مع امك . . يا اخى همامش واحشيتك

والا أبه ؟ .

ب يفضب والائم يمزنى

- من امنى المواقف الاتسافية نى !

وتعقد هذا الوحش فى زى الاتساع ان يتركسنى مع زوج اختى الذى يبكى

كالأطصال والذى يلح على ان أكون واقعا ! ولكتب لهم ما يريدون .

أكثر من نصف ساعة لم استقطع ان أحبس الدموع التى طمرت من عيني !

ولم اتكلم كلمه واحدة .

(م ٢ - الرسائل)

وفى مكتب أحمد صالح داود كان كل شيء قد اتضح قال :

- أنت عارف أيه هيه طريقة الخروج ؟

قلت بهدوء :

- طبعاً عارف .

- وآيه رأيك ؟

- انت عارفه .

وتوجه الرجل بحديثه الى أهلى قائلاً .

- ما غيش فابدة .. أنا قلت لكو .

وانصرف أهلى بيبكون .. وذميت أنا الى سجن القلعة .. ومكنت به
عشرة أيام فى زنزانة مغلقة لم أخرج منها سوى مرتين ، مرة لمقابلة
أحد ضباط المباحث الذى جاء يقول لى ان اختى فى خطر ولن ينقذها سوى
خروجى .

- وهل امتنعت عن الخروج ؟

قال :

- كلمتين نكتبهم وتخرج ..

قلت بغضب :

- انت عارف الاجابة ؟

يومها تضربت أسوأ ساعات عشتها فى حياتى .. كان سؤال يطن فى راسى .
هل أنا مسئول عن موت أختى ؟ المسكينة التى مرضت يوم
اعتقلونى قال لها الأطباء ان سفاءها يتوقف على صدمه مماثلة ولكن
مفرجة .. لا لست مسئولاً .. حياتى نفسها أقدمها ثمناً لما اعتنقه .
والمرّة الثانية التى خرجت فيها من زنزانة سجن القلعة كانت لترحيلى الى
سجن المحاربين بالواحات الخارجة . بعد يومين قرأت فى الأهرام فى
مكتب مأمور السجن اسمى فى نعى أختى رحمها الله . قدّم لى الرائد
«...» مأمور السجن العزاء . وكانت تربطنا بهذا الرجل بعدد
تجربة مريرة علاقات طيبة وإنسانية ساحكها فى رسائل المبلّة .

والمرّة الثالثة التى قابلت فيها أحمد صالح داود كانت فى مساء ٥ أبريل
١٩٦٤ بعد الانراج عنى من قسم شرطة مصر الجديدة . ما ان رأتى أدخل
عليه فى مكتبه حتى هب واقفاً .. ابتسامة عريضة مصنوعة على وجهه ،
ويده محدودة بالتحية .. وقال :

- ارجو انك ما تكونش زعلان .

- ودى مسألة تههم سيادتك ؟

- طبعاً تهمنى .. خصوصاً الآن .

- ولماذا الآن بالذات ؟

- من أجل الثورة والتطور الاشتراكي .
 - ومؤامره أمس ضد زملائنا .. كانت من أجل ذلك ؟
 ويرد الرجل بخب سديد :
 - عبيكو يا شيوعيين انكو بتحتولونا في كفة واحدة . انا ليس
 لى علاقة بما حدث أمس والتحقيق اثبت ذلك .
 فهمت ما بفصده .. ولم اعلق .. وعند انصرافى فال للضابط الذى
 يرافقتى .

- اللواء حسن المصيلحي عاوز يشوف الأستاذ ..
 وجدت الرجل مهذبا ، أكثر من اللازم الى درجة أنه استقبلنى
 على باب مكتبه ثم رفض ان يجلس حتى اجلس أنا ! قال :
 - ارجو ان تفهموا موقفى على حقيقته ..
 - موقفك بالذات معروف لنا تماما .
 فال بادب متجاعلا سخرينى
 - موقفى ينبع من أرضية فكرية .
 - ولحساب من هذا الموقف .. الذى تسميه فكريا ؟

بلغ الرجل كلماتى .. ومد يده محبيا .. انصرفت الى منزل اخى لأول
 مرة بعد ١٢ عاما . وبعد أيام نفل حسن المصيلحي الى ادارة الجوازات
 والجنسية .

والمرّة الثانية التى قابلت فيها حسن المصيلحي كانت فى صيف عام ١٩٦٨ !
 فى خلال استراحة احد المسارح وكان معى **الرجوم الدكتور محمد الخفيف**
 وجرى حديث بينه وبين **حسن المصيلحي** وكنت صامتا . وادرك الخفيف
 اننى لا اتذكر حسن المصيلحي .. فقال من خلال ضحكته العالية المشهورة
 عنه ..

- أنت مش عارف الأستاذ والا ايه ؟
 قلت وانا اتأمله محاولا تذكره ..
 - والله مش واخذ بالى .
 - حسن المصيلحي .
 و فى كلمة جون ان اسمه
 ح ستر ..
 ضحك حسن المصيلحي وقال :
 - لا خلاص .. انا دلوقت رجل اعمال .
 واكمل **الدكتور محمد الخفيف** بخضة دمه المعروفة .
 - شركة استيراد وتصدير يا استاذ .. فى جنيف .. امال .. عقبال
 املاكك .

.. أمل عوينك يا دكتور .
 وبقول المصيلحي ..
 .. ليه بقى .. والسفلة دى فيها أبه كمان .
 قلت بسخرية :
 .. يعنى .. ترقية .. السفلة مقى على مستوى عالمى .
 قال :
 .. يعنى انت لسه عند رأبك .. طيب دلوقت لحساب مبن ؟
 قلت ضاحكاً :
 .. لحساب كله .. عالمى يا أسناذ .
 قال :
 .. على أى حال أنا ضد الشيوعية .. من موقع فكرى .
 قلت والخفف فى نفس واحد بسخرية :
 .. واضح .. واضح جداً .
 فى ذلك اليوم حكى للدكتور محمد الخفيف ما دار بينى وبين حسن
 المصيلحي مساء يوم ٥ ابريل ١٩٦٤ :
 حبيبتي
 هذه هى الرسالة السادسة اليك .. ومازلت عند احداث يوم الانفراج
 رأيت ان ابدأ بها . فربما تعطيك فكرة عن بعض ما تريدان معرفته
 عنى . أما عن ذكرياتى خلال ١٢ عاماً من السجن والاعتقال فموعدها
 رسائل القابلة .

١٤ يناير ١٩٧٧
 بغداد

فى سجن مصر فى انتظار قرار الاتهام ثم المحاكمة وخلال تلك الايام أكد المحامون بان النيابة سوف تفرج عنى حيث لا دليل واحد عندها ضدى .

وخلال شهر أغسطس صدرت تصريحات من **فتحي رضوان وزير « الارشاد القومى »** نفيد بان كل المسجونين السياسيين الذين اعتقلوا قبل ٢٣ يوليو سوف يفرج عنهم فوراً . وخلال زيارات الاهالى لنا قالوا ان **فتحي رضوان** أكد بان الشيوعيين الذين اعتقلوا فى العهد الملكى سوف يفرج عنهم وجائنا من قيادات المنظمات المختلفة بان خروج كل الذين اعتقلوا قبل ٢٣ يوليو وكان عددهم لا يتعدى اللانين امر لا شك فيه وبعد ايام خرج الاخوان المسلمون والنهوميون فى الاغتيالات السياسية وفى مؤامرة حريق القاهرة ، ثم صدر قانون يعطى الحق للذين درون أنهم سياسيون ولم يفرج عنهم بتقديم تظلمات امام **محكمة خاصة** شكلت لهذا الغرض . وتضمننا بتظلمات نظرت امام هذه المحكمة وقدم المحامى **أحمد شوقي الخطيب** مذكرة هامة أورد فيها نصوصا من الدستور المصرى والقوانين المصرية وأحكام القضاء المصرى فضلا عن مستاتير معظم دول العالم المتحضرة تؤكد حقنا فى الإفراج عنا . وبعد عدد من الجلسات أصدرت المحكمة حكما يرفض تظلماتنا وقالت فى حيثيات الحكم ان الشيوعيين ليسوا سياسيين وإنما هم اقتصاديين وأنهم يصحون سياسيين فى حالة ، احده فقط فى حالة استبلائهم على السلطة !!

قبل نظر قضية التظلمات السياسية كان قرار الاتهام قد وصلنى فوجدت نفسى أنا وزملى **مصطفى كمال خليل** ، الذين اعتقلنا قبل ٢٣ يوليو فى قرار واحد مع ٢١ آخرين قبض عليهم بعد ٢٣ يوليو والاتهام الموجه للجميع هو قلب نظام الحكم . . اثنان متهمان بقلب نظام الحكم الملكى والباقي متهمين بقلب نظام الحكم الجديد !!

بعد ايام من رفض تظلماتنا سحبت قضيتنا من امام **محكمة الجنايات العسكرية** وأعضائها من مستشارين كى ينظرها **مجلس عسكرى** اعضاؤه من **العسكريين** وبرئاسة القائمقام **أحمد شوقي عبد الرحمن** ونائب **أحكام عسكرى** وبإجراءات **مجلس عسكرى** . وكانت هذه أول قضية شيوعية يشكل لها **مجلس عسكرى خاص** .

وقد نشرت روز اليوسف خبرا يقول بان **الدوائر الأمريكية** ارتاحت لتسكيل **مجلس عسكرى خاص** لمحاكمة الشيوعيين . وظللنا أياما قبل بدء المحاكمة نسال باى قانون سوف نحاكم ؟ هل بقانون صدقى الذى أقصى عقوبة فيه ١٠ سنوات أشغال شاقة ؟ ام بقانون محاكم الثورة الذى تصل أحكامه الى الإعدام ؟

وأصبح قانون صدقى الذى صدر عام ١٩٤٦ غير الدستورى لأنه صدر

مى عبية البرلمان حلفنا ننحناء " ومضت أبام لم نصننا اى اجابة على
عدا السؤال حتى المحامين الذين وكلوا للدفاع عنا لم يعمروا احابة على
عدا السؤال ' أكثر من ذلك لم تكن تعرف ولا المحامى يعرفون أين
سنحاكم " . . على مى احدى قاعات المحاكم الجنائية أم مى أحد معسكرات
الجيش ؟ ووصلنا انساغات تفول بان الفبة نجه الى عمل محاكمات سريعة
مى أحد معسكرات الجيش واصدار عسدد من الاحكام بالاعدام وتنفيذها
فورا رميا بالرصاص !

وعكذا عسنا اكسر من عشره أبام نهبا للاساعات والاخبار المصاربه ، غير
ان الروح المعنوية للغالبية العظمى من الزملاء المدمنين الى هذه المحاكمة
الاستثنائية كانت عالية للغاية ، وتغلبت روح - الاستشهاد فى النهاية
وكما فى نهار كل يوم نمعد الاجتماعات لتقوية الروح المعنوية ، وفى
المساء بعد قفل الزنازين ننشد الاناشيد الوطنية .

ولم نعرف موعد المحاكمة ومكانها الا فى صباح نفس اليوم الذى
خرجنا فيه للمحاكمة ، ولم نعرف وفق أى قانون سنحاكم الا من نائب
الاحكام البكباشى حسن سرى قبل ان نبدأ أول جلسة للمحكمة .

وبدأت محاكمنا لتستمر أكثر من شهرين ثم توفت لبدأ محكمة
جديدة برئاسة اللواء فؤاد الدجوى بعد ان قبض على رئيس المحكمة
الأولى أحمد شوقى عبد الرحمن .

وكانوا يريدون لهذه المحاكمة أن تكون أرهابا لنا ولكل زملائنا فى الخارج ،
ولكننا حولناها الى مهزلة حين تحديننا اربابهم وحدثت أثناء محاكمتنا أمام
المحكمين قصص طريفة . . موعدها مك با حبيبتي فى الرسائل المقبلة .

١٥ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٧

حبيبتي

كان يوم ٨ يوليو ١٩٥٣ يوماً غير عادي في سجن مصر . فمن المعتاد ان تفتح زنوازين كل عنبر حوالي الثامنة صباح كل يوم « لتنظيفها » ولكي يفضي المساجين « حاجتهم » في دورات المياه ، ثم ينزلون الى فناء السجن في « طابور » صباحي ، بعدما ينسلمون وجبه الغداء ، ثم تطلق الزنوازين . لكن في ذلك اليوم لم تفتح الزنوازين في الموعد المعتاد . الزنوازين التي كان بها الزملاء المتبعون في القصبة الاولى المقصية الى المجلس العسكري برئاسة القناصل ! حدد شوقي عبد الرحمن في فقط التي فتحت تحت اشراف مأمور السجن وضباطه ! ووسط صيحات السجانة وتساؤلات المساجين !

نزلنا من الطابق الثاني عنبر ب في سجن مصر ومتاهاتنا تهز كل جدران السجن .. عاش نضال الشعب المصري .. تحيا مصر حرة مستقلة وكان زملاؤنا من المنظمات الاخرى ننشدون .. بلادي بلادي ويلوحون لنا بايديهم مشجعين .

وفي غرفة المأمور كان هناك عدد من الاطباء الضباط لاجراء الكشف على قلوبنا .. لا أدري لماذا ؟

بعد الكشف على قلوبنا ووضع القيود الحديدية في معاصمنا خرجنا من باب السجن العمومي لنجد أربع سيارات وقد امتلأت برجال الشرطة .. الأسلحة الرشاشة في ايديهم مصوبة نحونا .. وعريتان مغلقتان تماما مثل الزنزانة ، وفي مؤخرتها شرطيان يمسكان بالدافع الرشاشة . كانت المنطقة المحيطة بالسجن خالصة تماما .. الدكاكين مغلقة .. لا باعة .. ولا أهالي فقد منعت الزيارة في هذا اليوم . ومن الطريف أن قائد الحرس كان لا يعرف شيئاً عنا فسألني .

— أبه الحكاية يا ابني انتو متهمين بأيه ؟

— شيوعية .

— طبيب وليه الهيصه دي كلها ؟

قلت بسخرية :

— ببهو ان احنا خطرين قوى ..

وأردت ان أعرف منه أين سنحاكم وكانت مفاجأة مذهلة حين قال لي انه لا يعرف بعد !

- امال راح تودينافين ؟

قال الرجل الطيب :

- ادينى مستنى الأوامر ..

وعرفت من اليبكاشى رئيس الحرس انه استدعى مساء أمس من قنّاء
حيث يعمل هناك - فى مهمه سرية جدا وعليه أن يتولّد فى سجن
مصر يوم ٨ يوليو ١٩٥٣ !

بعد حوالى نصف ساعة تحرك الموكب الهيب .. سيارتان فى المقدمة
ورشاشات تحملها الشرطة مصوبة الى امام العربيتين اللتين نركبهما ..
وسيارتان خلفنا والرشاشات مصوبة الى الخلف ..
نادانى مأمور للحرس لأجلس الى جانبه ... بعد دقائق غات ضاحكا :

- آيه العظمة دى كلها !

رد على الرجل وكان التأثير بادبا على وجهه .

- يا ابنى انت فى آيه والا آيه بس !

- با سبدي ولا يهكم .. لكن احنا راح نتحاكم فين ؟

- فى محكمة الاستئناف بباب الخلق

صحت فرحا وأعلنت الخبر للزملاء .

تجيب المأمور وسألنى فى اندهاش

- آيه الحكاية مبسوطين قوى كده ليه ؟

قلت :

كنا فاكربنا رابحن أحسد مسكرات الجبس ... نتحاكم هناك
زى خميس والبقرى ...

علق الرجل وقد ازداد اندهاشه .

- ليه يا ابنى وانقو علقوا آيه ؟

كان الموكب قد وصل الى ميدان باب الخلق .. هذا الميدان المزدهم
الذى لاتجد فيه موطا لقحم .. كان خاليا تماما .. من السيارات
وعربات الكارو .. ومن كل الناس . وقفت عربات الموكب ، وعلى طول
السلم والطرفات المؤدية الى قاعة المحكمة .. اصطفت اعداد هائلة من
الجنود يحملون أسلحتهم ، ووسط هذا الحشد الهائل من الجنود .. سرنا
نرفع ابعيننا القبعيتين بالقبود الحديدية نحى اعالينا الذين وقفوا على
مبعدة منا وننشد .. بلادى .. بلادى .. لك حى وفؤادى ..

وبعد أن ادخلونا قصى الاتهام .. دخل الامالى والهامون الى قاعة
المحكمة . جاء عدد كبير من الحامين التقدميين والوطنيين . كان من
التقدميين اسما ، لامعة ولمت أكثر فى الستينات .. وكنت اعرفهم
جميعا .. للأسف كان موتهم مخزيا .. واحد منهم تنحى عن الدفاع
على وآخرون تنحوا ايضا .. ولما سالت عن السبب قالوا :

- اصل ما فيش فايدة .. الأحكام صادرة .. صادرة ..
يوسفنى أن أقرر اننى استقطعتهم جميعا .. واحتقاراً لشأنهم لم اعلق ..
الذين دافعوا عنا كانوا متطوعين كان من بين **الوفدين** .. **سليمان**
غنام ، **أحمد الحصري** ، ومن بين رجال الحماية البارزين **موريس أركش**
وعادل أمين وغيرهم .. حتى المحامين الذين انتخبتهم المحكمة للدفاع عنا
كان موقفهم عظيماً .. اذكر منهم **الدكتور مدحت** الذى جاسنى فى قنص
الاتهام يطلب منى فى سبه رجاء أن أقبل انتدابه للدفاع عنى مع **الاستاذ**
سليمان غنام .. قال :

- رغم اننى لست محامى جنايات لكنى قرأت كل التحقيق .. واثت
١٠٠٪ براءة ..

- ١٠٠٪ براءة ؟ سيادتكم متفائل قوى ..

- قال الرجل ورنه صوته تحمل كل الثقة ..

- التهمة الموجهة اليك قلب نظام الحكم الملكى ..
قلت مازحاً :

- طب ودى فيها ايه ؟

- ما أمر الضباط قلبوا نظام الحكم الملكى فعلا الى انت متهم
بمحاولة قلبه ..

- ده كلام منطقي يا دكتور .. لكن ..

- ما أمو يا تطاح انت براءة .. يا الضباط دول بييجوا هنا السجن معاك ..
لحت على باب القاعة الاستاذ **سليمان غنام** فادما نحوى .. سمع
الجملة الاخيرة **للدكتور مدحت** فقال مبتسماً :

- يا دكتور مدحت .. ما تزعلش .. روق دمك ..

- ورأيت الدهشة على وجه **الدكتور مدحت** .. وراح يخط يده باليد
الأخرى ويقول كلاماً لم اتبينه ..

- قال له الاستاذ **سليمان غنام** مبتسماً ..

- بعدين افهمك يا دكتور مدحت ..

- قال لى الأستاذ **سليمان غنام** « رحمه الله » :

- موقفك فى القضية سليم جداً .. لو طبق القانون فالحكم بالنسبة لك
سيكون براءة ..

- قلت ضاحكاً :

- هل للسبب نفسه الذى يسوقه الدكتور مدحت ؟

- قال ضاحكاً :

- انا باقول القانون .. مش النطق .. ليس هناك دليل واحد عليك ..
قلت :

- يا استاذ غنام .. أنت موكل للدفاع عن الديمقراطية والحرريات
السياسية .. كل ما تريده هو أن يسمح الراى العام دفاعك عن الحرية ..

وصاح الحاجب :

- محكمة .

- دخل القاتل **أحمد شوقي عبد الرحمن** رئيس المحكمة .. وضابطان برتبته صاغ .. بعدما دخل **حسن سري** نائب الأحكام .. سم على **نور الدين الدعسى** .

فبل أن يجلسوا .. وف أعضاء المحكمة ووضعوا أياديهم اليمين على المصحف وردوا المسم .. وبدأت المحاكمة .
نادى رئيس المحكمة .. **التهم الأول (٠٠٠)**

- عل لك اعتراض على المحكمة ؟

- اعترض على تسكيل المجلس العسكري .. وليس لى اعتراض على اشخاص المحكمة .

وأعلن كل المتهمين اعتراضهم على تسكيل المجلس العسكري
ويقدم المحامون .. **سليمان غنام** .. **أحمد الحضري** .. **موريس أرقش**،
عادل أمين بطلون تأجيل المحاكمة حتى ينظر مجلس الدولة في الذكرة .
التي تقدموا بها بطلون في دستورية تشكيل المجلس العسكري .
ورفعت الجلسة للمداوله .

وانعقدت المحكمة بعد نصف ساعة وأعلن الرئيس

- قررت المحكمة الاسمرار في نظر القضية المروضة عليها حتى يصدر مجلس الدولة قراره بشأن اعتراض الدفاع على تسكيلها ..

واستؤنفت المحاكمة .. جلسات صباحية ومسابية واستمرت سهرين كاملين .. وقبل ان تصل اجراءات المحاكمة الى نهايتها بابام .. قبض على **أحمد شوقي عبد الرحمن رئيس المحكمة وعلى المرحوم الاستاذ سليمان غنام** ! كيف بدأت المحاكمة .. وكيف انتهت بالقبض على رئيس المحكمة وعلى الحامي الذي بدافع عنى ؟

ساحكى لك ذلك يا حبيبتي في الرسالة المقبلة .

١٦ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم ٨

حبيبتى

ما يقرب من شهرين استمرت محاكمتنا أمام المجلس العسكرى برئاسة
القائم أحمد شوقي عبد الرحمن • وكانت الجلسات تعقد صباحا ومساءً ،
وبعد أيام قليلة أصبحت المحاكمة بالنسبة لنا فرصة للقاء الأهل والاصدقاء
وتناول الأكل « البييتى » الذى حرمنا منه مدة طويلة • كميات وافرة
من اللحوم والدجاج التى لم نتذوقها منذ دخلنا السجن • كنا نأكل
فى المحكمة ونأخذ معنا أيضا • حدث مرة أن اعترض ضابط السجن
(٠٠٠) وكان معروفا بصلته بالباحث العامة ، على ادخال ما نأخذه
معنا من طعام الى السجن • شكونا لنائب الأحكام حسن سرى فأمر الرجل
بأن يدخل كل الطعام الذى نأخذه معنا للسجن ، كما كان بعد انتهاء جلسات
المحكمة يسمح لنا بالجلوس مع اهالينا بعض الوقت فى قاعة المحكمة •
قلت له يوما :

- تجدو انفسانا •• خلاف ما يحدل عليه مظهرك •• ودورك فى المحاكمة

ابتسم وقال :

- وعلام يحدل مظهرى ؟

قلت ضاحا :

- فاشى

ضحك وقال :

- وهل تأخذ بالمظهر ؟

- أرجو أن نباح لى فرصة معرفة الجوهر :

ورئيس المجلس العسكرى تكونت بيننا شبه صداقة • اذا شكونا له
من سوء معاملتنا فى السجن نادى على ضابط السجن ليناقشه ثم يأمر
بمعاملة حسنة وفق اللائحة •

ورئيس الحرس •• تشأت أيضا معه علاقة طيبة ، قال يوما :

- لقد تعودت عليك وعلى الحديث معك •• سألته بنقص فى حياتى
بعد انتهاء المحاكمة •

قلت ضاحكا :

- بسيطة •• دعنى أمرب ••

قال :

والله يا ابني لولا الولاد لكنت ساعدك على الهروب .. لكن أنا عارف
انك راح تخرج براءة .

- ومنين عرفت ؟ ..

- لقد سمعت رئيس المحكمة يهنتك .. عندما انتفتل المحكمة لماعينه
وامنعه البعض عليك .

وحقيقة .. لقد هنائي رئيس المحكمة .. كما هنائي على نور الدين
المدعي العام وحسن سرى نائب الاحكام واليك ما حبيب .

حين بدأت المحكمة في سؤال شهود الانبيات .. تضاربت اقسام
الشهود ، واحد منهم قال انه قبض على وأنا اطرق باب زمبلي مصطفى
كمال خليل مساء ، وكان مد قبض عليه صباحا .. والآخر قال انني بعد
ان صعدت بعض درجات السلم لاحظت وجود مخبرين فجريت هاربا وجرى
خلفي وهو يصيح :

- حرامي .. حرامي ..

وعلق الاستاذ سليمان غنام ساحرا .

- ما هو لو كنت قلت شيوعى .. كانت الناس ضربتك .

وقبل أن يطلب الاساذ غنام انتقال المحكمة لماعينه وامنه المص على
كان رئيس المحكمة يقرر انتقال المحكمة الى المنزل ..

وبالفعل انتقلت المحكمة الى منزل مصطفى كمال خليل وهو ينح مى حارة
درب البرابرة بالموسكى .. منزل متدبم لا ندخله الشمس اسدا .. ويبيع
فى ظلام دامس الى حد ان المرء لا يستطيع أن سرى أبعد من متر واحد
فى حوشه أو على السلم فى وصح النهار .

بعد أن نزل أعضاء المحكمة من منزل زمبلي وكنت انتظرهم فى
المسارح همس غنام فى اذنى .

- المحكمة مقتنعة تماما ببراءتك .

وقال على نور الدين :

- مبروك .

قلت :

- كان المروض أن تموم النيابة ذلك .

لم يطق الرجل

والثفت الى احمد شوقي عبد الرحمن وعزل :

- من الناحية القانونية .. مبروك .

والحقيقة اننا كنا غير قادرين على تفسير موقف أحمد شوقي
عبد الرحمن . كان يهتم اهتماما ملحوظا بكل الجوانب القانونية . ورعم ان
المدعى طلب صرات عديده أن نعتد للجلسات سريه فقد رفض
الرجل وكان يصر على علنية الجلسات ويطلب نشر ما يدور بها

فى الصحف • وبالطبع لم تكن الصحف تنشر شيئاً فيها عدا
جريدة المصرى التى كانت تتحايل على نشر بعض ما يدور فى
جلسات المحاكمة • ويومياً وطوال مدة المحاكمة كنت أقول
للاستاذ غنم أن الصحف لا تنشر شيئاً • وكان يطلب من المحكمة ضرورة
أن تنشر الصحف ما يدور فى المحكمة • وكان أحمد شوقي عبد الرحمن
يثبت فى محضر الجلسات أن الصحف عليها أن تنشر ليكون رأى العام
رقيباً على ما يدور • وكان يطلب يومياً من نائب الأحكام الاتصال
بالصحف وأن يطلب منها النشر • وكثيراً ما لم مندوبى الصحافة الذين
يحضرون الجلسات •

ومكذا تحولت المحاكمة ما يقرب من الشهرين الى نزعة • فيها ما فيها
من الطرائف ••

وفى أحد الأيام ذهبنا كالعتاد الى المحاكمة •• وقبل أن ندخل قاعة
المحاكمة خرج رئيس الحرس ليصدر تعليماته للحرس بإعادتنا الى
السجن •

مسأله ••

— ماذا جرى؟ هل أجت المحاكمة؟

لم يستطع الرجل أن يعالج الضحك وقال :

— أيوه أجت ••

— ليه؟

— لأن القاضي الذى القبض عليه !

وعنا الى سجن مصر لئلا نكث فيه شهراً فى انتظار محاكمة جديدة حتى
شكلوا مجلساً عسكرياً جديداً برئاسة اللاوا، فؤاد الدجوى •

ومع الدجوى كانت حكايات طريفه ••

موعدها معك يا حبيبتي فى الرسالة المقبلة •

١٧ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (٩)

حبيبتي

بعد القاء القبض على « القاضي » أحمد شوقي عبد الرحمن مكننا في السجن أكثر من شهر ونصف . وبدأت محاكمتنا من جديد أمام مجلس عسكري برئاسة اللواء فؤاد الدجوى في أكتوبر ١٩٥٣ .
لم تبدأ محاكمتنا من حيث انتهت المحاكمة الأولى كما يحدث في المحاكم الجنائية . وإنما بإجراءات المجلس العسكري الذي يلقي كل إجراءات المجلس السابق ويبدأ من جديد . بعد أن أفسدت المحكمة اليمينية ونادى رئيسها على :

- المتهم الأول .. عبد الرحيم عثمان - هل لك اعتراض على تشكيل المحكمة ؟

- أعترض شكلا وموضوعا .

- المتهم الثاني (...)

- أطلب التأجيل حتى ينظر مجلس الدولة في الدعوى المرفوعة أمامه بعدم دستورية تشكيل هذا المجلس .

- هذه محكمة وليست مجلسا عسكريا .

- بل هو مجلس عسكري .. وأحكامه جامة .

ويعلو صوت « الدجوى » يهدد ويتوعد .. وترتفع هتافاتنا .. الدستور .. الدستور ويطلب المحامون تأجيل الجلسة حتى ينظر مجلس الدولة الدعوى المرفوعة أمامه . ويتداول « القاضي » مع نائبي الأحكام .. ويقول :

- قررت المحكمة الاستمرار في نظر القضية .. المتهم الثالث (...) .

- تشكيل هذا المجلس غير دستوري وأعترض عليه .

ومسأل : « الدجوى » :

- ... أعترض ...

- ... أعترض ..

- لماذا تعترض ؟ سنحكم بالمانون .

- لا تملكون .. الأحكام جامة ..

ويصرخ الدجوى . يهدد مرة أخرى ويقول :

- كل الضمانات مكفولة بالقانون المتهم الرابع (...)

- هذا النوع من المحاكمات لا يقدم ضمانات .. لا للقاضي .. ولللمحامي

ولا للمتهم ..

ويعاود الدجوى صراخه .. وتتوالى تعليقات الزملاء :

- أين القاضي السابق ؟

- أين أحمد شوقي عبد الرحمن ؟

- وأين الدفاع عن المتهمين ؟

- أين الأستاذ سليمان غنام ؟

- أين هيئة القضاة ؟

- الدستور هو الضمان .

وترفع الجلسة .. وبعد خمس دقائق تعود للانعقاد . يهدد مرة أخرى ثم ينادى :

- المتهم الخامس (....)

- نرفض التهديد .

- جابوب على السؤال .

- نرفضكم شكلا وموضوعا .

ويعترض المتهم السادس . ثم المتهم السابع .. وكنت أنا المتهم الثامن .. أقول :

- أين الأستاذ سليمان غنام ؟

ويصرخ الدجوى ..

- جابوب على السؤال .

- سأجابوب .. ولكن في حضور المحامي الموكل عني .

- محامي لم يحضر .. المحكمة مالها ؟

- المحكمة تعرف لماذا لم يحضر ؟

ويستخدم محامي من مكتب الأستاذ غنام .. يقول :

- الأستاذ سليمان قبض عليه .. وهو يطلب السماح بحضوره للدفاع عن المتهم .

ويلتفت « الدجوى » الى المدعي العام :

- على النيابة ان تقوم بعمل اللازم ..

ويقول لي :

- جابوب على السؤال .

- لما يحضر الأستاذ غنام .

- المحكمة ستنتدب محاميا آخر .

- وأنا أرفض أي محام تنتدبه المحكمة ومصر على الأستاذ غنام .

(صمت)

ثم ينادى على المتهم التاسع .. و .. والثالث والعشرين .. الجميع

يعترضون على تشكيل المجلس السكري من حيث الشكل والموضوع . وفي

الساعة الثالثة بعد الظهر ترفع الجلسة لتتعد في صباح التمد .

في مساء اليوم نفسه ناقشت مع الزملاء خطتنا في المحكمة وقررنا

أن نحمل منها مظاهره سياسية نطالب بالديمقراطية والحريات السياسية والديمقراطية . ومع أننا اتفقت مع الزملاء على أن असوم بعمل دفاع سياسي ، إلا أن الزملاء في الخارج رفضوا ذلك ، بحجة أنه لا يجب التفريط في موقفي القانوني في القضية ، خاصة وأن « القاضي » السابق كان قد أبدى رأيا ببراءتي . واتفقتا على أن असوم للزميل سعد باسيلى بعمل هذا الدفاع السياسي وكنت قد انتهيت من إعدادة قبل أن يلقيه سعد باسيلى يومئذ كاف حيب أرسلناه للزملاء في الخارج لطبعه ونوزيعه أثناء العاء في المحكمة . وبالفعل بينما كان سعد باسيلى يلقي دفاعه السياسي كان زملاؤنا في الخارج يوزعونهم وكانوا قد أرسلوه الى القاضي وأعضاء المحكمة وكل المحامين .

وكان منهدا طريقا . . سعد باسيلى يلقي دفاعه السياسي من ورق مكتوب بخط اليد . . وعدد من المحامين يستمعون إليه . . ويقرأون ما يسمعون من كتيب « مطبوع » . . الصمت يلف قاعة المحكمة وأعضائها وصوت سعد باسيلى يرفع .

ونوالى المحامون يندمون دفاعهم عن المتهمين وقد ركزوا على الجانب السياسي في القضية ولم يكن الجانب القانوني يحتل في دفاعهم سوى القدر الضئيل جدا واستمرت المحاكمة أكثر من شهر ونصف . بعدهما سمعنا اشاعات قوية تقول بأن القضية سوف تحول الى محكمة الثورة . وقد ازعجتنا هذه الاشاعات . بفانوس صدق « غير الدستوري » أقصى عقوبة ينص عليها هي عشرة أعوام اشغال شاقة ، بينما قانون محكمة الثورة يصل الى الاعدام . وفي أحد الأيام همس نائب الأحكام لنا :

— اطلبوا من المحامين الاختصار في الدفاع .

— لماذا انها عرصة لرؤية الأهل وشم الهواء .

قال الرجل بجدية .

— هناك انهاء قوى لتحويلكم الى محكمة الثورة .

واستمرت المحاكمة عدة جلسات ، ثم رفعت الجلسة وأعلن رئيس المحكمة انتهاء المحاكمة في النصف الثاني من نوفمبر عام ١٩٥٣ . وبقينا في سجن مصر ننتظر إعلان الأحكام ، فالحبس المسكوي لا يعلن أحكامه في قاعة المحكمة وإنما بعد التصديق عليها من رئيس الجمهورية .

وفي ١٢ يناير ١٩٥٤ أعلن حالة الطوارئ في السجن كله وفي كل المنطقة المحيطة به . . لسبب لم نعرفه ولم يعرفه أحد إلا بعد أن وقف ٢٣ زميلا في طابور لينالوا ضابط كبير في الجيش الحكم الصادر عليهم وكان يوما مثيرا ساحكى لك عنه في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٣٠ يناير ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٠)

حبیبی

کتبت جريدة المصرى فى يوم ١٣ يناير ١٩٥٤ وصفا للطريقة التى اعلنت بها الأحكام علينا فى ذلك اليوم ، وكانت هى الصحيفة الوحيدة التى انخرطت بذلك ، وبالطبع لم يكن ذلك مجرد سبق صحفى قام به الأستاذ محمود مراد الذى كان مسجوناً ويعالج فى مستشفى السجن واستطاع ان يرى من احدى نوافذه ما يجرى فى فناء سجن مصر ، وانما كان تعبيراً عن موقف حزب الوفد من الحريات السياسية والديمقراطية . فى ذلك اليوم ظلت زننازين السجن كلها مغلقة حتى حوالى التاسعة صباحاً وهى عادة تفتح فى الساعة . السجانة يقفون خارج الزنازين لا يعرفون السبب . والمناذى الذى ينادى يومياً على أسماء المساجين الذين يستحقون الزيارة لم يرتفع صوته كالمعتاد . والأمالى الذين كنا نراهم يومياً حول السجن من شبابيك الزنازين الضيقة لم نجد لى واحد منهم أثراً . الحكاكين والقهاوى المحيطة بالسجن أغلقت كلها . ترى ما الذى حدث ؟ ربما كان انقلاباً جديداً وفرض حظر التجول منذ الصباح الباكر . سالنا السجانة والحناء فى السؤال ولكنهم صمتوا جميعاً . كما يصمت أبو الهول . وفى التاسعة صباحاً . . فتح باب العنبر . . ثم سمعنا صوتاً ينادى . . بعد ان سمعنا ثلاثة أسماء . . عرفنا انهم ينادون على زملائى فى القضية وكنت المتهم الثامن فيها . وبعد الاسم الثالث والعشرين سمعنا صوتاً :

- الأسماء دى تجيب حاجتها معاً وتندل .

افن هى الأحكام !

بسرعة اتفقت مع الزملاء على الموقف أثناء تلاوة الأحكام .

وقفنا صفاً واحد حسب ترتيبنا فى قرار الاتهام . .

قال الضابط الكبير وكان يمسك أوراناً فى يده :

- كل واحد يسمع اسمه يتقدم خطواتين الى الامام .

وبدا ينادى . .

- اتهم الأول . . عبدالرحيم عثمان .

- ١٠ سنوات أشغال شاقة .

ويهدف الزميل

- عاش كفاح الشعب المصرى
- المتهم الثانى ٠٠ (٠٠)
- ١٠ سنوات أشغال شاقة
- عاشت الحرية ويسقط الإرهاب

وعكذا ٠٠ كل زميل يهتف بعد سماع الحكم عليه حتى آخر زميل وكان حكمه ٥ سنوات وهو أقل حكم ٠ ولم يصدر حكم واحد بالبراءة ٠ لم يعترض احد من الضباط على الهنافات ٠ وطوال هذه العملية ران صمت رهيب فى كل أنحاء السجن ولم يكن يسمع به سوى هتاف الزملاء الذين يسمعون الأحكام ٠ ثم ارتفعت أصوات زملائنا فى الزنازين المغلقة وهم يرددون نشيد ٠٠ بلادى ٠٠ بلادى ٠

كنت انا ومعى ١٠ زملاء حكم عليهم بالأشغال الشاقة ١٠ سنوات ٠ وتراوحت أحكام الزملاء الباقين بين ١٠ سنوات و ٥ سنوات سجن وكانوا قد اعدوا سيارات السجن التى ستنتقل المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة الى الليمان ٠ وبدأت اجراءات تحويل ١١ زميلا من مساجين تحت التحقيق بلبسوا الملابس العادية الى محكوم عليهم بالأشغال الشاقة بلبسوا بذلة زرقاء ٠٠ مزقة ٠٠ بالية ٠ بها اعداد كبيرة من حشرات « القمل والبقي » ٠٠ ويدق فى كل قدم حلقة بهما سكة من الحديد تتصل بالحلقة الأخرى ووزنها ٤ كيلو جرام ٠٠ وتعلق فى الوسط بواسطة حلقة أخرى تعلق فى حزام جلدى ٠ ويقضى الحكم بان يظل المحكوم عليه بالأشغال الشاقة مقيدا بهذه القيود لا يخلعها أبدا ٠٠ سواء فى نومه ٠٠ او فى يفتقه ٠٠ اوجنى عند الاستحمام ٠٠

على باب سجن مصر الخارجى كانت تنتظر عربتان ٠٠ انا وخمسة زملاء ركبنا اهداها ٠٠ والخمسة الآخرون ركبوا الأخرى ٠ سارت بنا العربى الاولى الى المسان أبسى وعمل واتجهت العربى الثانية الى ليمان طوره ٠

وعندما تحركت بنا السيارة ٠٠ لحت على البعد اخى مسعد ٠ رحمه الله ٠ ومعهم زوجتى السابقة يلوحان لى من بعيد ٠٠ كانا قد أتينا الى السجن فقد كان هذا اليوم هو موعد زيارتى ! وخلال الرحلة من سجن مصر الى ليمان أبو زعبل ٠٠ كنا فنشد نشيد (بلادى ٠٠ بلادى) ٠ ونششد :

أخى ما الحديد اذا اليمسونا الحديد
لفند جهاوننا اذا حسبونا عبيدا

نجاه ٠٠ قال ولیم اسحق وهو بيتسم وقد أمسك قيوده بيديه
- الا نوثلي يا درش ٠٠ لما الواحد عزيز يستحم يخلع مدمومه ازاي ؟
وتنهف الى مشكلة حقيقبة سوف تواجها عند الاستحمام ٠

الحلقتان حول الاقدام ضيقتان جدا بحيث لا يمكن أن يخرج منها
القدم ٠٠ وجاونا جميعا خلمها دون جدوى ٠٠ كل حلقة محكمة حول
القدم ٠٠ وتصل الحلقتان سلسلة حديدية ثقيلة لا يمكن الافلات منها
الا على يد حداد ٠٠ ومتى ؟ بعد ١٠ سنوات !!
قلت ضاحكا ٠٠

- على أي حال يمكن ان نسنمب من خبرة من سبقونا .
قال ولیم اسحق ضاحكا :
- سر نسنمبوا اننو بمى ٠٠ سوف .
كان يرمع تدمه اليمنى الى اعلى ٠٠ ويمسك بالحلقة التى اخرجها
منها بيده ٠٠

قال مجددي ضاحكا :
- يا بحتك يا ولیم ٠٠ عملتها ازاي ٠٠ ؟
قال بزهر

- ده مى يا اسناذ - - امال بنلمب .
كان ولیم نخبنا الى درجة مخيفة ٠٠ ويبدو ان الحداد الذى وضع له
الحلقتمن فى يديه لم يجد حلقة اضيق من تلك التى وضعها فى
رجله اليمنى ٠٠ فقد كانت اليسرى ضيقة جدا فلم يستطع اخراج
رجله منها رغم محاولاته .

نسنمبولیم ضاحكا
- انت بمينى يا ولیم ٠٠
- انا مائى ده الحداد اللى يمينى ٠٠

بعد حوالي ساعة ٠٠ كنا امام لييمان ابو زعبل ٠٠ على جانب
الليمان كان غف الامور ومعه ثلاث ضباط واكثر من عشرة سجناء ٠٠
من بعيد سمعنا اصوات قيود مشات المساجين المائدين من « الجبل »
كان موكب العبيد يقترب منا تدريجيا ٠٠ وفى الاق كان شعاع الشمس
الاخير يختفى ٠٠ والظلام يزحف مع زحف موكب المساجين المائدين بعد
نهار كامل من الشمس فى تقطيع اجبار البازلت فى الجبل ٠ ويحيط

بهم عشرات الجنود وهم يحملون هذائهم الرئيساسه .. وعند من لاذخاط
يمنطون حولهم .

وعلى باب اللجان جلس المساجين « ديز » لاجراء التهام .. بعد دقائق
ضرب بروجى « التهام » والتمام فى لفة السحوى عو مراحمه عدد
المساجين للتأكد من مطابقة العدد لما فى دماير المسجن .. وعلى
عملية تجرى يوميا صباحا ومساء عند خروج المساجين للعسل وعند
عودتهم .

« اذن سنكون من العدد أفرادا فى حش المبيد هذا . وهل
يطول بنا العمر عشر سنوات على هذه الحال .. وهل نحمل هذا
العذاب اليومى ؟ »

وافقت من تأملاتى على صوت سجان بنادى علينا ان ننبهه . كان
السكون مخبئا تماما على الليمان .. المبيد دخلوا عنايرهم .. عدد
من السجانة والضباط بقسادرون اللجان الى بيوتهم .. وعلى باب مكتب
المأمور وقف الضابط النوبتجى وآ سجانة .. وأمام المكتب ومفنا
صفا واحد .. ما ان خرج المأمور من مكتبه حتى سمعا صوتا عاليا
يقول :

— اقمعد « ديز » يا مسجون أنت وهو

لم ننفذ .. وظللنا واقفين

عاد الصوت أكثر حدة :

— يا مسجون أنت وهو اقمعد

ظللنا واقفين .. وهم احد السجانة بعصاته كى بضرنا .. لكن

احد الضباط منعه .. وقال :

— ليه ما بتنفذوش الامر

قلت بتحد :

— لم نعتد على هذا .

— لكن انتو دلوقت محكوم عليكم بالاشغال الشاقة

ولو

— يعنى ايه ولو ؟

— بمعنى ضرورى نعامل بوصفنا مسجونين سياسيين .

كان المأمور فى مكتبه يسمع الحوار ونجاسة خرج وهو يصيح بصوت

عال :

— انتو هنا فى الليمان ولازم اللابحة تنفذ .

— وهل فى فى اللابحة امانة للمسجونين .

— بلاش فلسفة .. حكاية الشيوعية دى مش هنا .. انتم هنا مساجين .

— مساجين بس سياسيين .

زاد غضبه :

- وايه يعنى .. عايزين امتيازات ؟

- لا .. عاوزين بس تطبيق اللايحه .

تدخل ضابط كان يراقب الموقف صامتا .. كانت فى نظراته
مودة نحونا .. همس فى اذن المأمور كلاما لم نتبينه .. ثم جاء
الينا وطلب ان نتبعه . وفى مكتبه دار معه حديث ودود .. قال :
- انا طبعا ماليش دعوة بالسياسة .. وانا عمرى ما شفت شيوعيين
لكن باين عليكو ناس منقنين .. لكن طبعا لازم تنفذوا اللايحه ..
فاهمين اللايحه ..

- احنا لا نريد غير تنفيذ اللايحه .

- مضبوط .. يا الله يا سجان خدكم على القنايب ..

قلت محتجا ..

- منين لايحه يا حضرة الضابط . ومنين تودونا القنايب ..

قال ضاحكا :

- تعجبني .. اهو كده ..

لم نركنا وذعب الى مكتب المأمور .

فى السجون زنازين نسمى « القنايب » يسجن فيها المسجون الذى
يرتكب مخالفة فى السجن . وقنايب المسجون هو ان يسجن « انفراديا »
وينام على الأسفلت .. ولا يأكل الا عيش حافى وملح الثلاث وجبات ، ولا
ولا يخرج من زنزانه ابدا .

وطبعا وضعنا فى هذه الزنازين مخالفة واضحة لللائحه المسجون .

جاء الضابط (..) قاثلا وعلى وجهه ابتسامة خفيفة :

- اصل بقى فيه مشكلة .. انتو شيوعيين والمأمور مش عاوز

يخليكو مع المساجين فى العنابر ..

- ليه بقى وهو احنا مش مساجين ؟

ضحك الرجل وقال :

- خايف عليهم من المبادئ الهدامة بتاعتكو دى !

- معنى كده اتنا نعيش هنا فى سجن انفرادى .. يعنى أشغال

شاقة وقنايب كمان ..

- دى مسألة مؤقتة

ووجدنا الأمر يصلح للمساومة ..

- طيب كل ثلاثة يقعوا فى زنزانه ..

مال الضابط :

- انا عرضت المسألة دى على المأمور .. ووعنى أنه بعد كام يسوم

يخليكو تقعوا مع بعض كل ثلاثة ..

ونظر الينا الضابط نظرة ودودة وكنا قد ارتحنا اليه حيث

لمسنا منه رغبة جادة في مساعدتنا .. فوافقنا بشرط ان يتمهد
هو بتنفيذ ما وعد به .

وتعهد الرجل بذلك .

في الطريق الى الناديب .. قال الضابط (...)

- والله « الناديب » ده احسن من المناير .. نضيف ومستعل ..
زى الفيلا تمام ..

ثم صحك وقال .

- وعلى فكرة الفيلا اللي انا ساكن فيها بتطل عليكو .
قلت ضاحكا :

- يعني جيران .. والجار له على الجار سبع حاجات
قال .

- يا سيدى خليهم غسرة الا حكاية النزاور ..

- على الأقل من جانبك .. تزورنا أنت .

قال الرجل بسود :

- قوى .. كل ما اكون هنا راح امر عليكو .

فتح السجان ٦ زنازين .. دخلها الضابط الواحدة بعد الاخرى ثم

- كل مسجون له بطانية واحدة .. وبرش يا أفندم .

قال المسجون :

التفت اليها الضابط ضاحكا :

- شايفين واديني بقيت برش ..

ثم وجه كلامه للمسجون :

- امشى هات لهم كل واحد بطانية زيادة .

وزنزانة « الناديب » يا حبيبتي تختلف عن الزنازين العادية ففى

السجون والليمانات . جدرانها من الاسمنت المسلح . وناقذتها الوحيدة

فى سقفها المالى جدا ، وبابها من الحديد . وليس به سوى ثقب صغير

يسمونه فى السجون « مضارة » - أى النى ينظر المسجون منها كلما

أراد أن يهائن على وجوده ودبخته ! بعد أن يحرك قطعة الحديد

التي تدور الخارج وينظر منه بعد واحدة . هذا الثقب الذى

لا يزيد - عه عن ٥ سم هو المدخل الوحيدة بين المسجون وسجانه

عندما يفتح باب الزنزانة .

واذا حدث مرة أن أراد سجان التحدث مع مسجون وهو داخل الزنزانة

كى يسلي نفسه فهو مسجون مثله داخل اسوار مبنى « الناديب » ،

فعليه أن يحرك قطعة الحديد التى تسد الثقب ويمسكها بيده ،

ويضع فمه على الثقب ويتكلم بصوت عال (كذا .. كذا) .. ثم

يمرر بوضع أحدى أذنيه على الثقب ليمسمع المسجون (كذا .. كذا)

ومرة ثانية يضع فمه على الثقب ليرد (كذا .. كذا) ثم يضع أذنه .

ويسمع من المسجون (كذا - كذا) ، .. وهكذا حتى « يزملق » السجن
أو « يتجب » من طول الوقفة ومن وضع فمه على ثقب الباب تارة ،
ثم إحدى أذنيه تارة أخرى .. مرات يزيد عددهما كلما طال
الحديث .

دخل هذه الزنزانة ، وفي ١٢ يناير ١٩٥٤ ، وفي عز البرد ، أمضيت
الليلة الأولى . انتقلت فجة من مسجون تحت التحقيق ، يرتدى الملابس
الملكية ويأكل الأكل « الملكي » من عند « المتعهد » أو من الأهالي إلى
محكوم عليه بالإسفال الشاقة ، يلبس ملابس السجن البالية ..
ويأكل .. يفتح باب الزنزانة .. وأجد « قروانة » بها شيء لم
أنتبهه . لم أكن قد جئت بعد فلم أفكر في معرفة « هذا الشيء » !
لكن « القروانة » كانت « سخنة » ويخرج منها « بخار » . وجلست
إلى جانبها .. ربما بيعت بعض الذهب في يدي المرمنشتين ! لساعات
أسفلت أرض الزنزانه بخرو « البرش » الذي أجلس عليه ، فاهب واقفا ،
وتحرك السلاسل الحديدية بقدمني العاريتين .. أمسكها بيدي .. أزيحها
عن فمى .. فتمتص الحرارة التي أخذتها من بخار « القروانة » . دماثق
وتتحول « القروانة » هي الأخرى إلى كتلة من الثلج . أفرش بطانيه
مهترئة ، ممزقة ، على البرش ، وأجلس ولكن « انى » لبرش منسوج من
الليف وعليه هذه البطانية أن بحمى جسمى الذى أحاول تعديده من البرد
القارس .. أتمخ في يدي .. ونبت أنفاسى فيهما الذهب .. لكن جسمى
كله يكاد يتجمد .. كفتاى .. وظهري .. وصدرى .. وقدمائى ..
من أين يأتيتهم الذهب . جسم شبه عمار .. فبدوه بسلاسل حديدية ..
ويحاصره جدران الزنزانة الاسمنتية « وأرضها الاسفلتية » ، والهواء
البارد يصب على رأسى لساعات الثلجية من نافذة الزنزانة العلوية هكذا ..
طول الليل ، محاولات بائسه للبحث عن أقل ذهب .. أف تارة ..
وأجلس تارة أخرى .. وأمدد جسمى المنهك مره باليه .. والبرد
لا يرحم .. وأصوات الحراس تطن في أذنى بدن لحظه وأخرى .

- تا .. ما .. م

- تا .. ما .. م

- تا .. ما .. م

أى « تمام » . يتبادل الحراس الذى يقفون على سور الليمان الخارجى
النداء بها طوال الليل . منذ غروب الشمس حتى شروقتها فى صباح
اليوم التالى .

لا أذكر كم دقيقة نمت ، ولا كيف نمت ! وهل كان نومها ، أم
كان سقوطا فى غيبوبة ؟ كل ما أذكره أنني تنبعت على صوت « زقزقة »
العصافير التي خرجت من أعشاشها على الشجر المحيط بمبنى « التأديب »
تستقبل مولد يوم جديد . شدتني أصواتها الجميلة وأدخلت في
نفسى هدوءا سرعان ما بعده صوت البروجي يطن .

- تما ٠٠ ما ٠٠ م ، تما ٠٠ ما ٠٠ م .

اي طلع الصباح يا مدير الليمان وكله . نمام . ولم يهرب اى أحد من المسجونين ! . السجنان يضع مفتاحه فى سباب الزنزانية وأعب واقفا وفى يدى جرس البول لأذهب به الى دورة المياه ، ولأضسى « حاجة » « حبستها » طول الليل وسببت لى الاما حادة . عند عودتى من دورة المياه . وجدت على البرس ملابس سجن اخرى ولكن « أحسن شوية » من هذه التى ارتديتها فى سجن مصر .

سألت السجنان :

- البسها لازى ؟

- أنت باين عليك « كركى »

و « كركى » معناها فى لغة السجن هو عدم المعرفة بعالم السجن والليمانات !

- أيوه « كركى » خالص .

وبدا الرجل فى تعليمى كيف أخلع ملابسى !! وكيف البسها !! ورغم أن هذا السجنان وغيره كثيرين شرحوا لى عملية خلع الملابس ولبسها فأننى لا أذكر اننى استطعت يوما أن أضوم بهذه العملية المعتادة دون مساعدة السجنان قبل كل استحمام وبعد .

أشرح لك يا حبيبتى هذه العملية وأعرف أنك لن تفهمى منها شيئا ! لا صعبة فى نزع السيسور من على « وسط الجسم » . وإنما الصعوبة فى خلع الملابس ؛ ولابد الخلع اللابس من براعة كبيرة وحذق . ان على السجنين بعد نزع فردة السروال اليسرى أن يهرضا بين « الجحلة » - اى الخلفة - والساق ، وأن يعيد امرارها فى الاتجاه العاكس تحت « الجحلة » ، فبذلك تتحرر فردة السروال اليسرى تحررا تاما . ويكون على السجنين بعدئذ أن يهرز فردة السروال اليسرى تحت « حجلة » الساق اليمنى ، وأن يعيد امرارها ثانية الى الوراء مع فردة السروال اليمنى . وهذه العملية المعتادة تتم أيضا عند لبس الملابس !

وبعد أن ألقى على السجنان هذه الحاضرة .. أغلق باب الزنزانية ، وذهب الى كل زجبل .. يفتح عليه ويلقى عليه الحاضرة نفسها ثم يفلق الزنزانية ويذهب الى زميل سان .. وهكذا .. تلقى المسكين الحاضرة نفسها ست مرات .. فقد كانت أوامر مدير الليمان أن لا يجتمع نحن « الستة » أبدا خوفا على « أمن واستقرار » الليمان . وظللنا هكذا ١٢ يوما .. وفى اليوم الثالث عشر قررنا أن نتخذ موقفا . الاصراف عن الطعام .. والمطالب هى .. نقلنا الى ليمان طهر فنحن « سابقة أولى » ومكاننا هناك وليس فى أبهى زجبل الذى يضم « السوابق » ؟

أحكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٢٧ مارس ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١١)

حببيتي

في اليوم الثالث عشر لوجودنا في ليان أبي زعل لم أكن أنا فقط
الذي استيقظت مبكرا على صوت « بروجي » الصباح الذي اختلط بأصوات
زقزقة المصافير الواقفة على أغصان الأشجار المحيطة بفـرف
الزنازين .

- صباح الخير يا درش
- صباح الخير يا وليم
- صباح الخير يا مجدى
- صباح الخير يا عبد الرحيم
- وكأننا ارتكبنا جريمة لا تغتفر .. جاء السجنان مذعورا يقترح
الزنازين بكل قوته ويصيح ..
- اسكت يا مسجون أنت وهو ..
- صباح الخير يا مجدى
- صباح الخير يا وليم
- ويصيح السجنان :-
- يا مسجون اسكت .. المأمور يسمعكم
- وفيها آيه لما المأمور يسمع ؟
- يا نهار أسود .. فيها آيه .. فيها مصيبة .. فيها خصم
- ١٥ يوما
- آيه كده ؟
- ويهمس السجنان
- ده نده على من الصبح وقال لى خد بالك من الجماعة الشيوعيين
- دول .. واوعى حد يتكلم مع زميله والا راح اوديك في داهية ..
- طيب افتح علشان نروح دورة المياه
- المأمور قال لى ما تفتحش عليهم الا بوجود واحد من الضباط
- طيب روح اسده واحد من الضباط
- أمو حضرة الضابط جه
- وسمعا السجنان يشكونا للضابط (...) وتفتح زنازنتي وأتسول
للضابط .
- صباح الخير يا حضرة الضابط

يمسكنى السجان من كتفى وينهرنى قائلا :

- فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟

ويبتسم الضابط ويقول :

- صحيح .. فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟

وارد على اينسامته باينسامه خفيفة

- آه والله ما كنتش عارف ان ده مخالف **للائحة** !

- ايسوه كده .. خد بالك من اللائحة

كان يلح لنا بان لا نتهاون فى تطبيق اللائحة .. ورغم ان الضابط كان يحاول جامدا ان يبدو فى مظهر « ناشف » امامنا الا ان السجان كان فاغرا فاه من الدهشة .. كيف يتحدث مسجون مع ضابط بهتل هذه البساطة ؟

قلت للضابط :

- ممكن اصبغ على زملائى

- طيب ما انت صبحت

- يعنى نفث مع بعض شوية ..

- ما فيش مانع .. بس اجيب اذن من المامور

ثم يقول متصنعا الحده

- يا سجان افتح الزنازين كلها .. وهات المساجين عندي هنا ..

فتحت الزنازين السنة .. وخرجنا جميعا نسلم على بعضنا البعض بود ومحبة وكاننا افترقنا لسنوات ..

الضابط يتظاهر بالانشغال فى امور اخرى .. والمسجان يرتفع صوته عاليا

- **ما تحدث يكلم حد يا مسجون انت وهوه ..**

ويتظاهر الضابط بأنه قد تنبه فجأة الى جريمة حديننا مع بعض.

فيقول بحدة تبدو مفتعلة ..

- ايه ده يا مسجون انت وهوه .. تعالوا هنا ..

ونتجمع حوله .. لكن المنظر لا يعجب السجان ويصيح

- اقمعد يا مسجون انت وهوه ..

ويقول الضابط

- سيدهم يا سجان .. سيديهم راققين

ويستطرد فى سخريه

- دول ما يستاهلوش الرحمة ..

كان يشير الى ما حدث بالامس مساء عندما رفضنا ان نجلس « ديز » امام المامور ..

قال الضابط برنة افهمتنا ان علينا ان لا نقبل اوامر المامور التسي.

يقولها ..

- أوامر حصرة المأمور هي .. الحبس الانفرادي ، منوع حد يتكلم م زميله زنزانة ولحده بس اللي نتفتح مرة الصبح ومرة بعد الظهر ولادة خجس دقائق بس ..

- اذا ضبط أى شىء منوع مفيتش عبر الجلد .. سامعين ؟

- دى أوامر ممكن التفاهم فيها ؟

- دى أوامر المأمور .

- طيب بقى نفاهم مع المأمور

- المأمور مش عاوز يقابل حد

- طيب يبقى فيه طريقة ثانية للتفاهم

- أيه الطريقة الثانية دى ؟

- اضراب عن الطعام

ويبدو على وجه الضابط الارتياح ..

- يعنى مصممين على الاضراب ؟

وبابتسام خفيفة أقول

- مصممين جدا

- طيب .. يا سجان اتقل عليهم .. أنا رايع للمأمور .

ويسمتر اضرابنا عن الطعام ثلاثة ايام .. وكان هذا هو الاضراب الأول فى ليمان أبو زعبل والذى لم يشهد مثله طول تاريخه وخلال تلك الايام الثلاثة كان الضابط يأتى الينا ،

- لسه مصممين على الاضراب ؟

وكنا نفهم من لهجته ان نفضل مضريبين

وفى رابع يوم جاء الضابط يبلغنا ان النيابة وصلت للتحقيق ..

وفى الطريق لمقابلة وكيل النيابة همس الضابط .

- تمسكوا بتنفيذ اللائحة .

طالب وكيل النيابة لائحة السجون فوجد ان ما يجرى معنا مخالف لما

جاء بها فسال المأمور عن السبب .

وكانت اجابته

- الأوامر التى عفى .. اعمل ايه ؟

قال وكيل النيابة بغضب

- أوامر مين .. أنت عندك اللائحة تنفذها .

وأمر وكيل النيابة بمنح الحبس الانفرادى ، وأمر حقتنا فى الطابور

الصباحى وطابور بعد الظهر .

قلنا لوكيل النيابة

- باقى حاجتين .. ان نخرج الى العمل فى الجبيل .. وان ننقل الى

ليمان طرة .

- دى بقى حاخات مش فى الثلاثة ويرجع فيها الى المصلحة . ووعدها
يرفع مذكرة الى مصلحة السجون .

كانت رغبتنا فى العمل فى الجبل عو الخروج للشمس والهواء ولو
حتى فى موكب « العبيد » فلم بعد نطيق الحلو فى زئرانته مقملة نخرج
منها للنسحة فى داخل مساحة صلبة جدا . وكان مطلبنا للنمل الى
ليمان طيرة مستند الى أن السابعة الاولى فى حكم الأشغال الشاقة
مكانه ليمان طيرة حبث العمل فى الجبل عو تكسر الحجر الجيرى أما ليمان
أبو زعبل فهو مخصص لأصحاب السوابق لأن العمل هناك هو تكسير
الحجر البازلت .

ولم يسمح لنا بالخروج الى الجبل الا بعد شهر .. وكان يوما مشيرا -
أقص عليك أحداثه يا حبيبتي فى الرسالة المقبلة .

٢٩ مارس ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٢)

حبيبتي

شهر كامل منذ جئنا الى ايمان ابو زعبل ونحن لا نعرف شيئا عما يجري في خارج الاسوار . المحف ممنوعة تماما ، وليست لنا اى صلة بالمساجين . السجان هو صلتنا الوحيدة بالعالم الخارجى . وعيشنا راحت كل محاولتنا مع سجان الصباح أو سجان المساء الذين لم يتغيرا أبدا فكلما صامت لا يتكلم خوفا من المأمور الذى نبيه عليهما مشددا بعدم الحديث معنا على الإطلاق . وطوال شهر كامل لم ندخن خلاله نفسا من سيجارة . كان عزاؤنا أن لوليم اسحق قدرة مائلة على الحديث . فكننا نقضى ليلالى بكاملها نستمع اليه . حتى أن زملاء الزنزانة الأخرى احتجوا على وعلى مجدى فهمى لاننا نستأثر بوليم فاتفقنا أن يبيت ولیم كل ليلة في زنزانة .

وفي ذات يوم مرض سجان الليل وجاء آخر بدلا منه كان اسمه عم على . يبلغ من العمر أكثر من ٦٠ عاما . أطلق عليه ولیم اسم عم « كاككا » .

— لماذا كاككا يا ولیم ؟

— هو كسده مفيش أسم ينفعه الا كاككا . .

في المساء طلبنا منه سيجارة . . لم يتردد الرجل . . اشعل سيجارة وتناولناها من ثقب الزنزانة . . وعندما وصلت السيجارة الى نصفها بعد أن تبادلناها نحن الثلاثة . . جاء صوت من الزنزانة الأخرى .

— عاوزين نفس يا عالم

وجرى عم كاككا ليمطيهم سيجارة أخرى .

وجرى حديث ظريف ، وبعد أن اطمأن لنا الرجل سأل ولیم .

— أية الأخبار يا عم على ؟

— الحمد لله . . كله كويس

— ما تعرفش حاجة عن أخبار الحكومة

— ما لها الحكومة كويسة . . النحاس باشا راجل عال المال

— النحاس باشا . . النحاس باشا ما له . . جرى له حاجة ؟

— حاجة أية ده رئيس الحكومة

— النحاس باشا رئيس الحكومة يا عم على . . ؟

— ايوه طبعا أمال مين . . ؟

وابتعد الرجل بعيدا .. ورخت كل عاونا عسا عن كل أن يعود
الينا لفنهم شيئا .. ولكن يبدو أن نرحل سمر به تحب
صعنا أكثر من اللازم غرقى بعناد أن يماود التحبب مرة أخرى ..
ورحنا طول الليل نحلل الموقف السياسى . معقول جدا أن نعود
الوفد الى الحكم .

ليس من المعقول أن عم على مهما كان ابتعاده عن السياسة لا بحرى
ان النحاس باشا بعيد عن الحكم مد وقت طويل نهل عاد حنا
ومن المؤكد أن عم على يعترف أن هناك سلطة جديدة وحكومة جديدة
منذ أكثر من عام . لا بد أن شيئا جديدا مد حدث .. معقول جدا
أن يعود الوفد للحكم . ربما رضخت سلطه ٢٢ يونيو لضغط النسيب
وتولى النحاس رئاسة الحكومة . ومكثنا طوال الليل نحلل الموقف السياسى
بعد أن تولى الوفد الحكم وكأنه أصبح حنقة . وبالطبع خرجنا
بنتيجة منطقية هي أن الوفد سيعتمد فى حكمه على اطلاق الحريات
السياسية والديمقراطية وبدا أمل الافراج عنا فى الامن ثم رحنا
فى نوم عميق نحلم بالافراج عنا .. بالحرية .

وفى الصباح الباكر سمعنا صوتا عاليا بطلب أن نستعد للخروج .
صاح وليم اسحق فى سعادة بالغة .

— مش قلت لكم .. افراج .. يحيا الوفد

ويتولى مجدى فهمى

— أصبر يا وليم لما نشوف أية الحكاية .. أنت دائما متنازل
ويرد وليم

— أنا صحيح فنان ومش سياسى زيكو .. ولكن عندى احساس
فتحت الزنزانتان وخرجنا منهما .. لبس من أجل الافراج ..
ولكن للعمل فى الجبل .
علق وليم ضاحكا .

— أهوه برضه خروج .. نشم الهواء ونقع فى الشمس
ضحكنا من الاعماق .. لم نفقد الأمل أن يكون النحاس باشا
قد تولى الحكم بالفعل .. وضرورى من كام يوم وسوف يفرج عنا .
ولكن أحدا لم يصرح بما فى نفسه لزمه .
كان خروجنا الى العمل فى الجبل أمر: متدرا لكل المساجين الذين
سمعوا عنا ولم يرونا أبدا . كنا محور حديثهم طوال الشهر
الذى أنقضى . وكثرت الأحاديث حولنا بين المساجين والسجانة . لاحظنا
هذا عندما وضعونا فى مؤخرة طالبور المساجين . رأينا الجمينع ينظر
خلف ظهره ليرى هؤلاء الشيوعيين الذين تفرض عليهم هذه الحراسة الشددة،
أطلقوا علينا اسم « الفرقة الخصومة » وكان يحرسنا حارسان
وصول وضابط أى أن أربعة يحرسون ستة ، وهذه حراسة خاصة . الى

حبيب الحرسة العامه المكونه من عشرات الجنود والضباط .
سرتنا في نهاية طابور العبيد في طريقنا الى الجبل . ومن حسن
حظنا أن ضابط العمل كان في ذلك اليوم صديقنا الضابط (. . .) . اقترب
مننا ودون أن يلتفت لنا وهو مركب حصانه قال :

- أرى الحال .

- الحمد لله . . . أياه حكاية النحاس بانسا ؟

لم يسطع ارجل أن يمسك نفسه من الضحك .

- نحاس بانسا مين . . . أنت بنحلم . . . ؟

يجدبت كل احلامنا . . . كل النحللات السياسية راحت عينا . . .

جراك الله با عم كاكنا .

ووصلنا الى مكان العمل . . . الى الجبل . . . حفرة مائلة يبلغ اتساعها

أكثر من عشرة كيلو مترات . . . يحيط بها جبل كبير من حجر البازلت والعمل

هناك مقسم ، معه مجموعة من المساحين تضخ الديناميت في فتحات

الجبل ثم يحدون . . . وعده مجموعة ثانية تحمل أحجار الكبيرة بعد

أن سفح الديناميت . . . وعده مجموعة ثالثة تحمل أحجار البازلت الضخمة

الى مجموعات مشرفة من المساحين ليقوموا بتكسيرها بالشاكوش الى

قطع صغيرة . . . وبعداً عن كل المساحين جلسونا في ركن بعيد . . .

يحرسان السجانان والنصولي والضابط أكثر من نصف ساعة لم نتكلم . . .

ننظر الى ما حولنا منسودين . . . كلما حاول مسجون الاقتراب منا

نهره الحرس بسده ليعبعد خائفنا . . . ثم جاء الضابط وقال :

- ثوقت بنى . . . كل واحد بكسر ٧ خلقان من الحجر ده .

- جبر أبه الى تكسره ده .

- حجر البازلت ده .

- ما غفناش خبره بالمسنة دى .

- كلها يوم وعرفوا

لننا باصرار .

- لا يوم ولا يومين - احنا مكنا مس عنا . . . عاوزين نروح ليمان

طوره .

وظهرت ابنسامة على وجه الضابط

- لازم نعملوا الطريقة لغاسه ما تروحوا ليمان طوره .

١ - لا طريقة ولا غيره مضربين عن الطعام

وأرتاحت أسايرير الرجل . . . وقال بلهجة التي اعتنناها والتي تعنى

التشجيع . . .

- يعنى مصريين على الاضراب .

- أيوه مصريين .

بعد أن اتخطنا قرار الاضراب عن الطعام . . . كان أمامنا مشكلة

إرسال خطاب الى زملائنا فى الخارج . كيف : يمكن عن طريق واحد من المسجونين العاديين . ولكن كيف نفصل بهم ، نحن محاصرون من كل جانب . نجلس بعيدا عن كل المسجونين ولا يستطيع أحد منهم أن يعبر عنا . والسجان يلأزمنا لا يتركنا لحظة . والوصول بأى اندس نحس والحين « ينعم » علينا . قلت **لوليم اسحق :**

– تصرف يا ولیم

يمسك ولیم بيد الزميل عبد الرحيم عثمان ويضرا له 'كف' . وكما يقول ولیم شبتا يبرد عليه عبدالرحيم .. مضبوط .. نمام . والسجان فاغر فاه من الدهشة .. فجأة يقول لوليم ..

– ممكن نشوف كفى ؟

– قوى .. قوى ..

ويستنمر ولیم فى متاعلة السجان وقتا يتمكن خلاله مجدى فهمى من لمح مسجون من حى «بلاق» ويتعرف عليه ..

– أنت مجدى فهمى أخو مصطفى فهمى ؟

– آيوه ..

– أنت شبيه تمام ..

– عاوزين خدمة صغيرة ..

– ريفتى ..

ويذهب المسجون (...) ويحمل حجرا كبيرا ويأتى به إلينا ويضعه أمامنا .

ما أن يراه السجان حتى يصيح ..

– ايه اللى جابك هنا يا مسجون ؟

– حضرة الوصول مال لى أعلمهم ازاي يكسروا الحجارة .

ويقول ولیم للسجان .

– خليك معايا أنت .. ما تبولغش السفل .

وبواصل قراءة **كف السجان** . بينما ينتن مجدى مع صديقه المسجون

(...) على توصيل خطاب كتبه على ورقة صفده كان ملصقا فى بطن

الجبل « وبعبق » لم رصاص كان المسجون . بخبئه فى ملابسه . يعطيه

مجدى للمسجون (...) ويسأله .

– اهتى بوصل الخطاب ده لآخى مصطفى ؟

– النهارده راح يكون عنده !

فى اليوم التالى لم نخرج الى العمل ولدة أربعة أيام وصلت خلالها

الى ادارة اليمان ومصلحة السجن برقيات من أهلينا تطالب بتحقيق

مطالبنا ونقلنا الى ليمان طره . وفى اليوم التالى (الخامس) وصلت

النيابة للتحقيق . كان مطالبنا محدد هو النقل الى ليمان طرة فنحن

سابقة أولى . وأن نخرج الى الجبل حتى يتقرر نقلنا الى ليمان طرة

من قبل مصلحة السجون ، وحين اعترض المأمور على خروجنا الى الجبل
سأله وكيل النيابة عن السبب . فقال بغضب . .

- يا بيه دول في أقل من ٤ ساعات اتصلوا بأهاليهم وجت التلغرافات
ترف .

يقول وكيل النيابة :

- شدد الحراسة عليهم .

ويرد المأمور

- أكثر من ٢ سجانة وصول ؟

ورفض المأمور بأصرار أن نخرج الى الجبل ولما هددنا بالاضراب عن
الطعام سمح لنا بالخروج وكنا نعتبر الخروج كل يوم بمثابة تزهة
وخلال هذا الشهر استطعنا أن نحصل على بعض الصحف وأن نرسل خطابات
الى الخارج .

بعدها نقلنا الى ليمان طرة . ولكن في منتصف ذلك الشهر جاءت
عائلتنا لزيارتنا . فالحكوم عليه بالأسغال الشاقة يستحق الزيارة
بعد ٤٥ يوم . . وجاء أخى مسعد وزوجتى السابقة لزيارتى . . وهى
زيارة تستحق أن أكتب عنها رسالتى المقبلة بأحببتى .

اول ابريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٣)

حبیبتی

مضى علينا شهر ونصف لم نحلّ قفونا كان كل ما بنصوّر
بشاعة مطهره حين ينظر الى زميله • الأمواس ممنوعه في السجن • غير
ان ذنوب كل المساجين ناعمة تماما • فالجمع عندهم أمواس وحلمون
ذقونهم • ولم يكن بوسعنا أن نحصل على أمواس حتى يوم موحتنا
بزيارة أهاليّنا •

نادوا علينا للزيارة وسط حراسة مشددة • والزيارة في السجن نتم
من خلال حاجزين من الاسلاك ببعدان عن بعضهما حوالي متر ونصف •
يف المسجون خلف الحاجز السلّكي داخل السجن وبف الزائر
حلف الحاجز الآخر القريب من باب السجن • وبدن الحاجزين بف السجّانة
حتى لا نتكلم المساجين مع أهاليهم كلاما خارجا عن القانون • أو نقوموا
بتهريب ممنوعات •

كان في زيارتي أخى مسعد • رحمه الله • وزوجتي السابعة •
كما ان علاقة الدم وحدها ليست كافية لقيام علاقة انسانية
حقيقية كذلك فان علاقة الزواج وحدها ليست كافية لبناء علاقة
حب حقيقية • واليوم بعد أكثر من ٢٢ عاما وأنا أحاول ان أستعيد
ماذا كانت عله مساعري وأحاسيسي جبال أخوتي عامة ومسعد خاصة ،
كذا مساعري وأحاسيسي جبال زوجتي السابعة أجد أن علاقتي بأخى
مسعد كانت علاقة انهما ، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، بينما
كانت علاقتي بأخوتي الآخرين مجرد علاقة دم • أما علاقتي بزوجتي
السابعة فلم تكن أكثر من علاقة عطف من جانبى ، وحب مريض من جانبها •
وأعود بذكريتى الى ظروف تعرفى عليها •

ذات يوم من أمام صيف ١٩٥٠ دعائى زميل فى العمل الى رحلة
نيلية "الى القناطر الخيرية" ، وتطلت الدعوة كنوع من التغيير فى حياتى
البومية التى لا تتغير • العمل صباحا ثم الاجتماعات التنظيمية حتى
ساعة متأخرة من الليل ثم أعود الى حجرتى الجرداء من كل شىء •
سوى سرير صغير وبعض الكتب الملقاة على أرض الحجرة • • وحيدا لا أجد
من أتبادل معه كلمة •

على سطح السفينة المتجهة الى القناطر الخيرية صعدت الموسيقى
الراقصة وراح الجميع يغنون وأنا جالس بعيدا تتضارب الأفكار فى

رأسى • هل يتفق هذا مع القبح الثورية ؟ مرة أقول لا ومرة أخرى • • ماذا
فى هذا ؟ وهل برمى البورى ؟ ولماذا لا والوقت الذى يروح فى الرقص والغناء
هل هو وقت ضائع ؟ البورى لا يجب أن يضيع وقته ؟ كل الوقت يجب
أن يكون للبورة • ولكن أليس من حق البورى أن يستمتع أحياسا بمنزل
عذه الحبيسة ؟

بقيت هكذا منزه • • لا أجد اجابة واضحة على ما يدور فى رأسى • •
حتى وجدت نفسى محاطا بزميلى فى العمل وصديقته ومبهمى
صديقتهما •

• لماذا لا ترقص ؟

• لا أعرف •

قال زميلى ضاحكا :

• الرقص لا يتعارض مع السياسة •

ويسطررد :

• يا اخى أن ليدنك عليك حقا •

وفالت منمى برقة :

• أعلمك الرقص • • هناك فى مؤخرة السفينة

وبشكل تلقائى وجدت نفسى أرقص معها •

وبعد قليل صاحت :

• أنت هابل • • تعال بقى نروح « البست »

ومرة أخرى أجد نفسى بين أعضائها نرقص مع الراقصين •

رقصت معها طول وقت رحلة السفينة الى القناطر الخيرية •

كانت هذه أول مرة أذهب فيها الى هناك • وبشكل تلقائى وجدت

نفسى أسير معها ونجلس على الحشائش وما كنا نبدأ حديث التعارف

حتى سمعت من بصبح عليها • •

• ماما • • ماما • • عاوزين نركب فلوكة •

كانت طفلة عمرها سبع سنوات وطفل لا يزيد عن ٩ سنوات • قالت

وضحكة حزينة تملأ وجهها •

• تبتى • • ولوسى • • أولادى •

يبدو أن تعبيرات وجهى • • كشفت ما فى أعماقى وقتئذ • • ما الذى كان

فى داخلى • كان عمرى وقتئذ ٢٥ عاما ولم تنسا بينى وبين امرأة أى

علاقة عاطفية أو حسية • فما الذى كان يدور فى رأسى ؟ •

قالت والدموع تجرى من عينيها :

• ولكنى الآن مطلقة • •

قلت :

• وهل عندكم طلاق ؟

قالت :

- أعلنت إسلامي حتى أحصل على الطلاق .

وبدأت تحكي مصتها والمصوع لا تجف في عينيها .

كان أبوها الإيطالي الجنسية مهندساً معمارياً وسنغل وظائفه كبيرة في وزارة الأسغال . ولدت في روما وخضرت وهي طفلة مع والدها وأخوها الذي بكبرها وأختها الأصغر منها . بعد سنوات أصبح أخوها مليونيراً من أعمال الماوالاب وبروحت أختها من أمريمي وسافرت معه . ولما توفي أبوها وتزوج أخوها وترك المنزل بعد أن تركه أختها ، وجدت نفسها وحيدة فقد توفيت وأندما منذ زمن . كان عمرها يوم مات أبوها ١٨ عاماً . لا نعرف من العربية إلا كلمات قليلة ونعيش في سمة كبيرة وحيدة إلا من مربية عجوز ترعاه . وكانت عائلة لبنانية تسكن في الشقة المجاورة لها . وفي إحدى الحفلات التي كانت تقيمها ذه العائلة تعرف عليها سابع لبناني وتزوجته حتى لا تعيش وحيدة . وفي بيت الزوجية وجدت ما لا نفع مع فتمها الإحلاطه . حلال يقيمها للزوج ويدعو إليها أصحاب بارره في الدوايه وبعض رجال الأعمال لعدد صفات . وكثيراً ما كان يخرج ويتركها مع بعض صوفه ١

اشتكت إليه مراراً من تصرفات أصدقائه . في البداية كان لا يعلق على سلوكها . ثم انتهى به الأمر أن كان يطلب منها مقابلة بعض أصدقائه أثناء غيابيه عن المنزل كي يستطيع أن يعمد معهم صفقات تجارية . ورفضت بإصرار وضربها أكثر من مرة . وذات يوم هربت من المنزل هائمة على وجهها إلى أن استقر بها المقام مع عائلة فقيرة في حي القلعة . ومكنت هناك ٧ سنوات نجيك الملابس لاهل الحي كي تعيش . وحين أعلنت رغبتها في الإسلام وجدت من يساعدها من أهل الحي . وبإعلان إسلامها حصلت على الطلاق وعادت إلى أولادها الذين كانوا في منزل جنتهم حيث لم تستطع البقاء أكثر من شهر . فأجرت شقة مستقلة ورفض زوجها السابق أن يأخذ أولادها وعاشت معذبة سنوات أخرى حتى سمح لأولادها أن يعيشوا معها كل يوم أحد . يوم عطلتها حيث كانت تعمل في أحد المحلات التجارية . قالت لها .

- أولادك ينفظرونك كي تركبي معهم المركب .

قالت :

- تركب كلنا معاً .

وتلقائياً وجدت نفسي مع الأم ولديها والمركب تخفف بنا في عرض النيل . ووجدت الأولاد يتعلمون في رقيتي أقبليهم ويقلونني . وخلال رحلة العودة إلى القاهرة والتي بدأت مع مغيب الشمس ، ظالت

أرقص معها طول الوقت .. ضمتها الى صدرى .. وضممتنى وغنينا
أكثر من مرة فى أكثر من قبلة .

ومن مرسى الباخرة فى روض الفرج ركبنا الترام حتى بساب
الحديد ، ومن هناك ركبنا المترو الى مصر الجديدة وكانت ابنتها تمسك
بيدى فترة .. ثم يحتاج الابن ويطلب حفه فى ان يمسك يدى ..
حتى أوصلتهم الى بيتهم فى مصر الجديدة .

وجبت نفسى أفكر فى هذا الذى حدث اليوم عندما انفردت بنفسى
فى حجرتى على السطوح فى حداثى القبة . لم اصل الى شئ، محدد
سوى اننى فى حاجة الى امرأة .. ولكن ليست أى امرأة .. ربما كنت فى
حاجة الى امرأة من أجل علاقة حسية .. لكن تجربتى كشباب
أكدت لى ان ما اطلبه ليس مجرد علاقة حسية .. انما اطلب شيئاً آخر ..
اطلب الحب . ولكن ما هو الحب ؟ حقيقة لم اكن اعرف .. ولم اعرفه
بعد ذلك الا أخيراً وبعد أكثر من ٢٢ عاماً .

فى مساء اليوم التالى كنت انتظرها على باب المحل التجارى الذى
تعمل به . فوجئت بى فلم تكن على موعد سابق . عرضت عليها
ان نذهب الى سينما صيفى فوافقت . وبعد السينما ركبت معها المترو
حتى بيتها . وعندما عدت الى منزلى سألت نفسى مرة أخرى .. ما الذى
أريده بالتحديد ؟ يبدو اننى فى حاجة الى علاقة انسانية .. فى حاجة
الى حضان حرمت منه بعد وفاة أمى التى كانت تحبنى حباً يفوق
كل حبها لاختوى . وتذكرت يوم ماتت أمى .. أصرت على ان تضع
راسها على رجلي وهى تلفظ أنفاسها الأخيرة .. كانت آخر كلماتها .

- خذ بالك من مسعد يا مصطفى .. خليه يكمل دراسته .. مسعد
أمانة فى رقبتك انت يا مصطفى .

وعادت بى الذاكرة الى عامين قبل ذلك اليوم . بعد وفاة أمى تحول
المنزل الى جحيم . كانت أمى رحمها الله تعرف اننى كنت أعمل بالسياسة
وكانت تخاف على وعلى مسعد ، ولكنها كانت تحمينى من أبى ومن اخوتى
الكبار ، بموتها فقدت أنا ومسعد الحماية فى منزلنا بشبرا فتركناه
الى غرفة فى العباسية ، ولتفقت مع مسعد على اقتسام مرتبى حتى يكمل
دراسته ويجد وظيفة .

ربما كنت فى حاجة الى حضان ؟ ولكن ليس فقط حضان الأم .. انما
حضان المرأة فأنسا أريد حقاً ولكنى أيضاً أملك القدرة على العطاء ..
والعطاء بسخاء . حقا اننى أعطى للنضال الثورى كل ما أملك من حياتى ..
ولكن هل يغنينى هذا عن علاقة خاصة جداً مع امرأة ؟ .. وهل هذه
المرأة هى التى يمكن ان تنشأ معها مثل هذه العلاقة ؟

وظل السؤال بلا جواب حاسم .. وجئت نفسى فى ذات الوقت

أقابلها يوميا أما فى عملها أو فى أى مكان آخر كلما سئمت لى ظروف العمل السياسى . وذات يوم كنت اقوم بتوصيلها الى منزلها قابلت وليم اسحق ومعه صديقته التى تصادف انها تعرفها . وذهبتا جميعا الى موسم وليم وكان يطيب لى ان اذهب اليه كلما سئمت لى الفرصة فى جلسات انسانية رائعة .

بعد أيام عرضت على وليم هذا السؤال الذى لا أجده له جوابا .
سألنى : هل تحبها ؟

سألته : وما هو الحب ؟

قال : علاقة انسانية وعاطفية .

قلت : وفكرية أيضا

- اذا توفر يكون افضل

- اذن فاننا لا احبها

- ولكنك لا تستطيع الاستغناء عنها

- ربما

- بل من المؤكد

- لنفرض ذلك

- فلتكن علاقة

- حسية ؟

- وانسانية

- احساسى انها لن تكون تلك العلاقة التى انشدها

قال ضاحكا :

- وما هى مواصفات هذه العلاقة التى تنشدها ؟

قلت باسسى :

- المصيبة لا أعرف مقوماتها

واعدت مناقشة هذه المسألة مع عدد من الزملاء المقربين . بمعد المناقشة ازدادت حيرتى . مشكلتك هى العلاقة الحسية .. ولتكن قاصرة على هذا فقط . مشكلتك هى الاستقرار فى بيت وحاجتك الى الحنان . يا اخى تزوجها واخلص فسوف يساعدك ذلك على الاستقرار النفسى حين تحل مشكلتك الحسية ... و . و . و . ونصاعفت حيرتى عشرات المرات وكانت تتحول الى أزمة نفسية ..

وذات مساء . . . ودون أى حديث سابق .. طلبت منها ان نتزوج . وافقت فوراً . وسألتنى متى ؟ قلت الآن وفورا . وذهبت الى مافون فى شارع الجيش ومعى صديقتان مررت عليهما فى الطريق وجاءا معى كشاهدين على العقد وفى اليوم التالى قمت بايجار غرفة مفروشة حتى اسسنا شقة قامت هى بالنصيب الاعظم فى مصاريفها . ومكثت معها ١١ شهرا بعدما لقي القبض على . وخلال تلك الشهور رغم كل العناية التى

كانت توليها لى ، ورغم حنانها وحبها وتقديرها الذى وصل الى حد تكليفها ببعض الاعمال التنظيمية ، فاننى لم اشعر يوما بان هذه هى العلاقة التى احتاج اليها .

حبيبتي ..

لقد افضت فى حديثى عن زوجتى السابقة قبل ان القاه فى اول زيارة بعد صدور الحكم على بالاشغال الشاقة ١٠ سنوات . ربما عى محاولة لتفسير مسلكى الجاف معها فى الزيارة .

ما ان رأتنى حتى راحت تبكى ببتنج ..

واحترت .. هل تبكى حزنا على مظهرى .. الملابس الممزقة .. والقيسود فى اقدامى .. وفقنى الطويلة ! .. ام تبكى لامترافنا ؟ قلت لها بلا أى مقدمات

- انا افضل الانفصال

رفضت بشدة رغم الحاحى وغالت انها تفضل الموت على الانفصال .. غير أنه بعد ٦ سنوات لم تقم خلالها بزيارتي الا مرات قليلة وصلنى

حكم المحكمة فى الواحات بالانفصال .

الغريب اننى لم افكر فى مسألة انفصالى عنها الا فى الدقائق الاولى من الزيارة . والاغرب اننى لم اشعر باى أسف بعد الزيارة ولا بعد ان انمصلنا . حتى اننى خسيت ان يكون موقفى هذا لا انسانيا . على ان الاعجب من هذا وذاك هو اننى بعد خروجى من السجن بعد ١٢ عاما ورغم مقابلتى الجافة لها حين جاءت لمقابلتى فقد تزوجنا مرة أخرى بعد خروجى بشهرين ثم انفصلت عنها بعد شهر واحد ولم أرها بعد ذلك ابدا حتى اليوم . وايضا لم اشعر باى أسف رغم انها قامت بكل ما يمكن ان تقوم به امرأة من أجل رجل تحبه حبا مريضا .

لكن حصيلة الزيارة كانت انسانية احدى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي

٣ أبريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٤)

حبيبتي :

رغم شدة القيود التي كانت مفروضة علينا خلال الزيارة ، فقد كانت
الحصيلة كبيرة . الأربعة أعداد الأخيرة من « راية الشعب » جريدة
الحزب والعدد الأخير من « الحقيقة » نشره الحزب الداخلية . ورسالته من
زملائنا في الخارج ، عرفنا من الرسالة أننا سوف ننقل قريبا إلى لبنان طرء وان
حملة كبيرة خارج البلاد من أجل تحسين معاملتنا من قبل الحزب والقوى
التقدمية في أوروبا مد أحدثت أثرها . ومارنا أعداد « راية
الشعب » و « الحقيقة » وكانت لنا عليها بعض الاعتراضات
أرسلناها للمكتب السياسي للحزب . أما عن حالتنا المعيشية
فقد ارتفعت نسبيا حيث أصبح في مقرتنا أن نسترى سجاير وحلاوة
طحينية فقد وضع أماليينا في كانتين السجن ٢ جيرة باسم كل منا .
وهذا شيء عظيم جدا . فقد أصبح في وسعنا أن نستري علب سرتين
وسلحون وبعض المكولات الأخرى . كانت سعادتنا كبيرة وقضينا
الليل كله تقريبا في القراءة والمناقشة والدراسة واحتلت أخبار الزيارة
جزءا كبيرا من الوقت . كان مجدى فهمي يملك القدر الأكبر من حصيلة
الزيارة . حكى لنا كيف تقوم **والسحرة** التي تقدم بها السن بنشاط
كبير بين أمالي المسجونين السياسيين . تجمعهم أحيانا كي تذهب بهم إلى
مصاحبة السجون لتقديم مذكرة بشأن سوء المعاملة مثلا . وترسل البرقيات
للمسؤولين إذا اضربنا عن الطعام لطلب النيابة للتحقيق . وحدث حين
وصل البها خطاب مجدى الخاص باضرابنا الأخير . . رفضت ان تسلمه
إلى أحد الزملاء إلا بعد ان تأكدت من اخي مسعد بأنه يمكن الاطمئنان
إليه . ومجدى فهمي أصغر أخوته وهو أقربهم إلى أمهم . . لا لأنه آخر
الغفود . . ولكن لأنه « مدبر » ونسأله كما يقول أمه دائما . . وتكفل . .
خصوصا بعد ما بقي سيئس . . وكانت تخشى ان تقول « شيوعي »
خوفا عليه ، حتى بعد القبض عليه لم تطلها كي لا تكون دليلا ضده
في المحاكمة ، ولكن بعد الحكم عليه لم يعد هناك ما يعنينا من ذلك ،
وزوجات أخوة مجدى وأولادهم يحبونه كثيرا . عند كل زيارة تحدث
خاتمة بينهم . من الذى يذهب للزيارة ؟

الأم تمسكت بحفها في الزيارة باسنمرار .. لكنهم اعدبوا ان عسدا
انانيسه . وانفقوا على ان يقوم مجدى بحل المسئلة وكان الحل هو ان
تاتى امه فى كل زيارة يصحبها من تقع عليه القرعة بين البافين الذين
لم يزورونه بعد . وفى الزيارة الأخيرة وقعت القرعة على « منى » ابنة
أخيه والتي كان مجدى مى شوق شديد لرؤيتها .. مقد جائنه مى « الحلم »
قبل الزيارة الأخيرة بايام !

- واخبار الجو ايه يا وليم ؟

لم يستطع ان يحفى رنه الاسى فى صوته .. وقال بسخرية :

- جو ايه اللى انت جاي تقول عليه

ويكمل مجدى ضاحكا ..

- وهو « الجو » يعرف برضه معنى الحب ايه ؟

يقول وليم وكل تعبيرات وجهه تنطق بالآلم :

- حب ايه .. و « جو » ايه .. ميبونا من الحكاية دى .

وليم اسحق فنان عبقرى .. وانسان بفيض رقة وعذوبة .. تسدرته
على العطاء ، هائلة ، كانت له تجربة مع فتاة كنت اخشى عليه منها .
كان يحبها حبا جنونيا .. رسمها فى أكثر من ٢٠ لوحة ، وكانت كلما تدلت
عليه كلما ازداد تعلقا بها . كان يدرك أنها لا تحبه ولكنها
لاتتركه لحظة واحدة حين يكون فى رسمه ..

ذات يوم وكنت فى رسم وليم .. لاحظ اننى وضعت عددا من اللوحات
التي رسمها لصديقتة (...) ورحت اتأمل فيها قال :

- علوز تعرف ايه ؟

- علوز اعرف ما تقوله فرشاتك .. ولا يقوله لسانك

- وهل عرفت ؟

- لم اعرف .. وانما احس

- وماذا تص ؟

- لم اصل بمد الى مرحلة نقل الاحساس الى كلام .

ويضحك بصوت عال محاولا اخفاء ألمه .

- انت يا درش .. فكى جدا .. وغويط خالص .

كنت فى خوف دائم على وليم من أى حديث مباشر عن صديقته . انه
يعرف ان العلاقة من جانبه هو فقط .. ولكنه كان يهرب دائما من هزم
الحقيقة مكتفيا بالجو الانسانى الذى يشعر به عند وجودها معه فى الرسم
قال لى قنجاه ..

- هيئة قالت لك حاجة

فوجئت بالسؤال . ما دفعنى الى محاولة معرفة شعور وليم نحوها
من خلال مقارنة لوحاتها المختلفة ، هو انها قالت لى بوضوح انها لاتحبه

حيث لاتجد فيه الاخر الذى ترسده وهو بالنسبة لها فنان كبير وانسان عظيم يملأ جانبها من حياتها !
قلت

- راح تقول ابيه يعنى .. دى معجبة جدا ببيك يا وليم
ادركت انى اخطأت التعبير .. وحاولت تصحيح الخطأ .. لكنه أسرع
يقول والالم يكاد يمزقه .
- ما انا عارف .. مجرد اعجاب ..

وساد الصمت دقائق .. ثم جاءت صديقه (...) ورابت
تعبيرات أخرى على وجه وليم .. تعبيرات طفل عثر على لعبته التى ضاعت منه .

كان من المستحيل ان يستمر الحديث مع وليم عن صديقه .. لكننا فهمنا كل شيء . وتاكّد فهمنا بعد ذلك .. بعد القُبْص على وليم دخلت الفتاة فى علاقة أخرى مع آخر كنت اعرفه ولا ارتاح اليه سياسيا واضح أمامه علامة اسنفهام .

وسادت فترة صمت رحنا بعدها فى نوم عميق حتى استيقظنا على صوت « البروجي » وزقزقة المصافير الواقفة على الاشجار المحيطة بمبنى « **التأديب** » ..

عندما فتح السجان الزنزانة قال :

- حضروا ملايسكم .. حضرة الضابط حاي .

- ليه خير .. فيه ايه ؟

- والله ما انا عارف ..

عرفنا أننا مرحلون الى ليमान طره .

قال الضابط (...) وهو يبتسم

- والله راح توحشونا با جماعة .. يعنى همة طره احسن من هنا .

وتبادل الضابط معنا حديثا وديا . شكرناه على حسن معاملته وسعة

افقه . وتعنى الرجل ان نلتقى به فى ظروف أفضل .

وحتى مامور السجن الذى استقبلنا عند حضورنا ، طريفة سئة اعتذر

عن زنا . سحرة الاوامر من **الضباط العليا** . وتانسر الرجل كذبوا نحن ملنا

له ايدى بسسر موقفه تماما . لنا من جانيهنا نعتذر أيضا اذا كنا

قد سبينا له أى ازعاج فقد كان من الضروري ان يكون لنا موقف منذ

البداية ولكنه ليس موقفا صده .

وكانت مفاجأة ان وجدنا بعض الاعالى على باب **الليمان** فى انتظارنا ..

وبدأت المساومات مع الضابط رئيس الحرس حول مقابلتهم والحواس مهمم

قلبلا خلال الطريق الى **ليمان طره** . كان الضابط متأثرا

الى حد كبير يريد ان يحقق لنا **مطلبنا** .. لكنه بخشى

ان يراه أحد من **ضباط المباحث** .. قال بود .

- طبيب سيؤوني انصرف ..

وطلب من الاهالى ان يسبقونا وينظروا فى منتصف الطريق من الليمان
حتى محطة السكة الحديد .. وهو طريق طويل خال من المارة تماما .
وسارت بنا عربة السجن التى تقلنا وعندما مرت بالاعالى وسبقتهم
بحوالى ٢٠٠ متر طلب من السائق ان يتوقف .
قال للسائق ..

- أنا نسيت أوراقى فى ظرف على مكتب المأمور .. خذ العربة وروح
هاتها بسرعة .. والحرس ينتظر هنا مع المساجين .
وحتى عاد السائق وكان قد مضى وقتنا لا يقل عن نصف ساعة بحثنا
عن الأوراق الوهمية كنا نجلس مع الاهالى على قارعة الطريق فى زيارة
خاصة أكلنا خلالها لحما ودجاجا وأطعمه أخرى دسمه .
وقبل ان نسير بنا السيارة مرة أخرى قال الضابط مود
- ان شاء الله ممكن نعمل لكم زيارة تانية عند ليمان طره
وخرج دعوات كثيرة من الأمهات ..

- ربنا محمديك لسبابك يا ابني انت واللى زيك
وعند ليمان طره تحقق ما وعد به الضابط .. وهكذا زرنا أهلنا
٣ مرات فى أقل من ٢٤ ساعة حصلنا خلالها على كميات من الأكل والنقود
والأخبار .
وفى ليمان طره قابلنا زملائنا الخمسة .. جمعونا فى زفزانة واحدة .
مع الحراسة المشددة .

أحكى لك قصة الليلة الأولى فى ليمان طره فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٥ أبريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٥)

حبيبتي .

لم نضم طول ليلة وصولنا الى ليமான طره . . فبعد أكثر من شهرين يلتقى كل الزملاء المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة وفي زنزانة واحدة . وكان جمعنا في زنزانة واحدة امنياز كبير لا يحصل عليه الا الذين تفرض عليهم الحراسة المشددة والخطرين الذين يجب ان يعزلوا عن بقية المساجين ، فالزنازنة في ليமான طره تسع ما بين ٢٥ و ٣٠ مسجوناً . وبينما تطفأ الأنوار في الزنازين في ساعة محددة ، فان زنزانة « الخطرين » لا تطفأ أنوارها طول الليل . . أيضاً كالجراة من إجراءات الحراسة المشددة . . وكان هذا أيضاً امتيازاً اعطانا فرصة إعادة قراءة المطبوعات التي حصلنا عليها في ليமான أبو زعبل والتي حصل عليها زملائنا في ليமான طره قبل حضورنا . كما ناقشنا وضعنا الجديد في الليمان على ضوء خبرة زملائنا الذين سبقونا اليه منذ شهر . الفرق بين ليமான طره وليمان أبو زعبل كالفرق بين حي الزمالك وحي بولاق . الأول يضم « وجهاء » المجرمين ، والثاني يضم **حتاتهم** فضلاً عن ذوى السوابق الكثيرة . والفقراء الموجودون بليمان طره هو فقط لخدمة هؤلاء « الوجهاء » أو الذين ينوبون عنهم من تجار المخدرات و « جرائم النار » وغيرها من تلك الجرائم التي تنفق مرتكبوها مع المسؤولين على أن يحل محلهم « فرانير » وكله بمنحه . هؤلاء « الوجهاء » بحكم أوضاعهم الطبقية وما يملكون من مال ، يملكون أيضاً « السلطة » . مهم لا يخرجون للعمل في الحدل ، وإذا خرج بعضهم لسبب أو آخر ففى وسعهم ان يستأجروا من الفقراء من يعمل بدلاً منهم . والزنازين لا تغلق عليهم طول النهار ولهم الحق في التجول في كل انحاء السجن ، وباتهم من بيوتهم أو من « حروبى » أمخر أنواع المأكولات والمشروبات . حتى المفوعة نأمننا . أما دياراتهم فهي تقسم دائماً في مستشفى السجن حيث يدخل المرء الى حراسهم يات . يسمى ويسكنون معهم بالساعات تحت سماع وبصر ضباط السجن مع ان مدة إقامته « الخاصة » لا تزيد عن نصف ساعة . و « الجرائم » السياسية يعامل أصحابها حسب نوع « الجريمة » . . **كريم ثابت « الاستشار الصحفى للملك فاروق »** . مثلاً كان يعيش في الليمان « كدائشا » إذا سار بحيث به عدد من الضباط . ويضرب له الجنود « تنظيم سلام » عندما يمر بهم . . ولا يمنع هذا ما يعرفونه عن الدور الحقيقي الذى كان يقوم به كريم ثابت خارج السجن .

ويمكن لبعض المسجونين العاديين « الممرء » ان يحصلوا على بعض الامتيازات التي يحصل عليها أصحاب المال اذا كان لهم ضابط « بليديات » هدف انصالحا بالمسجونين ان عو تنفبد اللانحة .
 ووسيلة انصالحا بهم هي **الجريدة** . لكن هذه الجريدة تحتاج الى انصار . . . يرسلونها . . . ويوزعونها في **العنابر الاربعة باحوارها الستة عشر دورا** . فكيف تخنارهم في ظروف هذه الحراسة المشددة علينا ؟ . . . نحن لا نحتاج في البذابه سوى لاربعة انصار . . . لكل **عنبر** نصبر واحد . لكن اختيار الاربعة يحتاج الى حذر شديد ففي الليمان **جواسيس** رعملا . لاداره وآخرون للمباحث العامة . وهؤلاء يمكن معرفتهم بسهولة . . . حيث سنكلمون بالاتصال بنا لمعرفة « الاخبار » و « الاحوال » . . . كما حدث مع بعض زملائنا الخمسة الذين سيقون الى هذا الليمان . . . وبالطبع لم يعرفوا شيئا .
 كانت المشكلة الاساسية لذن امام صدور « **الجريدة** » هي الاتصال بالمساجين . مكعب نتغلب على هذه المشكلة « الزنزانه التي نعيش فيها في الدور الثاني في **عنبر 4** نفتح علينا في الصباح بعد خروج كل المساجين الى العمل في الجبل كي نذهب الى دورة المياه التي **يخلونها** ناهيا حتى مس المساجين الذين يقومون بتنظيفها . نم نمود الى الزنزانه ، وتكرر هذه العملية بعد الظهر ويطلق علينا باب الزنزانه حتى الصباح . حتى امكانية الحديث مع مسجون من خلال « **ثقب** » الزنزانه معدومة تماما ، فالحارس يقف على بابها لا يفارقتها لينعم اي مسجون من الاقتراب منها .
 وكان قرارنا في تلك الليلة هو تكليف وليم بعمل ماكيت للجريدة . وتكليف الزميل الذي ايدعوب يوميا مع الحارس لاحضار الغداء والعشاء من المطبخ ان يستفيد من هذه الامكانية الوحيدة ومحاولة خلق صلة صداقة عادية مع المسجونين الذين يعملون في المطبخ او الذين يترددون عليه لاختيار من يصلح مندوبا للجريدة .
 وبعد حوالي شهر صدر العدد الاول من « **الطريق** » شعارها **حماة سلام** وقد مزقت القيود الحديدية برجليها وهدفها « تطبيق لائحة المسجونين » . كيف استجاب المساجين للعدد الاول من « **الطريق** » ؟
 لماذا كان موقف الادارة ؟
 احكى لك ذلك في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٨ أبريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٦)

حببتى :

كان صدور العدد الأول من جريدة « الطريق » يعنى بالنسبة لنا علاقة وثيقة بالمساجين ، وعلاقة متوترة بالإدارة • كان الليمان كله من رجال الادارة والمساجين يعرفون اننا وراء اصدار الجريدة ، لكن ينقصهم الدليل . وبقدر ما كان استقبال المسجونين للجريدة رائعا بقدر ما كان رد فعل الادارة عنيفا خاصة وأنها لم تعرف بصدور الجريدة الا بعد المئسدد السادس ، أى بعد شهرين ونصف فقد كان تصدر كل ١٥ يوما • وقبل ان يقع العدد السادس فى ايدى رجال الادارة كانوا حائرين فى أمر المسجونين الذين بدأوا فجأة بطالبون بحقوقهم ويهددون بالاضراب عن الطعام ويرسلون الى النيايه شكواهم •• الخ • اذكر ان مأمور السجن جانا يوما على رأس حملة من السجانة لتفتيش زنازنتنا بعد منتصف الليل وهذا لا يحدث أبدا الا فى حالات خاصة فالمفروض ان الزنازة بعد التمام لا تفتح الا بأمر من النيابة العامة أو بأمر مدير مصلحة السجن • فى تلك الليلة كنت أول من استبقي على صوت مفتاح الزنازة •• ثم صوت عال •• - انتباه ••

و« انتباه » نعنى ان يقف المسجونون استعدادا للتفتيش • ما كنا نقف حتى كانت الغرفة قد امتلأت بالسجانة والضباط للتفتيش •• لم بجدا « ممنوعات » والممنوعات تبدأ من الشاى الناشف والأمواس حتى الورق والأقلام والكتب والمفشورات ، وبالطبع لم يكونوا يبحثون الا عن دليل يثبت علاقتنا بالجريدة • وكنا على استعداد لهذه الحملة التى كنا نتوقعها حيث عرفنا أن مأمور السجن (•••) بدعائه استطاع ان يحصل على نسخة من الجريدة من أحد المسجونين الذى كان يثق به • والواقع أن هذا المسجون كان له العذر حين وثى مأموره الذى استطاع بدعائه أن يكسب لبس فقط ثقة عدد كبير من المسجونين ولكن أيضا عدد من زملائنا الذين خدعوا فيه • فقد كان الرجل يطعم فى أن يكون هو مديرا لليمان وكان هذا المنصب خاليا • وسمى الرجل الى كسب ثقة المسجونين والسجانة والضباط بمختلف الطرق حتى شاع بين الجميع بأنه سوف يرتقى الى رتبة لواء ويتولى منصب المدير • غير أنه فوجئ كما فوجئ الجميع بتعيين مدير جديد لليمان وكان هذا المدير مكروما من الضباط لأن عسكريته « ناشئة » ومكروما

من المساجين الذين يعرفونه ماسيا عليهم منذ كان ضابطا صغيرا ولم ييناس
 المهور (٠٠٠) بعد فتوم المدير الجديد وراح يعمل على احراره امام
 المسؤولين فى مصلحة السجون حتى يثبت لهم أنه غير كف، لهذا المنصب .
 ومع ان العدد السادس من مجلة « الطريق » لم يكن هو العدد الوحيد
 الذى وصله فقد وصله عن طريق نفس السجون العدد الخامس . ولما لم
 يحدث شيئا خلال الخمسة عشر يوما بين العديدين ، اطمأن اليه المسجون،
 بل ان بعض رملانى اطمأنوا اليه حتى انهجهين عرفوا بخبر وصول العدد
 السادس له لم يتوقعوا هذه **الحملة التفقيسية** وكانت هذه النقطة محل
 نقاشنا لمدة ساعات قبل الحملة وانتهت بتوقع حدوثها فى نفس الليلة
 لاحراج المدير الجديد الذى لم يكن قد مضى على قدومه الا عشرة ايام ،
 وبالتالي اراد أن يستغل الفرصة .

قال المامور وهو يدخل الزنزانة على رأس الحملة وقد ملأت وجهه ابتسامة
 خبيثة :

- لا مؤلخذة .. يا جماعة .. اعمل ايه .. أوامر المدير .
- خير ان شاء الله .. أية الحكاية ؟
- المدير الجديد ياسيدى .. **ضبط المجلة** .. كان جتقوا تاخذوا بالكو
 قال أحد الزملاء ، بسخرية :
- مجلة آخر ساعة .
- آخر ساعة مين يا راجل .. دى مجلة الحكومة .. مجلة ثانية ..
 شوف ومد الرجل بده نلى .. لاحظت ان كلمة « **العدد السادس** » قد مسحت
 بعناية وكتب « **العدد الأول** » .

- ده العدد الأول .. لحقتوا تضبطوها ؟
 وأدرك الرجل ان أمره قد انفضح امامنا .. وأن تظاهرننا امامه بالثقة
 فيه طوال الفترة السابقة الى حد أنه خدع بذلك قد انتهى . فقال
 غاضبا وموجها حديثه الى الضباط والجنود وكانوا قد انتهوا من التفقيس
 - واقفين كده ليه .. فتش كويس

مال أحد الضباط :

- فتشنا يا أفندم .. مفيش حلجة ..

قال بفضب أكثر :

- فتش فى **الحيطان** .. فى الأرض .. فى كل حته
- ثم قال لأحد الجنود :
- روح هات **شاكوش** .
- قلت بسخرية .. بينما الجنود والضباط فى دهشة من هذا الطلب الغريب
- وليه بقى الشاكوش ؟
- ارتفعت نبرات صوته الغاضب

- أنت عارف كويس .. بلاش اسهبال

فلت يجده :

- حضرة المأمور .. فم بمهمك حسب العانون .. ولا تزد .
وكان السجناء عند جاء بالشاكوش .. أخذهم المأمور وراح يحدق به
على جميع جدران الزنزانة وعلى أرضيتها .. لكن رجع كل القات كانت
هواء .. كان يحدق من خبا في الأرض أو في الحائط ولكن دون جدوى .
كان الخبا على غير العادة في سقف الزنزانة .. لا أحد ينصور عمل مخبا
في سقف عال .. فكيف الوصول إليه ؟ لحفر الخبا ، ثم لاستخدامه .
بعد ذلك يوما .. لكننا لده شهر ونصف كان شغلنا الساعل هو عمل
هذا الخبا .. حفراه بموس خلافة ، وكان الزميل الذي يقوم بالحفر بحمله
زمل آخر ويحمل الزميلان زميل ثالث .. وكان العمل يبدأ يوما بعد منتصف
الليل حتى الفجر .

ولما لم يغير المأمور على ضالته ، أراد بعد انفضاح أمره أمامنا
أن لا يقطع حبل الود .. قال ..

- يا جماعة أنا مناسف .. دى أوامر المدير .. تصوبوا صحتى من
النوم وأمرنى بتقننكم بعد ما جاب موافقة مدير مصلحة السجون .
فلت .

- واسمعى أحناء بالذات

- مقفهمش .. دى المجلة حتى ما فيهاش ولا كلمة سياسية ومد يد
يناولنى الجريدة

- حتى خد سوف .. اقترأ

تظاهرت بنصفها سريعا وقلت :

- طيب ما نصرقوا لهم مالبس الصيف

- هو انا لحقت - المدير الجديد جه من هنا وكل حاجة ومفتمس هنا
- وقفت له

- مستنى أوامر ..

ثم استنرد وابتسامه لثيمة تملأ وجهه .

- والأيه

قلت بابتسامه لها معناها

- لك حق .. وأنت الاحق

وفهم الرجل ما أقصده .. أنه أحق من المدير الجديد بهذا المنصب .
أردت أن اطمئنه فهو وإن افترض أمره بالنسبة لنا .. يمكن الاستفادة
من تناقضه مع المدير الجديد الكروه من الجميع ، بشكل أكثر ومصلحة
كل السجنين ..

وفي صباح اليوم التالي بعث المأمور فى طلبى ودارت مناقشة صريحة
وأن بدأت بالرمز . قال وابتسامته المصنوعة تملأ وجهه وبعد أن أخلى مكتبه
وأضاء اللوحة الحمراء

- أنا متأسف قوى يا أستاذ .. أنت عارف دى أوامر
- قلت بسخرية
- أمرك يا سيدى !
- قال وقد زالت اتساهته .
- أحسن نكلم بصراحة .
- أحسن .. والمصلحة مشتركة .. على الأمل لفترة
- ضحك الرجل وقال
- وليه لفترة ؟
- لغاية ما تتمين أنت مدير
- ضحك مرة أخرى وقال
- ابدا .. ابدا .. هوه يعنى المنصب راح يغيرنى
- يعنى ..
- يعنى أيه ؟
- ضحكت وقلت
- الهدف راح يتغير ..
- قال بخبث
- وبالتالي التاكتيك
- أهو كده ..
- يعنى نتفق على التاكتيك
- تمام ..
- وفيك من يكتنم السر
- فى عشر بيير ..
- وتعرف كام سر لغاية دلوقت ؟
- سرين .. واحد مؤكد .. والثانى استنتاج حتى اعرف منك .
- آيه هوه المؤكد ؟
- حكاية المجلة
- مضبوط .. والاستنتاج ؟
- مقترتب على الأول
- ضحك الرجل بصوت عال
- برافو انا الللى طلبت من المصلحة انز بتفتيشكم .
- قلت بابتسامة
- معلوش .. طلعت «آوت» المرة دى
- يبقى نتفق ..
- نتفق .. على آيه ؟
- ما أنت فاهم ..
- شيلنى واشيك ؟

- نعيمبىنى .
- والضمآن ؟
- طلباتسك ؟
- كله بوقتته .
- ييقى اتفقنا .

السياسة كما يقولون فن . والشاطر هو الذى يلعب على التناقضات فى صفوف الاعداء . هذا المامور داهية ذكى ، ناعم ، له بعض القدرات الثقافية وهو يسخر كل قدراته فى معركته ضد المدير الذى « اغتصب » حقه فى منصب المدير . والمدير يتميز بالفباء الشديد مكروه من الضباط والمساجين والجنود ولا يدرى أن المامور يعبى الليمان كله ضده لاجراجه أمام رؤسائه . ولقد خلقت هذه المباراة ظروفا موضوعية مواتية لاستمرار صدور الجريدة ولتحقيق أكبر قدر من مطالب المسجونين ، فضلا عن امكانية أكبر لتحركنا بين المساجين والاتصال بهم وفى المقابل لعب هذا المامور الداهية لعبته بذلك، ضد المدير الى حد جملة مهزلة أمام كل المسجونين .

أحكى لك واحدة من العابه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

١١ أبريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٧)

حببيتي

صدر المجد السليح من مجلة الطريق في وقت كان فيه الليمان في قمة
الفلينان . المامور الدامية لم يعد يتصدى لحل اي مشكلة للمسجونين
كما كان يفعل قبل قدوم المدير الجديد، وكان ضباط السجن معيشة أويأخر .
وبالطبع استطاع المامور في ظل هذا الجو أن يورط المدير في عدد من
الأعمال الاستفزازية ضد جميع المساجين حتى أتى عملا استفزازيا ضدينا
وتحديناه بإعلان الإضراب عن الطعام الذي استمر ١٨ يوما . كنا نخرج
الى الجبل يوميا عدا زميلنا وليم اسحق حيث تمفيه اللاتحة من الأعمال
المشقة اذ رأى الطبيب ان صحته لا تحملها . وكان خروجنا الى الجبل
بناء على طلبنا وأن كنا لا نعمل شيئا حسب اتفاقنا مع المامور . وفي يوم من
الايام كان وليم يسير في حوش الليمان مع حارس ولما رآه المدير أمر
الحارس ان يخرج به الى الجبل مخالفا بذلك اللاتحة . وحين اعترض وليم
على ذلك سبه وانمال عليه ضربا ، ثم حمله عدد من السجانة الى الجبل .
ولم تمض دقائق حتى رأينا المدير على رأس عدد من الجنود وقد أحاطوا
بنا من كل جانب تحت سفح الجبل ومعه المامور وعلى وجهه ابتسامته
للصفراء الموهودة . صاح المدير بأعلى صوته :

— يا الله يا مذهب أنت وموه . . كله يشتغل

لم يتحرك احد منا عن مكانه .

صاح مرة ثانية وبصوت أعلى ، والمامور الى جانبه لا يتكلم وتمسلا
وجهه لبتسامته للمسيح .

— بعد دقيقة واحدة عاوز كل منكم يروح يشيل الحجارة . . والا راح

استخدم القوة .

تقدمت اليه وقلت بهوء .

— أحسن استعمل القوة

صاح بفضب

— أنت بتتحجلى .

قلت بهوء أكثر

— لا اتحدك وانما اللاتحة هي التي تتحدك .

جن جنون الرجل . . ولبتسامة المامور تنمى أكثر

- اللانحة .. اللانحة .. كل المساجين يتقول اللانحة .. مالها اللانحة
 - اللانحة تمنحك من اخراج زميلنا بالقوة والاعتداء عليه .
 - أنا ما اعرفش حاجة اسمها لانحة
 - لكن احنا نعرفها ونطالب بتطبيقها !
 وازداد جنون الرجل فسب اللانحة الى مجنأه وواضى اللانحة الذين
 لا يفهمون ، وقال .
 - انا أوامرى هي اللانحة
 - ونحن ننسك باللانحة .. ونعلن اضرابنا عن الطعام .
 تنك الرجل وازدادت اينسامة المأمور اتساعا . وهز الضباط رؤوسهم
 يشجعوننا وجرى عدد من المساجين الى زملائهم المنحصرين تحت سفح الجبل
 يبلغونهم الخبر .
 وبعد دقائق درت فى صمت . انتحى المأمور بالمدير وهمس فى اذنه
 ببعض كلمات قال المأمور بعدما
 - سعادة المدير كلبنى انى اتفاهم معاكم
 - نحن نفضل التفاهم مع النيابة
 صاح المدير يقضب
 - ودخلها ايه النيابة ؟
 قلت بهدوء
 - واجبها التحقيق فى أسباب اضرابنا عن الطعام
 قال المأمور بلهجنه التى نعرفها
 - يا جماعة بلاش حكاية الاضراب دى .. وكل شىء بالتفاهم
 - لن تفاهم الا مع النيابة
 وبخبت شديد وجه المأمور كلامه الى المدير
 - يا سيادة المدير .. اتفضل سماعتك وأنا راح اتكلم معاكم .
 لوى المدير لجام حصانه ليعود الى الليمان ونظرات الضباط والجنود
 والمساجين الساخرة تلاحقه .
 همس المأمور فى اذنى
 - واضح انكو مصرين على الاضراب
 - ايه رأيك أنت ؟ مش فرصة برضه ؟
 - وبعدين وياك ؟
 - يخنى علشان نلكد لك ان احنا فاعمين بعض .
 كان موعد الفداء قد حل واصوات تنادى علينا بالذهاب « بالقروفت »
 لاستلام المحس أو القول الذى كننا نطلق عليه « للسوس القول » بدلا من
 « القول السوس »

التفت المأمور الى أحد الحراس وقال
- روح مات لهم الغداء .. ثم التفت الى وقال
- والا أبسه ؟

قلت

- آه طبعاً مات الغدا أmaal أيه ؟
انمق وجه المأمور وبعبيرات وجهه نقسائل ، هل عدلنا عن الاضراب ، وقال
- آه طبعاً مفيش داعى للاضراب
- احنا مضربين
صاح المأمور بغضب
- أmaal عاوز الغدا ليه ؟
- علشان يا حضرة (المأمور) تشوف بنفسك ان الغدا جالنا واحنا رفضناه
وتثبت ده في المحضر .. والا أيه ؟
- لك حق .. روح يا سجان مات الغدا بتاعهم ووديهم الليمان في مكتبي ..
وانتو بقى تتفضلوا تروحوا الليمان وبكره انشاء الله نعمل المحضر .
- بكره زى دلوقت .. والا أبسه يا حضرة المأمور ؟
قال بلهجة تأكيد
- طبعاً .. طبعاً .. أنا فاهم اللائحة .

تنص اللائحة حين يضرب المسجون عن الطعام يعمل محضر بعد ٢٤ ساعة
من ساعة الاضراب . لكن ادارة السجن عادة لا تنفذ هذا النص الا بعد
مرور ٤ أيام على الأقل . وخلال هذه الأيام تستخدم الادارة كل وسائل
الازهاب حتى يعدل المسجون عن الاضراب وبالتالي لا يثبت في أوراق
السجن ان اضراباً عن الطعام قد حدث . وبالطبع كنا متأكدين ان المأمور
سوف يفتح لنا المحضر في الموعد الذى تنص عليه اللائحة بعد ٢٤ ساعة .
هكذا سدانا الاضراب عن الطعام وسط عطف المسجونين وعدد كبير من الضباط
والسجانة ، ومع تأكدنا بان المأمور سوف يبلغ ادارة المسجون بخبر الاضراب
باتصى سرعة اماننا في احراج المدير . ونحن في الطريق الى الليمان
اقترب منى مسجون - من هيئة تحرير الطريق - وهمس :

- أبه رأيك نصدر عند خاص من الطريق ؟

- موافق وباتصى سرعة

- وسنرسل الخبر الى الاهالى وكل الجهات المسئولة

- همتك أنت وزملائك .

- رقابنا .. انتو بقضووا وتجوعوا علشاننا احنا الغلبة .

بعد ٢٤ ساعة بالضبط كنت في مكتب المأمور لعمل المحضر . فوجئت
بان المحضر مكتوب بطريقة قانونية تضع المدير أمام مسئولية الاعتداء
على ولیم وخرق اللائحة . كذلك سب اللائحة والذين وضعوها .

بعد أن قرأت المحضر قال المأمور :

- أليه رأيك .. انا ملت ابتدى اكتب المحضر .. أظن تمام كده ؟

قلت ميتسما ..

- عظيم جدا .. يس شوية اضافات كده

- قوى قوى .. قول ..

- يعنى مطالبنا بتحسين المعاملة بوصفنا مسجونين سياسيين ، وصرف ..

استحافات المسجونين من الغذاء والملابس وغيره

وقام المأمور بإثبات هذه الطلبات ..

عيت الى العنبر كى نحمل متاعنا « البرش والبطانية » ونذهب الى « التاديب » .. زنا زين انفرادية يسجن فيها الخالف للنظام والمضرب عن الطعام .. كان المسجونون فى العنابر الأخرى والمتنشرين فى الحوش ومكاتب الادارة والورش يلوحون بأيديهم تحية لنا وتشجيعا .. ومن استطاع منهم أن يعترب منا كان يعرض خدماته .. وعلى باب التاديب كان هناك من ينظرون كى يعطينا العدد الخاص من مجلة « الطريق » .. كان هذا العدد هو الثالث الذى تحرره افلام المسجونين بكامله وبغير أى مساعده منّا كانت افتتاحية العدد الخاص عن حادث الاعتداء على زميلنا وليم ثم موقتنا من الخير تحت سفح الجبل وعن اضرابنا الذى يستهدف تحسين معاملة المسجونين جميعا وصرف الملابس والاغذية التى يستحقونها .. وطلبت الافتتاحية فى الختام بمساندتنا والوقوف الى جانبنا وذلك بتوصية أهاليهم بارسال برقيات احتجاج الى المسئولين والى النيابة لسرعة حضورها للتحقيق ..

أصبحت الاوقات التى يواجهها المضرب عن الطعام فى الايام الثلاثة الاولى بعدما تكون المدة قد تعودت على عدم استيفال الطعام ، ثم يبدأ التعب فى هذ الجسم .. وعادة يتعجل المضربون عن الطعام حضور النيابة للتحقيق فى مطالبهم ومن المفروض ان تأتى فى موعد لا يزيد عن ٤٨ ساعة منذ بداية الاضراب .. ومع ان مأمور السجن أرسل التحقيق الادارى الى المسئولين فى مصلحة السجون التى عليها ان ترسل فى طلب النيابة فقد مضى اليوم العاشر ولم تأت .. والدول عن الاضراب قبل ان تأتى النيابة للتحقيق باعتبار مزيمه لنا ..

كان عدم حضور النيابة شكل من اشكال الضغط التى بدأت الحكومة تمارسها علينا فقد انهالت عليها البرقيات من عدد كبير من الهيئات والمنظمات والأحزاب التقدمية العالمية فضلا عن المظاهرات اليومية التى كان الأهالى يقومون بها عند رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية ومصلحة السجن .. وأمام هذا الضغط المحلى والعالمى رفضت الحكومة أن تبسّخ النيابة حتى لا يثبت فى أوراق رسمية ما يدل على اضرابنا بسبب الاعتداء علينا .. أخذت الحركة طابعاً

سياسيا • وفررنا الاسمرار فى الاضراب عن الطعام مع مضاعفة الحملة فى الخارج وبين اهلالي •

وفى اليوم الحادى عشر صدر عدد من مجلة الطريق كل مادته حول استودار اضرابنا حتى تحضر النيابة للتحقيق باعتباره حقا لنا تعمل الحكومة على اصداره حتى تبرر موقفها امام الراى العام اهلالي • ونشرت المجلة مفتطفات من البرقيات المطولة التى وصلت الى الصحف المصرية من عدد من الهيئات العالمية ولم ننشرها ، ومفتطفات من البيانات التى أرسلها اهلالي السجونيين الى الجهات المسئولة •

وفى اليوم الثالث عشر ساعات صحت زميلين الى درجة خطيرة ومع ذلك لم ينقلا الى المستشفى الا فى اليوم السابع عشر بعد ان أعلن الطبيب عدم مسئوليته عما يحدث لهما اذا لم يعدلا عن الاضراب وتناول العلاج الضرورى • نعم انه فى اليوم الثالث عشر بعد ان كشف عنهما أمر بنقلهما الى المستشفى ، فان ادارة السجن امتنعت عن تنفيذ نوصية الطبيب عربا من أى دليل يثبت اننا أضربنا عن الطعام وبالناسى امتنع هو الآخر عن الحضور اليهما فى الزنزانة •

وفى مساء اليوم السابع عشر نقل الزميلان الى المستشفى ولكنهما امتنعا عن تناول العلاج حتى تلتى النيابة لاثبات اسباب دخولهما المستشفى • وفى صباح اليوم الثامن عشر علمنا أن الزميلين بين الحياة والموت وأن الطبيب كتب تقريراً بذلك ذهب به بنفسه الى ادارة مصلحة السجون بعد أن أثبت فى دفاتر السجن مسبب دخول الزميلين المستشفى وامتناعهما عن أخذ العلاج الضرورى • وعلمنا أيضاً أن البرقيات مازالت تنهال على الجهات المسئولة تحملها مسئولية موت منافضلين مصممين على الاضراب حتى تجاب مطالبهم •

وفى مساء نفس اليوم الثامن عشر ، حوالى العاشرة مساء ، فتحت الزنازين فجأة ، أخبرنا حضرت النيابة ومعها المدير والمأمور وطبيب السجن وقيل أن يبدأ التحقيق قال وكيل النيابة :

- قبل حضوري الى هنا حصلت على موافقة مصلحة السجون بأن لا تخرجوا الى الجبل • قلت :

- قبل هذا كله •• ارجو ان تثبت النيابة انها حضرت فى اليوم الثامن عشر منذ بدأ اضرابنا عن الطعام •

قال :

- اننا يا ابنى جيت بمجرد ما بلغونا •

- وهذا هو بالتحديد ما أريد اثباته وهو ما يعليه عليك واجبك •
وجه وكيل النيابة كلامه الى المدير :

- هل اخطرتم المصلحة بالاضراب فى الموعد القانونى . . . ؟
- نفتت المدير الى المأمور الذى قال :
- أنا من ناحيتى حولت المضر لسيادتك .
- قال المدير :
- وأنا أرسلته الى المصلحة .
- سأله وكيل النيابة :
- متى ؟

لم يجب ، وانتحى بوكيل النيابة جانبا واخذاً يتها مسان . ورغم الأعياء الشديد الذى كنت اعانيه . كان ذهني يقظا لكل ما يدور حولي ، انتهر المأمور فرصة انتشغال وكيل النيابة مع المدير وهمس لى وهو يتسهم بخبث .

- سمع كلامهم الشفوى بالتليفون وعطال ارسال المضر عشرة ايام
- وطبعاً هو الذى راح يتحمل المسؤولية .
- عاد وكيل النيابة ومعه المدير وبدأت مملومة ، قال :
- سيادة المدير مستعد لأن يجيب كل طلباتكم .
- منشكرين .
- يعنى موافق .
- أراى ما أوافق على اجابة كل طلباتنا .
- يبقى اتفقنا .
- طبعاً بعد اثبات حضورك بعد ١٨ يوما . .
- أمال يبقى اتفقنا على ايه ؟
- على نحقق مطالبنا . .
- قال الرجل فى محاولة لاثارة عطفنا على المدير الذى سسيتحمل المسؤولية .

- وأبه لازمة المدير يتحمل المسؤولية وكان عنده أوامر ؟
- على من ينصدى لوضع المسؤولية ان يتحمل نتيجة موافقه .

وأمام اصرارنا انصرف المدير تاركاً كل شىء فى يد وكيل النيابة والمأمور . ارسل المأمور لاحضار نفاثر السجن كى يثبت عدم مسؤوليته وبالنسالى ملقى المسؤولية على المدير الذى تأخر فى ارسال مضر بسوء الاضرب عن الطعام . وبعد أن اثبت وكيل النيابة ذلك كما اثبتت واقعة الاعتداء على زميلنا ولبسم ، حاول المأمور أن يوحى لوكيل النيابة بانهاء المضر فقلت :

- نتكلم بقى عن مطالب المسجونين ؟
- قال المأمور بغضب :

- أنت مالك بقى ومال المسجونين ؟
- لانى مسجون.زيهم •
- وأدرك وكيل النيابة أن قى الأمر شيئاً لا يعرفه •• انتحى بسى
جانبا وسال ، فقلت :
- اصل المامور هو المسئول عن هذا الموضوع •
- وأصر وكيل النيابة على أن يثبت كل مطالب المسجونين •
- ملابس الصيف لم تصرف •
- قال المامور :
- بل صرفت ••
- سال وكيل النيابة ؟
- متى ؟
- أمس •
- سال وكيل النيابة :
- أمس فقط •• الصيف قرب يخلص •
- والتفت الى وقال :
- وايه كمان •• قول :
- كمية العمل قليلة •• ووزن اللحمة اقل من المقرر •• و ••
- وأثبت الرجل كل شىء • وقفل الحضر بانها ، الاضراب عن الطعام
وعلامات الغضب بادية على وجه المامور الذى قال :
- يعنى احنا حرامية يا استاذ ؟
- ثم اصر الى حدائه وقال :
- يا أخى ده انا جزمتمى مقطعة •
- قلت بسخرية :
- أظن ده مش دليل كاف
- قال بغضب :
- يعنى بتتهمنى ؟
- الجهة التى تملك الاتهام •• أمى •
- وتدخل وكيل النيابة :
- يا حضرة المامور أفنكر بقى تعمل اجراءات فك الاضراب •
- ولأن المدة لا تحتل بعد توقفها عن العمل مدة المفروض أن تبدأ
نشاطها ببعض السوائل • وحين أمر الطبيب باحضار عصير قصب ،
الذى ما كنا نبدأ فى تناوله حتى فوجئنا بالخير ياتى ومعه
سجان يحمل كميات من البرتقال وعصير البرتقال واكواب • وراح
الرجل بنفسه يوزع علينا كميات البرتقال والعصير ، ولما شكرته
قال بتأثر :

- يا ابني انتو مرضه زى اولادى •

تأثرتنا جدا بموقف الرجل وكنا نطلب من وكيل النيابة أن يعيدل
المحضر حتى لا تقع أى مسؤولية على المدير • ان النورى الذى بحسبه
الناس قاسى ولا قلب له ، فى أعمافه طفل يتأثر بأى عمل طيب
أو لسة انسانية ، والغريب أننا شعرنا بعد انتهاء الاضراب ولاكنر
من أسدوع بأنه كان يجب أن لا نحمل المدير أى مسؤولية وخصوصا
وأن المسؤولية الحقيقية تقع على الحكومة وعلى وجه التحديد **وزير
داخليتها** الذى ينفذ سياسها ، لقد ظل تساؤلنا هذا قائما حتى يوم
الاجتماع الكبير الذى دعى اليه مدير السجن • فماذا حدث فى ذلك
اليوم المشهود ؟

أحكى لك ذلك فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي •

٢٥ أبريل ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٨)

حبيبتى

فى رسالتى السابقة حكيت لك قصة اضرابنا عن الطعام واسبابه . .
واعادافه المباشرة داخل السجن . غير أن ابعسا هذا الاضراب كانت اكبر
من ذلك بكثير . كانت له ابعاده السياسية داخل البلاد وخارجها
فقد اصبحت قضية معاملتنا كسياسين قضية حية فى اذهان الناس
وعلى عكس ما كان يتوقعه مدير الليمان الذى عطل ارسال محضر
الاضراب الى المسؤولين حيث كان ينتظر مساعده قانونيا ،
فقد اطلقت بده بشكل كبير فى الليمان كى يعيد اليه « النظام » ،
الذى « اختل » خلال الاضراب . لكن المدير لم يفهم ماذا تعنيه « اوامر »
اعادة النظام . اما المامور فقد فهمها جدا . فهم انها مضايقتنا
الى اقصى حد ومحاولة استقرازا وعزلنا عن المسجونين الذين دعمت
علاقتنا بهم . واقامة العليل على أننا وراء صدور جريدة « الطريق » ،
وحتى لا ينفذ امر المامور امامنا وامام المسجونين عامة راح الرجل
يوعز الى المدير بتطبيق نظام صارم فى الليمان كله ليمسح من
خلاله ان ينفذ مهمته اننا .

وبدأت الاوامر تنهال : ممنوع بيع السكر فى الكافتين حتى لا يستخدمه
المساجين فى عمل الشاى فى الزنازين ، فاشعال أى نلر تحرمه اللائحة .
لا يصرح لى مسجون أن يشتري أكثر من ٣ غلب سجفير فى الاسبوع وبحيث
لا يدخل الا خارج الزنازة نهارا فالمفروض ان لا يكون مع المسجون
كبريت . وهكذا سلسلة من الاوامر التى راح يصدرها المدير لاعادة
« النظام » بايعاز من المامور الذى كان يجرى يوميا تفتيشا وميا
لزنازين بعض المسجونين ، وتفتيشا يوميا لزنازتنا بهدف
استقرازا .

كانت مجموعة من زملاء « حنوا » قد حكم عليهم بالاشغال الشاقة
ووصلوا الى السجن خلال اضرابنا عن الطعام وبعد صدور حوالى
سبعة اعداد من مجلة الطريق . وكان المامور بحكم صلاته يعرف
أن هناك خلافا بيننا وبينهم ، وبدات خطته لتحقيق هدفه بمحاولة
تعميق الخلافات بيننا وبينهم . ومع أن الزملاء كانوا متجهين الى ذلك

غير ان الرجل استطاع أن يخدمهم لفترة طويلة ، فهو حين يقوم
ببفقيش زفرانتهم يشكو لهم منا وكيف اتنا لا نفهمه على حقيقته رغم
أنه ساعدنا كثيرا ، ويتبادل السُعر مع زكي مراد ، ويسمح للدكتور
شريف حناشة بالذهاب الى المستشفى أحيانا للكشف على بعض المرضى
أثناء غياب طبيب السجن . لعب الرجل على خلائفنا السياسية مع
الزملء بذكاء ومهارة الى حد أسر بشكل بارز على علامتنا معهم .
ومع أننا فلنا لهم خبرتنا مع هذا الرجل وعن الاتفاق الضمني الذى
جرى معه حتى افتضح أمره أثناء الاضراب عن الطعام حين أراد استغلالنا
فى صراعه مع المدير الا انهم أرادوا أن يخطوا التجربة بأنفسهم .

ومع استمرار صدور الأوامر لم يحتفل المسجونين هذا التصديق على
حباؤهم ، تكررت لقاءاتهم مع المدير الذى كان دمر على عادة النظام .
والمأمور الذى كان ، يواصل « للتخفيف عنهم ولكن المدير « نظامي جدا » ! .
وصدرت « الطريق » تعلن انها ستحتشد المسجونين من أجل الاضراب عن
الطعام اذا لم تلغ الادارة أوامرها التمسفيه فى موعد اقضاء
عشرة ايام . ويبدو أن ما نشرته « الطريق » عن التهديد بالاضراب العام
قد وصل الى المدير ، وربما يكون الذى ابلغه هذا الخبر هو المأمور
الذى أوحى له أن يدعو الى اجتماع عام لكل المسجونين لنعرضهم فى مطالبهم
فبعد يومين وقبل صدور « الطريق » صدرت الأوامر بعدم خروج
المساجين الى العمل فى الجبل وفى كل الورش .

حوش اللبمان واسع جدا . تتوسطه منصة عالية تسمى
المساجين « البرج » . كان المأمور الإنجليزي يحشد المساجين فى هذا
الحوش ويجلس على هذا « البرج »عالى ليتسلى بمنظر السجانة
وهم يضرِبون المساجين بالعصى والكرابيج . . وبعد أن ينتابه الملل
يصدر الأوامر بوقف الضرب وتوزيع التمر والعسل عليهم ! .

كانت هذه أول مرة يستخدم فيها « البرج » منذ أن رحلت الادارة
البريطانية عن السجن . حوالى ٤٠٠٠ مسجون بطبسون الترفصاء فى
شكل مجموعات . يحيط بكل مجموعة عدد من السجانة يحملون
الدافع الرشاشة ، وكان مكاننا فى آخر النصف حيث جلسنا
الترفصاء . يحيط بنا عدد اكبر من الجنود المسطبين بالرشاشات وثلاث
ضباط على رأسهم أحد مأموري السجن ، (٠٠٠) الذى كان يقف
قريبا منى . سألته :

- أياه الحكاية ؟

ابتسم الرجل الذى كان بالنسبة لنا كنوز شمعة فى ظلام السجن
الحالك :

- والله ما أنا عارف . علمي علمك .

كان المدير يجلس منتفخا في « برجه » العالى والى يمينه يجلس المأمور الأول « اباه » وبدأ أغرب اجتماع شهدته في حياتي بكلمة من المدير قال :

- انتو عارفين . انا راجل شديد طول عمرى من يوم ما كنت ضابط ملازم هنا . فاكربين . . وسرت مهمات بين المساجين . . قطعها الرجل بصوت جهورى .

- النظافة اعم حاجة عندي . احنا مسلمين ونحب النظافة . تبادلنا النظرات مع (. . .) الضابط المسيحي . . وسرت مهمات بين المساجين المسيحيين . . واستطرد الرجل :

- وعلشان كده لازم كل واحد يطلع فرش « البرش » والبساطين من الصبح اغاية التهام . . حسب اللوائح والقوانين .

وعلت المهمات بين المساجين . . وبتت علامات الغضب والضيق على وجوههم وطلب أحدهم الكلام . . لكن المأمور طلب منه الانتظار حتى ينتهى « سعادة المدير » من نصائحه وحديثه . . ويرتقم صوت الرجل :

- وممنوع الانصال بالخارج منعاً باتاً . الجوابات . . والاكل اللى بييجى من بره ممنوع . . العسكري اللى يياخد ١٠ او ٢٠ قرش من المسجون ده حرامى . .

وبان الضيق على وجوه السجانة . . وسرت مهمات بينهم . . واستطرد المدير .

- والضابط لازم بفرض النظام . . مسألة البلديات دى لازم تنتهى . . الضابط الى يحابى بلدياته لا يقوم بواجبه . .

هكذا استطاع المدير « بمعبريته » الفذة أن يكون جبهة ضده . . **المسلمون والسيحيون والضباط والسجانة .**

وعلت المهمات بين الجميع . . ووضع السجانة الرشاشات الى جانبيهم بعد أن كانت في وضع الاستعداد . . واختلت صفوف المسجونين المنتظمة . . خرج بعضهم عن الصف . . ووقف البعض الآخر . . وطالب بعض المسجونين بالتعقيب على كلام المدير . . غير أن المأمور بعد أن همس في اذن المدير وهو يشير اليها . . قال :

- بعد سعادة المدير ما يخلص حديثه راح يسمح لكم بالتعقيب . . ويستطرد المدير :

- وهناك قلة لا وزن لها . . سنضربها بيد من حديد . . وشعرنا أنه يشير اليها .

- ألفت اللى تبعت برقية تقول فيها ان احنا بنضرب هذه القلة دى تبقى ست (. . .) .

وغلى الدم فى عروقنا .. ووقف سعد ياسيلي يقول :

- نحن لا نسمح بهذا الكلام الذى يحاسب عليه القانون .

ووقف الزميل زكى مراد وقال :

- نحن نحفظ بحقنا برنع دعوى ضدك ، قضية سب عيسى

لحدى زوجاتنا أو شقيقاتنا أو بناتنا !

ووقف عدد من المسجونين بنعد بكلام المدير ويطلب التمتعيب ..

وساد الهرج والمرج .. ووقف كل المسجونين يطنسون احتجاجهم ..

ليس دفاعا عنا وعن شرفنا الذين امين علنا ولكن ايضا عن حقوقهم ..

وارتفع صوت المدير فى محاولة للحديث ، وبعد أكثر من نصف

ساعة .. تركه المسجونون يكمل .. قال وهو يشير اليها :

- أنا يا ولادى ما أقصص حد من قرايبكم .. دى واحدة من

إيطاليا بتقول انها سكرتيرة منطقة ميلانو .. باعته تحتج ..

ووقف زميل ثالث :

- وهذه أيضا لا نسمح لك باهانتها ..

ووقف مسجون يطلب الكلمة .. قال :

- يا حضرة المدير احنا عارفينك من زمان .. انت طول عمرك

شديد .. واحنا طول عمرنا ضدك .. ومش راح نسمح أبدا بإيام

زمان تتكرر ثانى .

ووقف تان .. وثالث .. ثم وف الجميع يهتفون ضد المدير وظلمه

وتعسفه .. لم يقترب منهم جندى واحد .. أو ضابط .. عجز

المدير عن عمل أى شئ .. وامتلك المأمور الموقف كله .. قال وأبتسامة

صفراء تكسو وجهه :

- يا لى لى سجانة كل واحد يلاخد المسجونين بتوعه على الضبر ..

لكن المسجونين لم ينحركوا من أماكنهم .. وقال المأمور :

- سادة المدير راح يطلب عدد منكم علشان يتكلم معاهم عن مطالبكم

قال مسجون :

- لا عاوزينه يتكلم هنا .. معانا كلنا ..

وقال آخر :

- لازم يسحب كل الكلام اللى قاله

وقال ثالث

- مطالبنا لازم تتحقق ..

وقال رابع :

- الفرش مش راح يطلع برة لفنزة أبدا .. والكائنات لازم يرجع

زى ما كان ..

وهتف خامس :

- يسقط الظلم ..

وارتفعت أصوات المساجين تردده وراءه ..

يسقط الظلم .. يسقط الظلم ..

ويقدم الضباط الذين يتعاطفون مع المساجين يطلبون منهم : الهنو ، ..
ويستجيب المساجين .. ويقول المدير بصوت ضعيف :

- يا أولادى انتم فهمتونى غلط . رآح انظر فى مطالبكم .

لم يكثرث به المساجين ، قاطعوه ، اختلطت مجموعاتهم ، لسم يحاول
المجانة أو الضباط اعادة الضبط والربط ، وبصوت منهوك طلب
المدير من المأمور أن يصرف المساجين . وعاد المسجونون الى عنابرهم فى
شبه مظاهرة لم ينهدها اليهمان من قبل يهتفون يسقط الظلم ..
يسقط الظلم . نريد حقوقنا . نريد حقوقنا . هل سيعمل المدير
عن أوامره التعسفة ؟ ، وما العمل اذا لم يعمل عنها ؟ المدير فى
موقف ضعيف ، والمساجين فى الموقف الأقوى ، ويجب الاستفادة من
هذه الظروف . كيف ؟ الاصرار على تنفيذ اللائحة . واتفق على أن
يصدر عدد خاص من « الطريق » ، بعد يومين يتضح خلالها الموقف .
وبعد ثلاثة أيام صدرت الطريق تدعو الى الاضراب العام لكل المسجونين .
ولأول مرة فى تاريخ ليمان طرة يضرب كل المسجونين عن الطعام حتى
تجانب مطالبهم . وبالفعل تحققت كل مطالب المسجونين .

أحكى لك قصة ذلك اليوم فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٣ مايو ١٩٧٧

بغداد

الرسالة رقم (١٩)

حبيبتي

في رسالتى السابقة حكيت لك ما انتهى اليه اجتماع مدير الليمان بالمسجونين . كان من الطبيعى أن يسود المسجونين جو من الثقة بغودة الحياة في الليمان الى ما كانت عليه قبل الاجراءات القسرية فرضها المدير . لكننا كنا نرى غير ذلك . ان تراجع المدير عن الاجراءات التى اتخذها - على الرغم من انها كانت محل مؤاخضة من رؤسائه - سوف يخلق ظروفنا مواتية للمسجونين لطبق كل بنود اللائحة ، وهو امر لا يريد بعض كبار الضباط حيث يسد بابا « للرزق » هم حريصون على أن يظل مفتوحا . هذا الدافع الذاتى سيدفع بهم الى اتخاذ اجراءات شاذة « لتطهير » افكار المسجونين من الأفكار « الهدامة » . وكنا نتوقع امرين : الاول : عملية تنكيل بالمسجونين الذين تحسبوا المدير اثناء الاجتماع العام ، والثاني : تشديد الحراسة علينا لمحاصرتنا وعزلنا عن المسجونين تماما مع محاولات لاستفزائنا أو فرض **مركبة للتنكيل بنا** . ومر يومان ولم يبد فى الافق ما يشبر الى عدول المدير عن الاجراءات الشاذة التى وعد بالفائتها . وعبثا راحت كل محاولات المسجونين لمعرفة ما يدور فى رؤوس المدير وكبار الضباط فى مصلحة السجون الذين كثرت زياراتهم لليمان واجتماعاتهم بالمدير والماور .

الماور الذى كان دائم الصلة بالمسجونين وعلى وجهه ابتسامته التقليدية ، وعلى شفثيه الوعود بتحقيق مطالب المسجونين اختفى تماما . والضباط المتعاطفون مع المسجونين أصبحوا أكثر حرصا فى اظهار تعاطفهم ويبدلون جهدا لاختفاء تعاطفهم ، ولا يقدمون تفسيرا **للاجتماعات الكثيرة** التى تتم بين كبار المسئولين فى مصلحة السجون وبين المدير ، فهم على الأرجح كانوا لا يعرفون . حتى السجانة كانوا يتوقعون شيئا رهيبا ضحنا بشكل خاص ، وضد المسجونين بصفة عامة . وكنا نرى فى عيونهم نظرات العطف ، وأبدى بعضهم استعدادهم لمساعدتنا .

فى مساء **اليوم الثالث** عقدنا اجتماعا ناقشة كل احتمالات **المركبة** التى سوف تفرضها علينا **الدولة** . أرسلنا الى التنظيم تقريرا وافية عن الوضع واقتراحات بعمل حملة واسعة من البيانات الى المنظمات الجماهيرية والنقابية والمهنية ، وإلى الهيئات اعلمية الديمقراطية .

والى الصحف ، والمسئولين ورئاسة الجمهورية . كما أرسلنا خطابات الى أهاليها لتكوين وفود تذهب الى المسؤولين . وأخرى لتتواجد بشكل دائم خارج السجن لترقب الموقف والتحرك بسرعة اذا حدث شيء ضئلا . وكان قرارنا هو الصمود مهما كلفنا ذلك من تضحيات ، حتى الحياة ذاتها ، بعد هذا القرار ، كان أماننا في تلك الليلة مسككتان : الأولى توصيل ما كذبناه الى التنظيم والى الأهالى بأقصى سرعة ممكنة . والثانية هي الاتصال بهيئة تحرير « الطردى » لاصدار العدد المتفق عليه بعد الانحماض « اياه » ليدعو المسجونين الى الاضراب العام عن الطعام . كيف يمكن التغلب على هاتين المشكلتين ونحن معزولون فى زنزانة مغلقة ، معزولة عن سجن معزول عن العالم الخارجى ؟ الوقت يضى بسرعة والثأمة بدت خيوطها خلال اليومين الماضين فى عيون المدير ونظراته الكريهة ، وانحناء المأمور المفاجئ ، وغير المدير ، ونظرات العطف والاشفاق فى عيون الضباط الذين لا يعرفون ما يجرى فى مكتب المدير ، ونعليقات بعض السجانة التى تحمل الخوف من المصير السدى ينتظرننا ، كانوا يعرفون أن المثل الشعبي « وقوع البلاء ، ولا انتظاره » يعمر أصدق تعبير عن المعاناة التى يعانينا من ينتظر « البلاء » فيتعجل وقوعه ليتخلص من معاناته وآلامه الأكثر قسوة من آلام البلاء ذاته . ومع أننا كنا نعانى من انتظار « البلاء » الا أننا لم نتمجسه أبدا وفضلنا المعاناة الأشد ألما والأكثر قسوة ، ساعدنا على ذلك حالة التحدى التى هبنا أنفسنا لها مساء اليوم الذى جرى فيه اجتماع المدير بكل المسجونين ، حيث لم نتخذنا الظروف التى نتجت عن ذلك الاجتماع . كذلك لم تكن المسألة بالنسبة لنا مسألة ذاتية ، وإنما كانت فى الأساس موقفا موضوعيا .

كان صوت سجان صديق . . تبيننا صوته ولكننا لم نعرف من هو . تمام مجدى فهمى من على « برشه » ليتحدث مع هذا الصديق من ثقب باب الزنزانة . قال مجدى فهمى بعد أن تبين ملامح وجه السجان بصعوبة .

— أهلا . . أنت جيت امتى ؟

تشاء الصدف أن يكون هذا الصديق هو السجان الذى يعرفه مجدى فهمى من حى بولاق والذى قام بتوصيل الخطابات التى أرسلناها الى الأهالى من ليغان لى زعبل .

قال الصديق :

— نقلت من ليغان أبو زعبل الى هنا . . من يومين فقط .

قال مجدى :

— لكن دى الإدارة حاطة سجان من بتوعها من ثلاث أيام . . ولم

يتغير ليل ولا نهار . . ايه اللي جرى . . ؟

ضحك الصديق وقال :

- جاله مفص وخذوه على المستشفى وجيت بداله •
- آيه الصدفة الغريبة دي ؟

قال الرجل بكل الصدق :

- ده ندبير ربنا •• انتو ناس جدعان

قال مجدى فهمى بنبرة صوته الودودة :

- الله يخليك يا ••••• عاوزين خدمة من خدماتك العظيمة •
- رقبتي يا مجدى •• ان ملاكانش علشان انتو رجاله • فعلى
- الانسل علشانك انت •• ابن حنتى •

اعطاه مجدى التقرير والخطابات وقال له :

- دول لازم يوصلوا بأقصى سرعة
- قبل الشمس ما تطلع راح يكونوا وصلوا لاصحابهم •
- متشكرين جدا •• أنت راجل عظيم •
- يا مجدى لا شكر على واجب •• انا متأكد اننى باعمل خدمة
- لوطنى •

ثم يستطرد ••

- على قد ما أقدر بقى أنا مش زيكو
- الملى يتعمله ده ما يقلش أبدا عن عملنا •
- ويستطرد مجدى :
- بس فيه مهمة ثانية •• يمكن تكون صعبة شوية •
- مفيش صعب علشانكم وعلشان الشعب ••
- ويبدأ مجدى فى حديث مع السجان الصديق عن مجلة « الطريق » • ويقاطعه
- الرجل :

- آيوه انا سمعت عنها •

قريتها ؟

- لا •• لكن كل المسجونين بيهدحوا فيها وبيحبوها •

ويعلق مجدى :

- وأظن منتظرين صدورها بكوره •

تمام •• تطلب آيه منى ؟

ناولوه مجدى خطاب موجه الى هيئة تحرير مجلة الطريق •• وقال :

- عاوزين الجواب ده يوصل لأغبير ٢ للمسجون (•••) قبل السجن
- ما يفتح •• ممكن ؟

- صعبة أوى الحكاية دي •• لكن راح اتصرف •

ويصيح مجدى :

- انت عظيم •

وكلمة « عظيم » لازمة من لزمات مجدى •

ويضحك السجان الصديق :

- هيه كل حاجة عظيم .. عظيم .. فين المظلمة دى ؟

ويضحك مجدى :

- ثوب هايل .. بلاش عظيم ..

- يا عم لا هايل ولا عظيم .. أنا فى الخدمة ، ناموا انقو بقى وأنا

راح اتصرف .

- لا مش راح ننام قبل ما نمرف منك ان الجواب وصل لعنبر ٢ .

ويقول الرجل بثقة غريبة :

- ماشى .. استقنى سوية لغاية ما أرجع لك تانى .

لم يكن لدينا أدنى أمل فى أن يصل الخطاب الى عنبر ٢ ، فالسجان

الصديق مسجون مثلاً تماماً . الفرق الوحيد بينه وبيننا ، أننا داخل

زنزانة بابها مفلق علينا . وهو داخل عنبر واسع يضم أربع أدوار ،

وبابه الخارجى مفلق عليه . فكية ، يصل هذا الخطاب الى عنبر ٢ ، من

الذى سيحمله من عنبر ٤ الذى نعيش فيه ، الى الباب الخارجى لعنبر

٢ ، ثم الى الزنزانة رقم ٣٢ التى يعيش فيها اثنان من هيئة تحرير

الطريق ؟

بعد أقل من ساعة سمعنا دقا على باب الزنزانة .. أسرع مجدى

ليظهر من ثقب الباب ثم سمعنا صوت الصديق يقول :

- كله تمام يا رجاله .. ناموا بقى .

ويصيح مجدى بفرح غامر :

عظيم .. انت هايل ..

- تانى ! .. عظيم وهايل ! ..

ويسأل مجدى فهمي :

- لكن ازاي وصل الجواب لعنبر ٢ .

- يا سيدى ده شغلنا بقى .

ويلح مجدى على الصديق ليعرف كيف وصل الخطاب بهذه السرعة

الى عنبر ٢ - زنزانة رقم ٣٢ ، ويحكى الرجل :

بسيطة قوى .. كان مامايا غلبة سخاير مولود « لارج » فكيت

الورق « القزاز » بعناية وكذا الطلبة . واخذت منها سيجارة وحطيت

بدالها سيجارة ثانية فيها الجواب . وطلبت من السجان اللئى فى الحوش

يوصلها لصاحبى وابن حقتى (...) فى عنبر ٢ زنزانة رقم ٣٢ .

ويسأل مجدى :

- لكن أنت متأكد ان الطلبة وصلت ؟

ويجيب الرجل بثقة :

- الا متأكد .. ودى فيها كلام ..

- يعنسى

ويقاطله الرجل ..

- يعنى آيه بقى .. آمال فى الثقة بالشعب ..

ويرد مجدى بلهجة ونودة :

- لك حق .. متأسف ..

ما كدنا نطفىء أنوار الزنزانة استعدادا للنوم حتى رأينا
خيوط نجر يوم جديد تخترق قضبان نوافذ الزنزانة لتبحد ظلامها
الدامس . وجائنا صوت مألوف على أسماعنا يؤذن لصلوة الفجر .
كان صوت الصديق من هيئة تحرير « الطريق » يخبرنا بأن الرسالة قد
وصلته ، وكنا قد اتفقنا معه على أنه فى حالات محددة ، وبعد
أن يبدأ مؤذن الجامع المجاور لليمان بأذان القطع الأول يبدأ هو فى الأذان .
وتأكدنا من وصول الرسالة ومن أعداد المحرر الخاص من « الطريق »
الذى يدعو إلى الإضراب العام عن الطعام . وعن هذا الإضراب أكتب لك
رسالتى المقبلة يا حبيبتى .

١٢ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٠)

حبیبی

الأنفة الزائفة وإن بدا بريقها يخطف الأبصار ، ففى لحظة من اللحظات ، لا تستطيع أن تخفى تماما وجه صاحبها القبيح . عين الانسان الصادق تستطيع أن تخرق تلك الأنفة لتلحظ أقل تصرف خافى وتضع أمامه علامة استفهام ؟ ويبدأ سقوط الأنفة ، فناعا وراء قناع حتى يتعرى تماما وجه صاحبها ، ويبدو على حقيقته ، شريرا ، نفسا انتهازيا بمخر كل شىء واى شىء من أجل ذاته . الفاية عنده تيسر الوسيلة . ذكاء صفة أساسية من صفات الانتهازى تعطيه القدرة على الخدع حيث يستطيع استخدام كل الظروف لصالحه . لكن ، لأنه يفقد جوهر الانسان يفترض أمره لكل المخدوعين به عند وضعه فى تجربة انسانيه .

المأمور (٠٠٠) الذى حدثك عنه فى رسائل السابقة ، واحد من انتهازين كثيرين منشترين بين كل طبقات وفئات المجتمع ، هذا الرجل الذى زعم يوما أنه صديق لنا والمسجونين وخدمنا فيه بعض الوقت ، وكنا أكثر ذكاء منه حين استخدمناه لصالح المسجونين ، وبالتالي لم يفصح أمره تماما لكل المسجونين ، سقطت كل افئته الزائفة فى لحظة واحدة .

فى ظاهر يوم الاضراب العام عن الطعام الذى دخله كل المسجونين - عدانا وباتفاق سابق - وعدا الاخوان المسلمين - فلم يكن لهم أى علاقة بنشاط المسجونين ، أغلقت زنازنتنا - على غير العادة - ، بعدما فتح باب الزنازة لنجدهما فى لحظة وقد امتلأت بمدد كبير من السجانة والضباط وعلى رأسهم المأمور .

قال على وجه ابتسامة كالحة :

- هما الجماعة دول مضربين ليه ؟

- جماعة مين ؟

- المسجونين .

- مسجونين مين ؟

- المسجونين كلهم .

- لكن احنا مش مضرين .
- ليه ؟
- علشان كده .
- هو القيادة مش لازم تضرب المثل ؟
- أسأل القيادة ؟
- طب ما انتو القيادة .
- عاوز ايه بالضبط ؟
- عاوز اثبات قانونى .
- لكل مجتهد نصيب .
- وانا مجتهد . . ولا ايه رأيكو ؟
- فعلا . . بس انتهازى .

ووسط ضحكات الزلاء العالية والساخرة ، وابتهسامات على وجوه عدد من الضباط والسجانة ، ارتفع صوت المأمور عاليا :

- يا له يا سجان انت وهو . . فتش كل حاجة . .

بعض السجانة قام بتهزيق كل ملابسنا ، والبعض الآخر كان يفتش بطريقة شكيمة . وتناول المأمور « جاكوش واجنه » كان يحملها أحد السجانة وأخذ بنفسه يحفر اجزاء من أرض الزنزانة ، ومن جدرانها ، أملا في أن يعثر على مخبأ فيه الدليل القانونى الذى يثبت صلتنا بالاضراب المسجونين . وبعد أكثر من ساعتين ، انصرف المأمور ومن معه وقد تركوا كل ملابسنا ممزقة ، وجدران الزنزانة وسقفها وأرضها وقد امتلأت بالحفر . وبعد أقل من عشر دقائق نجأنا السجنان الصديق يحمل لنا رسالة من مسجون صديق أرسلها من « الجبل » . ووقف على باب الزنزانة المفلقة حتى نقرأ الرسالة ونعطيه الرد عليها . وكانت الرسالة تحمل وصفا دقيقا للأسلوب الذى تم به الاضراب ، وللدور القذر الذى قام به المأمور سبب المسجونين لتعطيم الاضراب .

فى صباح ذلك اليوم خرج المسجونون كالمادة للعمل فى « الجبل » . كان كل شئ طبيعيا . انتظمت الفرق المختلفة وبدأت فى عملها . العمل يبدأ عادة فى الساعة الثامنة حتى نوبة الظهر فى الساعة ١٢ حيث يأخذ المسجونون راحة لتناول الغداء . وعندما نودى على المسجونين لاستلام وجبة الغذاء ذهبوا جميعا كالعتاد وفى صفوف منتظمة يحملون « القروائات » . وبدلا من أن يتجمعوا كما دعتهم كل يوم فى مجموعات لتناول الطعام ، ذهبوا بنفس الصفوف المنتظمة الى « مأمور » للعمل « ورصوا امامه كل القروائات ، ثم عادوا الى حيث يجلسون لت قضاء فترة راحة الظهيرة . ذهب اليهم المأمور ومعه عدد من السجانة يسألهم . .

— آيه الحكاية يا مسجون انت وهو • :

ويقف واحد من المجموعة ويقول :

— مضربين عن الطعام •

ويذهب الى مجموعة أخرى :

— مضربين عن الطعام •

ويذهب الى مجموعة ثالثة ، ورابعة • • الخ :

— مضربين عن الطعام •

لم يفعل الضابط شيئا ، ولم يعلق ، فهو من جانب يواجه موقف لم يحدث في اليمان من قبل ، وهو من جانب آخر متعاطف مع المسجونين وارسل الى المدير من يبلغه الخبر الخطير • وبعد أقل من نصف ساعة جاء المأمور • • • ، يحمل الحصان جسده السمين ، ويحمل وجهه ابتسامته الصفراء :

— آيه الحكاية يا جماعة ؟

— **مضربين عن الطعام •**

— لكم حق • • لكن كان لازم تعطوني فرصة •

— بقا لنا اربع ايام والاجراءات زى ما مية •

— لكن انا كنت فى اجازة •

— وأديك جيت • • حقق مطالبنا •

— انتم عارفين • • انا مش فى ايدي حاجة

— طيب عاوز فرصة ليه ؟

— علشان اتصل بالمستولين •

وكاد بعض المسجونين أن بخدع بقوله • قام مسجون صديق

وقال :

— على العموم الاضراب مستمر حتى تتحقق مطالبنا •

— لكن المسألة تاخذ كام يوم • •

— راح نفضل مضربين الكام يوم دول •

— طيب تعالى انت ومعك ثلاثة تانيين مغليا نتناقش مع المدير

والمستولين الى زمانهم وصلوا اليمان •

وذهب معه أربعة • اثنان من هيئة تحرير « الطريق » واثنان من قادة

المسجونين الى اليمان • كان فى مكتب المدير عدد من كبار ضباط

مصلحة السجون وعدد من ضباط الجيش — قيل انهم من **الخبائس**

العاملة — وحاولت هذه المجموعة من الضباط بالارهاب تارة والترغيب

تارة أخرى انتزاع أى كلام منهم يشير الى أننا نحن الذين وراء الاضراب •

ولكن عبثا راحت كل محاولاتهم • قال زميل من الزملاء الأربعة :

— احنا مش صغيرين • • مقبش حد وراء الاضراب •

سأله أحد الضباط :

«ومين اللي بيصدر مجلة الطريق ؟

قال بكل شجاعة :

— أنا المسئول عنها •

قال الضابط مهبطاً :

— ده اعتراف .. أنا راح أتمكك للمحاكمة •

قال الزميل :

— ليس في المجلة ما يتعارض مع القانون •

— طيب ليه بتظلموها بطريقة سرية ؟

— لأن الإدارة لم تسمح لنا بإصدار جريدة علنية •

— وانتو محتاجين لجريدة ليه ؟

— علشان تدافع عن مطالبنا •

— وأيه مطالبكم ؟

— تطبيق اللائحة •

تدخل واحد من ضباط الجيش :

— وأيه اللي مش مطبق من اللائحة ؟

— حاجات كتير .. الملابس لا تصرف لنا في المواعيد المحددة •

كمية الغذاء من لحوم وعسل وخلافه .. كلها وزنها أقل من الوزن

المقرر في اللائحة •

وجه ضابط الجيش حديثه الى مدير الليمان والمأمور :

— صحيح الكلام ده ؟ .. ؟

قال المأمور :

— أبداً غير صحيح • •

قال الزميل :

— أرجو الرجوع الى محاضر النيابة •

سأل ضابط الجيش مدير الليمان :

— أيه محاضر النيابة دي ؟ • •

لم سحب

وحين تكرر الضابط السؤال .. قال المأمور :

— يا أنشد ده قصده محاضر النيابة الخاصة بالضارب المسيوعين

عن الطعام • وسادت فترة من الصمت • •

قال ضابط الجيش موجهاً حديثه الى الزملاء الأربعة :

— طيب انتو بقى تروحوا لشفلكوا • • وتكفوا الاضراب • • وراح نقفاهم

قال واحد من الزملاء الأربعة :

— أرجو أن تسمح لنا بالاستمرار في الاضراب حتى يتبهم النقاهم •

- لكن أنا وعنتك ..
- يا أفسد سمعنا وعودا كثيرة قبل كده ..
- قال ضابط الجيش :
- لكن يا ابنى احنا ضباط اتصال من قيادة الثورة ..
- قال زميل ..
- يا أفسد نحن نحترم ونقدر اهتمام قيادة الثورة .. لكن ..
- لكن آيه ؟
- ممكن تصدروا أوامر فوراً بالغاء الإجراءات الأخيرة ..
- طيب روحوا انتو للشغل .. ثم نادى على المأمور وممس نسي
- أنفه ..

وبينما كان الزملاء الأربعة يعودون الى عملهم بصحبة واحد من ضباط السجن وعدد من السجانة .. كان المأمور يتجده ومعه عدد من ضباط السجن والسجانة الى عنبر ٤ زنزانية رقم ٦٤ حيث يقوم باجراء التعنيف الذى حدثك عنه من قبل . وفى الوقت الذى كان المأمور فيه يجرى تعنيف زنزانتهما كان مدير السجن فى الجبل يرتكب احدى حماقاته . توجه المدير بنفسه الى هناك تحيط به مجموعة من الضباط والسجانة ورجال « الهجانة » .. هذا يحصل دفعا رشاشا .. وهذا يحصل بندقية .. ورجال « الهجانة » بمسكون بكرابيجهم المرونة . كانت مظاهرة عسكرية لارهاب المسجونين . وبعد مناقشة لم تتم أكثر من عشر دقائق صاح المدير بأعلى صوته وهو يشير الى الزميل المسجون الذى كان يناقشه :

- اجلدوا المسجون ده عشرين جلده ..

أسرع عدد من الساجنة ينصبون « العروسة » .. ويمسكون بالمسجون لربطه عليها لتنفيذ حكم الجلد .. وقبل أن يبدأ التنفيذ همس واحد من الضباط فى اذن المدير بكلام لم يسمعه المسجونون صاح المدير مرة أخرى :

- أجرى يا سجان هات طبيب للسجن .

تنص اللائحة على أن لا ينفذ حكم الجلد الا بعد كشف الطبيب على المحكوم عليه بالجلد ليقرر اذا كان يتحمل الجلد ام لا . كذا القانون لا يمنع جلد المسجون بالسياط ، ولكنه حريم على أن لا يموت ، لاجبا للانسان ولكن خوفا من الحاسبة ، لا مانع من تعذيب المسجون حتى يصل الى حافة الموت . هذا ما يكفله القانون للطفاة الصغار .. يتسلمون المسجون حيا وعليهم أن يحافظوا عليه حيا على حافة الموت فقط . أما الطفاة الكبار فلا شئ يحد من طغيانهم .. فهم أصحاب البلد وما عليها من بشر وما بها من ثروات !

جاء طبيب السجن .. شاب حديث التخرج .. عرفناه من قبل . فقد وقف موقفا مشرقا خلال **اضرابنا عن الطعام** منذ مدة - وقد اشرت اليه في رسالة سابقة . كان وجهه يجسد كل ما يعانيه من آلام . تبا لهذه المهمة ، هل يحتم شرف المهنة على الطبيب أن يكون صادقا في مثل هذه الحالة ؟ الواجب يحتم ذلك . وما هو الواجب ؟ كلمة من ستة حروف صاغها الطفلة لارهاب موظفيهم . من ينور ضميره ويتمرد على هذا « الواجب » مصيره معروف .. الفصل من الوظيفة على أقل تقدير . ومن يطرح ضميره جانبا فهذا هو الموظف الجيد ، فهو يقوم بواجب الوظيفة ! ما أفسد الثمن الذي تدفعه نظير صدقك ! أن تكون صادقا مع نفسك ومع الآخرين فانت بطل اسطوري . الصدق في العالم يا حبيبتى شيء نادر . وهو أكثر ندرة في عالم الطفلة .

بدأ الطبيب الكشف على المسجون المحكوم عليه بمفوبة القرون الوسطى خلال النصف الثاني من القرن العشرين ! وضع الطبيب الشاب سماعته على صدر المسجون .. وبدأ الارتياح على وجه الطبيب . واتسعت معالم الارتياح على وجهه حين قاس ضغط المسجون . كتب تقريره ، وهم بالانصراف صاح المدير :

- يا لالا يا سجان نفذ الحكم .

قال الطبيب :

- نفذه على مسئوليتك ..

- كيف ؟

- الضغط واطسى .. ونبضات القلب سريعة ..

واسقط في يد المدير ، انه لم يتعود على مثل هذا الموقف . ان كشف الطبيب بالنسبة له اجراء شكلي ليس الا ، اجراء لاستكمال **الشكل القانوني ! فالحكم يجب أن يكون بالقانون !** ، صاح المدير :

- يا دكتور قم بواجبك ..

قال الطبيب بهدوء :

- لقد قمت بواجبي على اكمل وجه .

صاح المدير :

- «استدعى طبيبا آخر» .

قال الطبيب وهو أكثر هدوءا :

- أفضل ما شئت .. ولكنني لن أسكت اذا نفذ الحكم **بالجلد** .

صاح المدير :

- سأجد طبيبا آخر يقرر ما أريده .

قال الطبيب في تحد ..

- لن تجد ..

وانصرف

كان هناك أربعة أطباء يشرفون على علاج المسجونين من بينهم هذا الطبيب الشاب . وفي زملائه الثلاثة إعادة الكشف على المسجون .

عاد المدير مع مظهرته العسكرية يحمل خفي حنين ، ازدادت ثقة المسجونين بأنفسهم وبحثتهم واطمأنوا الى انه حتى في ظلالم السجن وبين أنياب الارهاب سيجدون بين الموظفين من يتعاطف معهم ويقف الى جانب قضاياهم العادلة . ما أعظم الانسان هذا الكائن القريب . انه حتى وهو بين فكى مفترسيه لا يفقد جوهره الانساني . المسجونون يلتقون حول المسجون المحكوم عليه بعقوبة الجلد القسى لم تنفذ . يحتضنونه بحب . يقبلونه ويهتفونه ، وعدد من الضباط ، والسجانة يشاركون المسجونين عبر نظرات العطف الذى تفيض بها عيونهم . كانوا يكتفون بنظراتهم المطوفة التى تصل مباشرة الى قلوب المسجونين الذين يبادلونهم نظرات الحب والتقدير . كان هذا اللقاء الروحى أقوى من صخر الجبل الذى يحيط بهم من كل جانب . أقوى من الارهاب والتخيب والسلاسل التى تعيد أرجل المسجونين .

ارتفع صوت البروجسى يطن انتهاء يوم العمل ، اختلطت نغماته بأصوات المسجونين .

.. الله اكبر على الظالم .. بالله اكبر على الظالم .

وفي سرعة لم يشهدهما « الجبل » من قبل انتظم الجوعى واشبهاء الوتى الزنهكين فى مجموعاتهم ، رفعت مئات السلاسل فى اقدامهم تمزج بنغمات البروجسى وأصوات المساجين الهادرة .

.. الله اكبر على الظالم .. الله اكبر على الظالم .

انتظمت صفوف موكب « العبيد » ، يحملون « قرواناتهم » بها وجبة الغذاء من العدىس ليمسلمونه الى ادارة السجن لملل مضى اضراب عن الطعام . كانت الشمس تختفى وراء الأفق . يبدد الظلام أشعتها ، ونفضات قلوب « العبيد » فى موكبهم تطلو على رنات قيودهم الحديدية التى تكبل اقدامهم ، تؤكد ثقتهما وإيمانها بمولد يوم جديد تشرق فيه الشمس . شمس يوم جديد لا يعرف أمراض مجتمع الاستغلال وضحايا .

وعلى غير العادة كان مدير القيمان يقف على الباب الكبير لليمان الذى يدخل منه موكب « العبيد » كل يوم بعد العمل الى السجن . وقبل ان ينصرف المسجونون الى زنازينهم يجرى « التمام » كى تطمئن الادارة على أن احدا لم يهرب . فى ذلك اليوم امر المدير بان لا ينصرف المساجين بعد « التمام » عليهم ، تحت الهم عن مطالبهم وأعلن انه قد القى كل الاجراءات التى اتخذها ، وإن كل شيء سوف يعود الى حالته الطبيعية . وطلب منهم انهاء الاضراب عن الطعام . وقف

الزملاء الأصحاء من هيئة تحرير « الطريق » واحدا بعد الآخر وأعلنوا باسم
المسجونين انتهاء الاضراب عن الطعام . كانت هذه أول مرة يتحدث فيها
مسجون باسم زملائه . فالمقروض أن يتكلم كل مسجون باسمه فقط .
وكانت هذه أول مرة يحقق فيها المسجونون مطالبهم خلال معركة جماهيرية .
لكن أمرا كان مبيقا ضد الزملاء الأربعة الذين قادوا المعركة وأمرنا
« خر كان مبيقا ضدنا ، وحتى يمكن تنفيذ ما دبروه تراجع الدبر عن
كل الإجراءات التي اتخذها » .
وفي الرسالة المقبلة ، يا حبيبتي : احكي لك ذلك .

١٥ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢١)

حبیبتی

هكذا وبالأضراب العام عن الطعام وبوحدة كل المسجونين الرائعة تحطمت كل الإجراءات الشاذة التي اتخذها مدير ليمان طرة . وصدرت « الطريق » في اليوم التالي من صفحة واحدة ، تحيي وحدة المسجونين باعتبارها الأداة الفعالة لتحقيق مطالبهم . وحذرت « الطريق » من محاولات الإدارة التي لن تتوقف لضرب وحقتهم بمختلف الوسائل ، فهي أي « الإدارة » إذا كانت قد تراجعت فأنها سوف تنتهز أول فرصة مناسبة لها للانتقام من هزيمتها التي لم تحدث من قبل في تاريخ السجون في مصر . ومضى يومان لم يحدث خلالها ما يشير إلى أي شيء ضد المسجونين بل انهم كسبوا مزيدا من المكاسب ، وساد في الليمان جو ودي وأخوي بين المسجونين وضباط الإدارة والسجانة ، وكان مدير الليمان يتودد اليهم بطريقة تتعارض مع طبيعة تكوينه الانساني والنفسي ، فضلا عن انه هزم في معركة كانت موجهة ضده في الأساس . وبذل مأمور السجن جهدا كبيرا بين المسجونين كي يعود إلى موقعه القويم قبل أن يفضحوه . حتى نحن ؛ خففت الإدارة قيود الحراسة المشددة علينا ، وعاد المأمور يتودد إلينا بشكل مبالغ فيه . حتى المدير لم يكن يمترض على بعض مطالبنا التي كان يرفضها من قبل . لم نقابل هذا الجو العام بالارتياح ، فنحن مسجونون في قبضتهم يستطيعلون التكنيل بنا في أي لحظة وليس هناك أدنى شك عند الإدارة في أننا كنا وراء هذه المعركة التي هزمت فيها . فضلا عن أن المعركة كان لها طابعها السياسي رغم جوهرها الاقتصادي ، وبالتالي فإن الدولة لن تقف مكتوفة الأيدي ، وأن مؤامرة تجبو ضمتنا . كان هذا ملخصا للرأي الذي انتهينا إليه بعد مناقشة في مساء اليوم الثالث للأضراب العام .

وتشاء الصدفة أن يصلنا في نفس الليلة ما يؤكد تحليلنا للموقف . كان هناك سجنان يتبادلان حراستنا أثناء الليل بصفة دائمة ، وسجان ثالث يتولى حراستنا خلال النهار . وكان هؤلاء الثلاثة لا يتغيرون خلافا لما يتم بالنسبة لباقي المسجونين ، وذلك كسي تستطيع الإدارة فرض الرقابة على هؤلاء السجانة وتفتيشهم تفتيشا دقيقا عند دخولهم الليمان أو الخروج منه ، وخوفا من احتمال قيامهم بإدخال أو إخراج رسائل لنا . وكان من بين هؤلاء الثلاثة رجل معروف بشراسته

وصلته بالباحث العالمة • كان هذا الرجل بموم كالمتعاد في تلك الليلة بنوبه حراسته علينا التي تبدأ من غروب الشمس - موعد اغلاق الزنزانة - حتى منتصف الليل ، لكننا لاحظنا ان زميله في الحراسة لم يتسلمها منه كالمتعاد . واستمر هو في الحراسة • في الظروف العادية يمكن ان لا يتغير ذلك انتباهنا • وضعنا علامة استمهام وقررنا رغم مقاطعتنا لهذا الرجل الذي كان دائم الاستفزاز لنا ان نجري معه حوارا نعرف منه سبب استمراره في حراستنا وهل هو امر عادي ؟ او هو مرتبط بحملة تفتيش في الصباح ؟ هذا الرجل يأتي باستمرار في كل حملات التفتيش ومهمته الرئيسية هي استفزازنا ، وكان خلال نوبة حراسته لا يترك باب الزنزانة ينظر من تقبها ليري ما نعمل ، واذا غابت عينه اليمنى او اليسرى عن ثقب الزنزانة فهو لا يستطيع ان يرى بعينه معاً من هذا الثقب الصغير - يتصنت علينا ليسمع ما نقول دون ان نراه • وكنا على حذر دائم منه ، ورغم مقاطعتنا له تماما الا أننا كننا نحفظ باحد الخيوط معه ، وكان خيطنا هو **وليم اسحق** الذي بدأ حوارا معه ، تبيننا منه ان المسألة لم تكن مجرد تفتيش مفاجئ ، استفزازي ، وانما هو امر أخطر من ذلك بكثير ، صاح ولیم ینادی :

- يا شاوبيش (٠٠٠) « اسم الحارس الآخر الذي لم يحضر » •

- عاوز ايه يا مسجون ؟

- الله •• هو أنت ؟

- لا •• خيالسى •

- وهو الخيال بيتكلم برضه ؟

- عايز ايه ؟

- خلاص بقى ، كنت فاكرك الشاوبيش (٠٠٠) •

قال الرجل بضيق :

- لا يا سيدى •• جيت اسلمه قالوا لى ما تسلمهوش واستمر أنت ؟

- ليه هو • عيان ؟

قال ورنه الغضب في صوته •

- عيان ايه ده زى الطيور •

قال ولیم وهو بضك •

- والله ما لهم حتى •• بوظوا مشروعاتك •

- مشروعات ايه ؟

- يعنى •

- يعنى ايه يا مسجون •

يعنى •• أنت برضه لسه متجوز جديد •

اصابت الكلمة الرجل في الصميم • وقال باسمي وحن :

- وأنا كنت جاهز على الآخر !

- ما هو أنت ممكن تستحمل .. لكن هي بقي ..
- قل الرجل بانزعاج ..
- هي آيه ؟ .. ما هي تستحمل برضه .
- على العموم ، تفكرنيش .
- ما افكركتسي بآيه ؟
- لا مالوش لزوم .. اضايك ..
- تضايقتي ؟ .. ازاي ؟
- اصل أنا حصلت لى ظروف كده زيك ..
- وبعدين ؟
- فى يوم كده كنت جامز زيك .. ومراتى منتظرانى .. وما روحتش ..
- اشتد انزعاج الرجل وقال :
- حصل آيه بس .. قول .. ؟
- حصل اللى حصل بقي ..
- ويكمل واسم
- على العموم ما نشيلش هم .. مش كل الستات زى بعض
- آيه بس الى حصل .. ؟
- رأسها وألف سيف لازم تقطلق ..
- يا ساتر للدرجة دى ..
- اصل ما عنكشى فكرة .. ألس مش زى الراجل .. لما تجهر .
- لازم يحصل ..
- طب واذا ما حصلش .
- والله بقى .. مش عارف أقول لك آيه .
- يا نهار أسود .. طب دنا مسافر بكره .
- مسافر .. فين ؟
- أنا عارف قالوا لى أعمل جيبك بكره علشان تسافر فى مهمة من الصبح .
- واسمعى انت يعنى ؟
- فيه سجانة تانيين وضباط .. راح يسافروا .
- همه راح ينقلوا السجن والا آيه ؟
- آيه بتهزر ؟
- على العموم ما تأخضش فى بالك .. راح تتأخر كثير .. ؟
- أنا عارف راح اتعجب قد آيه .. الله يخرب بيت بتوع السياسة ..
- وبتوع السياسة مالهم .. ؟
- أدرك الرجل انه قد استدرج ، عرفنا نحن أننا سوف نرحل فى الصباح
- الى أين ؟ هذا ما لا نعرفه . هل يعرف الرجل ؟ واستمر وليم فى حوار
- الطريف معه . وبدأ مجدى فهوى يعاونيه الزملاء فى الاستعداد للرحلة

الى الجوهول صباح الفد • اخذوا في تخبئة ممتلكاتنا من نقود وكتبه
لأخذها معنا • سألنا الدائم معنا هو الكتب • ونحن دائما جاعزون
للرحيل نأخذها معنا اينما نذهب وبوسائلنا الخاصة •

ويمستمر ولهم اسحق في حوار مع السجن :

- وراح يودوا الاخوان المسلمين فين ؟

- ما أعرفش • أنا قلت حاجة ؟

- ولا أنا سمعت حاجة •

- أمسال بتسأل عن أبيه • • • ؟

- يا شاويش (• • •) احنا رجاله وانت عارف •

- وأنا مالي • • رجاله ولا مش رجاله • •

- يعني رقبتنا ولا يمكن نقول ان احنا عرفنا منك حاجة

- حاجة أبيه ؟ وأنا قلت حاجة ؟

- يعني • • احنا برضه بنفهم • •

- وفهمت أبيه ؟

- فهمت اننا راح نترحل بكره •

- وفهمت من مين ؟

- يعني • • الكلام أخذ وجاب ممالك • •

- لكن أنا ما قلتش حاجة • •

- يا راجل وإذا كنت قلت • • احنا رجاله • • رقبتنا يا شلويش (• • •) -

ويرد الرجل مستعظبا • •

- لكن أنا عملت فيكو كثير • •

- يا راجل ما تقولش الكلام ده • • احنا اخوات • •

ويمستطرد الرجل بنسجم :

- صحيح يا أخي • • لسناك حصلك ان صنته ممالك •

- يا راجل ولا كائن سمعت حاجة • • لكن راح يرحلونا عني ؟

- لا ما اتدريش تقول بقى ؟

- على العموم • • يعني راح نعمل أبيه لو عرفنا راح نترحل فيه ؟

ويرد الرجل يود لم نعهده من قبل • •

- ريبنا عملكو • •

- اهو سجن زى كل المسجون ؟

- مين عارف • •

- حيكون أبيه يعني • • ليو زعل ؟ • كنا هناك • •

- يا ريت • •

- فيه اكثر من ليو زعيل ؟

- ليوه فيه • •

- عيني ؟

• وراء الشمس •

وانصرف الرجل ، وعيننا راحت كل محاولات ولييم لمعرفة هذا المكان الذي يقع وراء الشمس • وأخذنا نضرب أخصاسا في أسداس • ربما سنرجل الى مستقبل الطور مستقبل منذ العهد المالكى أواجبا من المعتقلين وأصبح مثله مثل كل السجن • ولم نصل الى تحديد هذا المكان الذى سنرجل اليه صباح غد والذى بقم وراء الشمس • كان من الضروري أن ننقل هذا الخبر الى زملائنا فى الزنزاة المجاورة • وصاح ولييم بأعلى صوته :

• دكتور شريف حقاته •

وصاح السجنان :

• اسكت يا مسجون •

• يا شاويش عاوز أسأل الدكتور شريف على اسم دوا •

• طيب قول وأنا أسأله •

• أصل اسمه بالانجليزى ••

• ويصيح شريف من الزنزاة المجاورة •

• فيه ايه يا ولييم •• مالك ؟

• ويقاطعهما السجنان :

• اسكت يا مسجون انت وهو ••

ويقول ولييم :

• يا شاويش طيب مات ورقة وقلم علشان اكتب اسم الدوا للدكتور

شريف •

• ويظير صواب السجنان ويصيح بأعلى صوته :

• يا نهار أسود •• ورقة وقلم انت عاوز تودينى فى داهية •

ويقول ولييم :

• طيب تعالى أسأله أنت

ويحضر السجنان ليعرف اسم الدوا ويطلبه من الدكتور شريف ، ويقول له ولييم كلام باللغة الانجليزية لا يستطيع السجنان أن يستوعب كلمة منه • وأخيرا يقترح ولييم أن يطلب من الدكتور شريف أن يقف على **جرحل الببول** • وسيقول له اسم الدوا امامه • يقبل السجنان الاقتراح بعد أن يطلب منه بالحاج أن لا يقول له شيئا عن مسألة ترحيلنا • وينقل ولييم الخبر الى الدكتور شريف حقاته بالانجليزية ويدور بينهما حوار بالانجليزية ، سريع ولكنه ينتهى الى اتفاق حصول ضرورة مواجهة وضعا الجديد بوحدة تامة لا تسمح باى فرصة لاستغلال الخلافات السياسية بيننا • كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا وكنا قد أعدنا أنفسنا للرحلة الى **الجهول** ، الى وراء الشمس كما

وصفه السجنان • أخلينا كل المخابىء من ثروتنا الثمينة من الكتب ،
وقمنا بتخبئتها بوسائل خاصة تتبع عند الرحيل • وبدأ دور مجدى
شهمى المعروف • أخذ يحدثنا بطريقته العبقريه فى رفع معنوياتنا وشحذ
حممنا ، وتأكيد ايماننا بالقضية العادلة التى وهبنا حياتنا من
أجلها • قضية مصر الحبيبة وسعها العظيم وترابها المقدس • ثم
أخذنا نردد نشيد بلادى • بلادى • ونغنى أغانى سيد درويش • وسمع
الاشعة الاولى لشمس اليوم الذى سنرحل فيه الى **الجهول** كنا نغنى :
طلعت ياما اطل نورها ، شمس الشموسه ، نعم ما اطل نور الشمس الذى يجدد
الحياة حين يعطى اشارة العمل للكاچين • ما احلاه حتى لنا نحن الذين
لا نعرف حتى هذه اللحظة ، أي مكان هذا الذى سنرحل اليه ، هذا المكان
الجهول الذى يقع وراء الشمس • •

كيف رحلنا ؟ والى أين ؟

الى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ،،

٢٠ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٢)

حبيبتي

الايمان ، الالتزام ، اليقين ، الانتماء ، كلمات تتداولها كثيرا ادبيات السياسة والفكر والايديولوجية . والمناضلون هم أكثر الناس ادراكا ووعيا بدلالاتها لأنهم يعيشونها ، لكن الحزن المختلفة التي يتعرض لها المناضلون ، وبصفة خاصة في السجن تجسد امامهم كل ما تعبر عنها من مسئولية . فان تكون مؤمنا بفكرة ، ملتزما بالانضال من أجلها ، وعلى يقين من انتصارها ، وتتحمل مسئولية الانتماء اليها وأنت خارج السجن أمر مختلف تماما عنه وأنت داخله . في السجن تجد نفسك أمام اختبار حاسم أما الاستمرار مهما كانت التضحيات ، أو الانهيار والاستسلام . والثوري انسان تمر به لحظات ضعف كما تمر بكل انسان ، لكن ما يفرق الثوري عن الانسان العادي ، هو قدرته على التغلب على تلك اللحظات من الضعف ، بالتغلب على الذات وهذه هي البطولة .

ولحظات الضعف التي مرت بي وبزملائي خلال الساعات القليلة التي سبقت ترحيلنا الى « وراء الشمس » كانت من أسمى اللحظات التي مرت بنا خلال السنوات السابقة ، في سجن مصر ، وليمان أبو زعبل ، وليمان طمره ، كدنا نصل الى يقين باننا ذاهبون في مكان لا تمتد اليه الا ييد البطش والارهاب والتعذيب حتى الموت . ولم يكن امامنا كي نجتاز تلك اللحظات الرهيبة من الضعف الانساني الا أن نؤكد من جديد المعاني العظيمة التي تحملها كلمات الايمان ، والالتزام ، واليقين ، والانتماء ، تارة بمخاطبة عقونا ، وقد توليت أنا هذه المهمة ، وتارة بمخاطبة الوجدان ، وتولاهما مجدي فهمي بأسلوبه الساحر وتارة باستنارة كل مكونات الانسان الخيرة وقام بها وايم اسحق ، ثم بحماس الشباب واندفاعه وكان محمد خليفه - عمره يومذاك ١٩ سنة - ونحن نسرده وراء الاناشيد الثورية والوطنية ، ثم وحتى الدقائق الأخيرة لمعرفة المكان الذي سنذهب اليه ، باستعادة موافق بعض الرواد الأبطال الذين عرفتهم البشرية في مختلف الميادين السياسية والعلمية والدينية . هكذا قضينا الساعات الأولى من صباح يوم ترحيلنا بعد فتح باب الزنزانه ، كان الممرور على رأس الحملة التي قامت بالتفتيش بطريقة عادية تماما .

الخط ١ المأمور وجود رصاص ورق محروق في « جردل البول » ، عز رأسه
والبتمسم ابتسامة حبيثة وقال :

- آيه الورق المحروق ده ؟
- كنا بنعمل شاي .
- شاي ولا شيعية ؟
- ظريفة .
- عجبك ؟ ..
- تعجب الباشا ..
- ما خلاص مفيش باشوات
- كل سنة وأنت طيب
- قصحك آيه ؟
- قصدي اللي قلتك
- والمغنى في بطن الشاعر طبعا .
- في أي بطن تمجيك
- كلام يحاسب عليه القانون .
- قم بواجبك
- غلبت وغلب غلبي ماعكو
- واسه
- وابتسم الرجل ابتسامة مأكرة خاتمة ، وقال بصوت كروي :
- كل واحد يلم عدومه راح نرجلكو من هنا
- هين ؟
- راح تعرف لما توصل
- وتحرك الرجل بخطوات متناقطة نحو باب الزنزانة ، وقال :
- سيوهم ياخدوا الورق اللي علوزينه .. هو هين هناك راح يقروا

ملاحظات :

- ومسال مسجان :
- والكتب يابيه ؟
- ياخدوها معام .. مفيش أي خطر منها هناك ..
- ويستلبرد :
- وكمن اذا لقيتوا منشورات سيوهم ايم .. لاضرر منها هناك ..
- الاضطارة بقي تجبيرا غيرما .
- ويرد عليه مجي فهمي بتحدى ..
- طول ماتينا نفس .. لن يقوقف نشاطنا .
- ويقتصر فـرجـل مـرعا .. بينما يقوم السجفة بتفتيش شكلي ..
- ويهـمس ضابط صـعق :

• الواحات الخارجة •

ويهمس آخر :

• شذوا حيلكو • رينا مماكو ••

الواحات الخارجة ! من هو هذا الفاشي الذى تفق ذعنه الشرير عن فكرة نفيها في قلب الصحراء • كان الفاشست يلقون بالمناضلين الوطنيين الى افران الموت • وهؤلاء الفاشست ، هل بسوقنا الى الموت جوعا وعطشا هل درروا لنا الموت بسم الثعابين في الصحراء • وانضينا فجأة على صوت سجان شرير يقول :

• لدغة « الطريشة » هناك عى والتبر على طول ••

وترنسم ابدسامه عاذة على وجه وليم اسحق ويقول :

• مين عارف •• ممكن اول لدغة « طريشة » نكون من نصيبك •

وتظهر ملامح خوف على وجه هذا السجان الجبان • لحظة صمت

رهيب •• ينظمها صوت الضابط الصديق :

• يا جماعة ما تسمعون كلام السجان ده •• مش للدرجة دى •

ويصبح في السجانة :

• يالله بقي •• مش خلاص ؟

ويلتفت الينا ويقول بصوت وود :

• شوية كده •• ارتاحوا •• لفاية ما ننادى عليكو ••

وتمضى أكثر من ساعة ، لم نتوقف خلالها عن الحديث بعد أن أغلقت علينا الزنزانة من جديد • هجدي فهمي بأسلوبه البسيط المتعجج يؤكد لنا أن النظام أضعف من أن يقوم بعملية إبادة جماعية لنا ، فمثل هذا العمل الاجرامى لا يمكن أن يمر بسهولة ليس في مصر فقط ، وانما ايضا في العالم التقدمي • وذكروا بموقف القوى التقدمية ومساندتها لنا خلال الاضطرابات عن الطعام التى قمنا بها ووليم اسحق بصوته الانساني العميق يحدثنا عن بطولات الذين استشهدوا من أجل افكارهم وآرائهم • ومحمد خليفة بصوته الجهورى الذى يفيض شجائيا وحيوية بنشد وترتفع اصواتنا وراة تقول بكل التحدى ••

• نستقونا في المناسى •• ولماؤا منا السجون •

سوف تاتيكم ليالى •• برتها عصف المنون

ثم تنضم اصواتنا الى اصوات زملائنا في الزنزانة المجاورة ••

بلادى بلادى •• لك حبي وفؤادى •

وتفتح الزنازين •• وتستمر اصواتنا جميعا تردد من الاعماق مصر

انت اليوم حرة •• فوق جبين للدهر درة •

يا بلادى عيشى حرة •• واسلمى رغم الاعادى •

وبين صفيين من السجانة الذين يحملون البنادق والرشاشات ، تملو

مناجاتنا بحياة مصر وشعب مصر ، وبالديمقراطية ، والحريات السياسية ،

انظار ترحيلهم تمتزج مع أصواتهم التى تردد .. الله أكبر والله الحمد ..
وتصل أصواتنا الى أسمع عدد من **الأخوة المسلمين** الذين سبقونا فى
وبالقرب منهم جلسنا نتبادل معهم النظرات الودودة والكلمات الخاطفة
المشجمة (كنا قد نظرنا معهم مناقشات سياسية ساكتة لك عنها فى
رسائل مقبلة) ..

وكان **مدير الليمان** يقف منفوساً كالديك الرومى ، يحيط به عدد من
السجانة يحملون **سلاسل حديدية** ، طويلة ، وغليلة ، وعدد آخر يحمل
مطارق وسنادرين ، وارتفع صوته المرتعش يقول :

— أى نسوع من المقاومة ستقابل **بإطلاق الرصاص فوراً** .
وترتفع أصواتنا :

— **دماؤنا فداؤك يا مصر**

ويعود صوت المدير يردد :

— أى خروج على النظام .. **معناه عصيان** ، **والعصيان فى السجن**
يقابل **بضرب الرصاص فوراً** .

ماذا يريد المدير من وراء ترديده هذه الكلمة ؟

هل تبدأ مؤامرة أبادتنا بإطلاق بعض **الرصاصات المبيته** لبعضنا
لأرهاب من يبقى حياً . ترديد هذه الكلمات اذن هى محاولة لاستعزازنا
وجرنا جراً الى **المؤلمة** . وبسرعة اتخذنا قراراً بالتوقف تماماً عن
الهتافات وترديد الاناشيد . وضمت فماتى فى صمت رهيب ساد الجميع ،
المسجونون المساقون الى « **وراء الشمس** » والسجانة الذين يحرسونهم ،
والضباط الذين لا يعرف أكثرهم ما يجرى وما سوف يجرى لنا . حتى
المدير نفسه توقف عن اصدار الأوامر وإطلاق كلمات التهديد . صوت قطار
يأتى من بعيد ببعد هذا الصمت الذى ران على الجميع ، ودخان أسود
كثيف يخرج من مخدنة القطار ليفطى سماء حوش الليمان ، ويتلاشى بسرعة
فى أشعة الشمس القوية حين يتوقف نقيق « **قطار الموت** » ويهمس صوت
الضابط المصديق ..

— أرجوكم .. نفذوا الأوامر .. وتوقفوا تماماً عن الهتافات والانشيد .

لقد صبح ما توقعناه اذن . هذا الصوت الودود المخلص نثق فيه .
حياتنا مهيمنة ويجب أن نحافظ عليها . كانت هتافاتنا وانشيدنا من أجل
رفع روحنا المعنوية ولقد امت دورها . حفا ، ان الانسان موقف . لقد
اخترنا بارادتنا موقفنا قبل السجن .. النضال من أجل حرية مصر وحتى
شعبها فى ان يحيا حياة كريمة . . . وهو موقف ازداد اقتناعنا به خلال
السجن رغم التعذيب والأرهاب ، ولئن نحيد عنه حتى آخر لحظة من
حياتنا ، وفى هذه اللحظة للحرية التى تتعرض فيها حياتنا للخطر لن
يكون تصرفنا « دون كيشوتيا » . نعم ان نسلوم على أفكارنا ، ولن نستسلم

للارعاب • ولكن يجب أن يدرك أن تسعة واحدة فصل بين الموقف النورى
وبين الموقف المظلم • وقررنا أن ننفذ نصيحة الضابط الصديق •
وارتفع صوت المدير فى محاولة أخرى لاستفزازنا وجرنا الى **ممركة
السوت**؛

– أكرر مرة ثانية •• أى حركة من أى مسجون سنقابل بضرب
الواصل •

ولننظف إلى حاملى البنائق والمدافع الرشاشة :

ب الجنود •• فى وضع الاستعداد ••

ومى لحظة رأينا أفواه البنائى والرشاشات مصوبة الى صدورنا ••
ويسود الصمت الجميع •• لكلمة واحدة من أحد •• بل ولا حركة •
نحن والاخوان المسلمون نجلس القرفصاء على الأرض • أمواه البنائى
مصوبة نحونا • والجنود يحيطون بنا من كل جانب ، **والقطار** يقف بعيدا
عنا ، وفجأة يبسده هذا الصمت الرعيب صوت « **البروجى** » يعلن قدوم
« **الأمواه** » مدير مصلحة السجون ويرفقه عدد من ضباط الجيش والسجون
وعدد من **الافندية** ضباط المباحث العامة والمخابرات • يتقدم اليهم مدير
الليمان والمأمور •• يلفون اليهم التحية •• ويتقدمون جميعا نحونا •
ويرتفع صوت غليظ ••

– انتباه ••

ونقف جميعا صفوفنا منتظمة ••

ويرتفع الصوت الغليظ مرة أخرى :

– أقمعد ••

ونعود الى جلسة القرفصاء « **الديز** »

ويعود الصمت مرة أخرى ، لكن همسا يدور بين اصحاب « **الكابسات** »
الحمراء و**النياشين الكثيرة** على صدورهم ، و « **الافندية** » الذين تبدو عليهم
البساطة اذا تورنوا بزملائهم القادمين بصحبتهم ، ولكن الحقيقة انهم هم
اصحاب الامر والنهى • ويستمر الهمس فقاظ تمر كالدهر ، نشمر
خلالها بان آخر انفسنا ملقة بما يدور بينهم من همس • ربما
يعنفون مدير الليمان الذى لم ينجح فى تدبير **مجزرة** يروح ضحيته
عدد منا ؟ ربما يدبرون **مؤامرة** بديلة ؟ ويناقشون « افضل » طريقة
لاستفزازنا ؟ •• على أى حال لن نستجيب لآى نوع من أنواع الاستفزاز ،
دون أى تفريط فى كرامتنا ، كما لن نقبل أى اهانة لامكاننا •

ورأينا على البعد •• واحدا من « **الافندية** » يشل نحونا ، الابتسامة
الصفراء تكسو وجهه • يبدو أنه رجل **مخابرات خطير** ، ويصيح سجان
بصوته الغليظ :

– انتباه ••

ونقف صفوفنا فى انتظار القادم • ويهمس الضابط الصديق :

— لا تستجيبوا لآي استفزاز ..

ويذهب سريعا الى الاخوان المسلمين يبلغهم رجاءه .
ماهوذا « الأندى » يسير بين صفوفنا في خيلاء وغطرسة اللجباء ، ينظر
لينا ، وبقف بين الحين والحين امام واحد من الزملاء . واستمر هكذا دون ان
ينطق بجرف واحد . لكن ابتسامته صفراء تكسو وجهه الجامد الخالي
من أى تعبير ثم عاد الى « هيئة أوكيان حروب » وراح يتحدث معهم ، وساد
لصمت مرة أخرى . التفت الينا الضابط الصديق وتبادلنا معه ابتسامات
ودودة ، ثم تركنا واتجه الى حيث يقف الضباط الكبار والأفنديت بعد
ن همس لنسا :

— أروح أشوف الاخبار .

ما الذى كان يريد ، هذا « الأندى » ؟ وما معنى صمته التام ؟ انه
سم يوجه الى أحد منا كلمة واحدة لاستفزازه ، فقط كان ينظر الى
يونونا ، ما الذى كان يريد ان يراه فيها ؟ انه بالتأكيد لم ير
يونونا سبنا مما كان يريد ان يراه . لم ير منها غير مرسى التحدى
بالاصرار . وهؤلاء البشر يا حبيبتي جبناء .. انهم بكل ما يماكون من
دوات البطش والتعذيب والارهاب يجبنون أمام نظيرة تحدى واحدة .
يلقد سهد الرجل عشرات من نظرات التحدى والاصرار ، قبل عدل عن
تنفيذ مهمته التى جاء من أجلها ؟ ولماذا ؟ ربما استغفلت فحاسة نبضه
من ضميره الميت فاستجاب لها انسانية ، وربما جبن أمام نظرات
لتحدى التى وجدها فى عبوننا . ونرى من بعيد الاجابة على وجه الضابط
لصديق القادم الينا من جديد بعد ان اصدروا اليه الاوامر التى لم
سممها . كنا نعرف ما يريد ان يقوله لنا من خلال تعبيرات وجهه ،
كنا قد امتلكننا القدرة على ان نعرف ماذا تحمل لنا ابتسامته حين
تكون انسانية ودودة . وحين تكون حزينة ، وعرفنا من ابتسامته كل
شئ قبل ان يقول لنا :

— اطمننوا أنا سأسافر معاكم ..

ههنا يكن الأمر ، فان وجود هذا الضابط الصديق معنا سوف يخفف
كثيرا من آلام رحلة العذاب الى « وراء الشمس » .

قال لهم ،

— أروى ان مدخولا كل الاوامر حتى انهم انزلت وسمي لنا . اتفقنا ؟

— اتفقنا ..

وبدأت عملية اعدادنا للسفر الى الواحات ، عملية تستحق رسالة
بكاملها . فالى الرسالة المقبلة يا حبيبتي ..

٢٢ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٣)

حبيبتي

في حديقة الحيوانات ، يضعون الوحوش المفترسة في أقفاص من الحديد كي لا تفترس الناس الذين يتفرجون عليها . وفي السجون يضعون الحكوم عليهم بالأعدام في زنازين تشبه هذه الأقفاص ، ليس خوفا منهم على الناس ، ولكن خوفا عليهم ! فمهمة الحارس الذي لا يفارق قفص الحكوم عليه بالأعدام هي أن لا يعطيه فرصة الانتحار ! فهل كانوا يخافون على الناس منا ، أم يخافون علينا حين كدسوننا مقبدين بالسلاسل الحديدية الثقيلة في أقدامنا داخل أقفاص الوحوش المفترسة ، الملحقة بالقاطرة التي جرتها الى الواحات ؟ لا هذا ، ولا ذاك بالطبع ، وإنما كانوا يخافون أن نهرب ! الشيطان نفسه لا يستطيع أن يهرب لو قيده بالسلاسل كما قيّدونا ، ووضعوه في زنزانة حدرانها من أسياخ الحديد الصلب ، وعلى كل باب من أبوابها يجلس حارسان يمسكان بالدافع الرشاشة وكل خمسة أشخاص مقبضون بسلسلة واحدة غليظة ، إذا تحرك شخص واحد فلا بد أن يتحرك الأربعة الآخرون معه ، وفوق هذا كله فالقطار يجري بسرعة لا تقل عن ٦٠ كيلو مترا في الساعة !

مازات أذكر بكل التفاصيل الصغيرة عملية اعدائنا للترحيل الى الواحات . قسمونا الى مجموعات ، كل مجموعة من خمسة زملاء ينانون عليهم بالاسم من كشف كان في بد المدير . بعد أن يتجمع الخمسة يحيط بهم ٤ سجانة وضابط ويذمبون الى ورشة الحداة في الليمان حيث يجري دق السلاسل في أقدامهم ، في سلسلة طويلة ، ثم يذمبون الى « الزنزانة » في القطار وفي كل « زنزانة » تكسبت خمسة مجموعات . أي ٢٥ زميلا في زنزانة لا تزيد مساحتها عن ٢ x ١.٥ متر . حدرانها من أسياخ الحديد الصلب ، وسقفها الواح سمكية من الحديد كذا أرضيتها العارية تماما الا من الأوساخ والقاذورات . وبعد أن انتهوا من عملية تكبيل كل الزملاء والأخوان المسلمين وتكديسهم في « زنازين » القطار ، وقبل أن يتحرك القطار نحو رحلة « المجهول » شردنا دن خلال القضبان مشهوا بشعاع ترك في أعماقي حرجا أن يذمبل أبدا .

كان أصحاب الكلابات الحمراء على الرؤوس والنياشين الكثيرة على الصدور . ومعهم « الأفنديات » ومدير السجن يفتون بعيدا في ركن من أركان حوش

الليمان ، وكان عدد من السجانة يحمل « العروسة » - التى تستخدم لجلد المسجونين - وينصبونها فى وسط حوش الليمان . وبعد قليل شهدنا اثنين من زملائنا المسجونين من هيئة تحرير « الطريق » - وقد كبلت أقدامهم وأيديهم بالسلاسل ، يجرحهم السجانة وعلى رأسهم المأمور . وعند العروسة يصدر المأمور أمرا بفك سلاسل أحد الزميلين وإعادة تقييده « بالثروسة » ثم يصدر أمرا بالجلد . أكثر من ربع ساعة كان سجانان يتبادلان ضرب الزميل بالكرباج على ظهره العارى تماما ، ولم تصدر عن الرجل آه واحدة أو صرخة . ثم اعادوا تكبيله من رجليه ويديه بالقيود الحديدية . وتكرر المشهد مع الزميل المسجون الآخر . لو أن هذه السياط نزلت على ظهرى ما قتلت مثلما تأملت فى تلك اللحظات . كنت أرى الألم يقتصر زملائى الذين يشاركونى القيد الحديدى . كنا نتبادل الألم ولا نستطيع عمل أى شئ حتى مجرد تشجيع الزميلين الذين تحملا ضربات السياط بتسجاعة نافذة . وتحدث كبير . كنا نعلم أنهما ينالا جزاء صداقتهم لنا وصلتهم بنا . وتبادلت مع مجدى فهمى الذى كان يشاركنى القيد الحديدى حوارا بالغة الأهمية فى دلالتة ..

- انهما يؤديان ضريبة صداقتهما لنا .
- بالتأكيد بعد أن فشلوا فى الحصول على اعتراف منهما ..
- من أين يستمدون هذه الشجاعة النافذة ؟
- انهما وغيرهما ليسا سوى صديقين ؟
- وهما يتعاطفان معنا انسانيًا فقط ؟
- ويتدخل وليم اسحق - وكان فى سلسلة أخرى - :
- وهل لا يكفى هذا ؟ التعاطف الانسانى هو الأساس .
- وهل نفث مكذا مكتوفى الأيدى ؟
- ويضحك وليم ، ويقول :
- السنما مكتوفى الأيدى والأرجل كمان ؟
- وأبادله ابتسامة من بعيد :
- السنمنا لم تصل اليها القيود الحديدية بعد
- ويتدخل مجدى فهمى :
- يمكن أن يسكتوا الآن ، وإلى الأبد ..
- نائمة احتجاج على الأمن ..
- ربما تكون هذه الكلمة الدليل الذى لم يستطيعوا الحصول عليه
- منهما .. ويستطرد ..
- وربما تكون كلمة السر .. بعدما تنطلق مؤامرة لثبثنا كلفنا
- أو بعضنا
- مع حق .. ليس أمامنا إلا أن نقتصر الألم ..
- ما يخفف آلام اللحظة .. أن تعايش المستقبل فى الوقت ذاته .

ويأتي صوت وليم اسحق الساخر :

— لحظة ونفوت ولا حد يموت .. ياعم درش .

وتهدأ نغمة التافرة قليلا .. لقد كنت أن ارتكب « حماقة » كنت على وشك أن اصرخ احتججا على تعذيب الزميلين هذا التعذيب الوحشي لمجرد انهما صديقان لنا . ولو انني فعلت ذلك فقد كان من المؤكد أن جميع الزملاء كانوا سيجتجون بمختلف الطرق ، الأمر الذي كان سيُعطيهم مبررا لاطلاق الرصاص علينا . **مجدي فهمي** بهوثه وسلوكه الموضوعي هو الذي منعني من ارتكاب هذه الحماقة التي كانت ستكون بالتأكيد اشارة البدء للمؤامره التي كانوا يبدرونها وفشلوا حين لم يجتوا مبررا لها . وتنتهي عملية **جلد** الزميلين .. ونشهدهما يساقان مرة أخرى الى **زنازين « القناديل »** أيديهم مكبله بالقيد وأرجلهم مقيدة بالسلاسل ، ومن ورائهم نشهد موكب الضباط الكبار والأفندية يسير ناحية مكاتب الإدارة ، وتزق صفارة الفاصلة بصوت مزعج بينما تنفث مدخنتها دخانا أسود كثيفا ، يكاد يخفي أشعة الشمس الساطعه ، ايذانا ببدء الرحلة الى **ما « وراء الشمس »** .

الفاص حين يسافرون الى بلاد أخرى يذهبون الى محطات السكك الحديدية أو المطارات .. لكن أمثالنا من البشر تأتي اليهم القطارات حيث يسكنون ، والناس ياحبيبتى مقامات ! لم يكن منظر القطار غريبا علينا ، فقد كنا نراه يوميا في الجبل يملأ المساجين عرباته بالأحجار البيضاء التي يكسرونها من الجبل بالديناميت ، لكننا لم نر أبدا قطارا داخل حوش الليمان ، لكننا كنا نرى قضباننا ، وأذكر اننا كنا نسال عن سر وجود هذه القضبان التي لا تسير عليها قطارات ، وعرفنا أن الاحتمال البريطاني الذي قام « جنوده » بتشبيد هذا الليمان الضخم كان يستخدم القطار في نقل الاحجار من الجبل الى موقع البناء ، اختصارا للوقت والتكلفة حتى تم تشبيد الليمان الذي لم يدخله القطار بعد ذلك الا من أجل أن يحملنا الى **الواحات** ! وكانت هذامول مرة يخرج فيها القطار من الليمان محملا « ببشر » ، وكانت هذه أيضا أول مرة يسير فيها قطار خاص في بطن الجبل عرباته من **زنازين** ، وليست عربات بضائع فكل القطارات التي اخترقه ، كانت تحمل احجارا وليس « بشرا » ! **هكذا** كان الحال منذ **الاحتلال البريطاني** ، وكان هذا هو الجديد ! ومتى بعد الاستقلال وتوقيع اتفاقية الجلاء !

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشر ظهرا حين خرج القطار من بوابة السجن . كان من اللوف عند خروجنا في موكب العبيد اليومي الى لاجل أو العودة منه لن نرى أمام **بوابة السجن** عدا كبيرا من أهالي السجونين يلوحون على البعيد لتوبيخ الذين يلحقونهم خلال ذمابهم أو عوتبتهم فيطعنوا الى أنهم ما زلوا على قيد الحياة . وكنا نرى أيضا **الأهالي** الذين

ياتون للزيارة ، ونرى باعة الفاكهة والمطويات مفتشين في المتعة
يقيمون للأمالى بضاعتهم • وكثيرا ما كان طابور العبيد ينتظر مرور
القطار المتجه الى حلوان أو القادم منها • فمن المعتاد أن يتخطى الطابور
تضبان مترو حلوان • وكنا نأسي كثيرا لركاب قطارات حلوان خاصة اذا
استطاعت عيوننا أن تلتقط صورة غير واضحة المعالم لامرأة أو فتاة •
كنا نرى كل يوم خلال ذهابنا الى الجبل أو عوفتنا منه صورة من
صور الحياة التي لا تتوقف ، فيزداد حبنا للحياة ويزداد نعلقنا بها ،
ويتضاعف أملنا في أن نسود اليها يوما •

لكنهم في ذلك اليوم حرمونا حتى من هذه الصورة الانسانية ، المنطقة
خالية تماما من أى انسان سوى طابور طويل من الجنود يقف على الجانبين
يبدأ من بوابة الليمان وينتهي عند بطن الجبل ، يحملون الدافع الرشاشة
الموجهة البنا نحن الذين نقع في الأقفال الحديدية وأقدامنا مكبلية
بالقيود الحديدية ! وعلى بابى كل « زنزانة » يقف حارسان في إيديهما
الدافع الرشاشة ! والى جوار القطار الذى يسير ببطء شديد تجرى عدد من
الخيول التى يمتطيها ضباط السجن ، تبطى، أحيانا وتسرع
أحيانا أخرى • وعلى البعد يقف مدير الليمان ومأمورهم مع أصحاب
الكابلات الحمراء والأفندية ، ويسير قطارنا نحو الجهول بين قطارين أحدهما
قادم من حلوان والآخر متجه إليها وقد أخليا تماما من الناس •
تسرى كم ساعة تمطلت خلالها أعمال الناس القادمين من حلوان أو الذاهبين
إليها ؟ وهل يعرفون أسباب هذه التعطيل ؟ ومن الذى يحملونه مسئولية
تعطيلهم عن أعمالهم ؟ وتحمل القضبان التى اعتادت أن تحمل قطارات
الاحجار قطار زناتيفنسا الى محطة مصر ، ولكن من خارج القاهرة وليس
من داخلها • وهكذا سار القطار من ليمان طرزه حتى محطة مصر بين رمال
كلها صفراء • ونباتات كلها شيطانية على سفوح الجبال ، والتلال •
محطة مصر التى لا تتوقف فيها حركة ركاب الوجهين البحرى والتبلى
كانت خالية تماما منهم • وعلى رصيف قطار الصعيد كان يقف طابوران
من جنود البوليس يمسكون بمذاقهم الرشاشة ومهم عدد من ضباط البوليس
وعدد من « الأفندية » يروح ويحيى على طول الرصيف ، وينتشر هنا وهناك
عدد من لابسى الجلابب واللبد الذين يعرف موبتهم كل الناس ، جميعهم
يقتظرون مقدم قطارنا ! على البعد كنا نرى مجموعات مكسمة من
البشر ، فى انتظار الانتهاء من هذه الحالة للشادة ليركبوا قطاراتهم •
وما أن يقف « قطارنا » على رصيف الصعيد حتى نسمع صيحة مدوية لامرأة
تبعد السكون الرهيب الذى فرضوه على الناس والمكان فى عز الظهيرة •
- المستور • • المستور •

وكأنما أصابت هذه الكلمة الناس الواقفين فى انحاء المحطة بمس كهربائى،

وإذا بأصوات عديدة تملو في قوة ، أصوات اعتزت لها مبان محطة
مصر .

– الدستور .. الدستور ..

وترتفع أصواتنا من كل « الزنازين » – نحن والاخوان المسلمين في صوت
واحد :

– الحرية .. الدستور .. الاغراب

وفي لحظة واحدة تختل كل اجراءات الأمن المشددة .. ولايستطيع
البوليس المدجج بالسلاح ولاصيحات « الأقسدية » من أن توقف زحف
أهاليينا والجمامير التي تماطفت معها نحونا ونحن غابعين في « الزنازين »
تنوعت الهتافات .. الدستور .. الديمقراطية ، الحرية للمسعب .. وتوحدت
أصواتنا بأصوات الأهالي والجمامير وهي تردد نشيدنا الخالد .. بلادي
.. بلادى لك حبي وفؤادى ..

امتلات محطة مصر بالجمامير تردد معنا في حماس وقوة نشيد
بلادى .. بلادى .. وقد أحاطت بالقطار من كل جانب ، ووقف عدد كبير
من الأهالي أمام القطار كي لا يتحرك الا على جثتهم .. وبدأت أغرب
مفاوضة في التاريخ بين أهاليينا وبين رجال المباحث العامة .. تقدمت زميله
يحيط بها عدد من الأمهات والزوجات والأخوات والأطفال للمفاوضة ،
قالت :

– نريد فرصة لتأبلة أولادنا ..

ويقول رجل المباحث :

– ولكنى لا أملك ذلك

– اتصل برؤسائك

– عندى أوامر بعدم الاتصال

– الأوامر يمكن أن تتغير ..

– وما الذى يجبرنا على تغيير الأوامر ؟

– لن يتحرك القطار الا على جثتنا ..

وتجلس الأمهات على القضبان الحديدية ، بعضهم يجلسن للترنمته ومن
يحملن أطفالهن وأطفالنا ، وبعضهن يتمددن على القضبان ، وتقول الزميلة :

– فلنكن محزنة أخرى من مجازركم العديدة ..

وتذهب زميله أخرى الى سائق القطار وتقول له ..

– انت المسئول لو تحرك القطار وقتل واحدا ..

ويرد السائق :

– يا ستي ما تخافيش .. أروح فين من ربنا !

وتملو أصواتنا من جديد نهتف بحياة الدستور .. وتنشد : بلادى ..

بلادى .. وتردد الجمامير والأهالي الهتافات والنشيد ، والحوار ما زال

صستقروا بين الزميلة ورجل المباحث الذى يتركها فقرة قصيرة ويعود اليها مرة اخرى ويسال :

- انتو عاوزين ايه علشان القطار بتحرك ؟
- ان نتحدث لبعض الوقت مع اولادنا ..
- ماشى .. نصف ساعة تكفى .
- وان يسمح لهم باخذ ما اتينا به من اكل وملابس .
- موافق ..
- وان نعرف اين ستذهبون بهم وكيف يعاملون ..
- الى الواحات الخارجة .. وسوف يعيشون فى خيام ..
- وكيف سيعاملون ؟
- ليس أسوأ من معاملتهم فى الليمان ..
- ومن يضمن هذا ؟
- هذا مالا اعرفه .. ربما زيارتكم لهم ..
- نريد تصريحاً بالزيارة .. غدا .. أو بعد غد ..
- هذا مالا املكه ..
- من الذى يملك ؟
- ادارة السجن ..
- مدير الليمان موجود ..
- ويهمس رجل المباحث فى اذن مدير الليمان الذى يقول :
- الزيارة حسب اللائحة .. من يستحق سوف يسمح له بالزيارة
- نريد استثناء من القاعدة ..
- ساكتب لك تصريحاً ..
- ليس لى ..
- لمن اذن ؟
- وتتقدم احدى الامهات تحمل على كل يد من يديها طفلاً .. تقول :
- الطفلةين دول لازم يشوفوا ابوهن .

ويطلب اشدير ورقة ليكتب عليها اذنا بالزيارة بعد أن يسجل اسم الام واسم زوجها . ومع أحد زملائنا « مصطفى كمال خليل » . كان قد قبض عليه فى نفس اليوم الذى قبض على فيه ولم يكن قد مضى على زواجه اكثر من عامين . شهد مولد احدهما ولم يشهد مولد الآخر . ومضت نصف ساعة امضيناها مع امالينا فى احاديث مختلفة ، ومتصلة والجمالير تحيط بهم تنظر الينا بحب وعطف . ربما لأول مرة تتعاطف جمالير الماركسيين والاخوان حول موقف انسانى ، فنحن والاخوان مكبلون فى زنازين وراحلون نحو الجدران ، وربما كان هذا التعاطف الانسانى هو الذى وحد شعاراتنا للدستور ، الحرية ، الديمقراطية . ومن يؤكد

أنه خلق تقارباً بيننا وبين عدد كبير منهم في النظرة السياسية - كما
سأتناوله في رسائلي المقبلة -

كان منظرنا غريباً - كسرود أو أسود أو نمور في أنفاس حديدية -
نتناول الأكل والفاكهة من بين القضاة - المظوظ منا هو من كانت والدته
أو زوجته أو أخته هي التي تزوره ، فقد استطاع أن ياكل كميات أكبر
من « طبخ » البيت الذي كنا ننمناه وقبل أن يصادر لصالح الجميع .
ومع أن أخي المرحوم « مسعد » كان قد حضر لرؤيتي وأحضر معه كميات
من الأكل الجاهز ، « كباب » مثلاً ، حيث كان ما زال أعزباً ، فقد
استطاع أن يحصل لي من الأمان على كميات من « المحشي » الذي لم أكن
قد ذقت منذ سنوات ! ودأب بيننا حوار سريع لم يتسع سوى للكلمات
معدودة عن أخوتي أو زوجتي ، قال :

- ميمي لم تستطع الحضور ..

- مش مزه .. لكن لماذا ؟

- لم ألق بها منذ مدة ..

- والأخوة ..

- كويسين .. كل واحد في حاله ..

- المهم أنت عامل إيه ؟

- كلفت بالاتصال بكم ..

- عندك آخر الأخبار ؟

ناولني علبه سجائر هوليود « لارج » وقال :

- فيها كل ما تريدهونه ..

- تروة عظيمة ؟

- أعظم ما تتصور ..

ومن بين قضبان « الزنزانة » كنت أعانقه .. بينما كانت صفارة التطار
تصرخ تعلن استئناف الرحلة ، ودخان مدخنته الكثيف « يهب » بظلاله
السوداء أروع صورة انسانية شهدتنا محطة باب الحديد . وتحرك التطار
وارتفعت مختلفات جميع المسجونين والأمانى بحياة المستور ، والوحدة
الوطنية ، وما كاد يخلد محطة مصر حتى ارتفعت لمواقنا بنسجينا
الحبيب إلى قلوبنا : يلاي .. يلاي ..

وحين مرق التطار بمزلقان « السبئية » تابلت مع مجيئهم نظرات
خاصة . هنا في حي بولاق عاش مجيئهم وتامل مع رفائ أعزاه
من عمال المسكة الحديد وشجرا الضمة ، وحنا ولد وعاش مع أمه وأخوته
ومع أمانى الحى البسطة له ذكريلت انسانية - وشارع ابن الرشيد حين
نعبر مزلقان السبئية ، في حرارة حبيبة الحكمة عشت أجل سفوات
حياتي بعد أن انتهت مع أمانى وأخوتي من دور سيد عام ١٩٦٩ *

كنت ما زلت طالبا في مدرسة تقع في نفس شارع السبتية . في هذا البيت ماتت أمي مبكرا بعد حضورنا الى القاهرة بأربع سنوات ، وكنت قد انتظمت في صفوف المناضلين من أجل مصر وسعها . يالها من أيام .. وجئت دموعا تجرى من عيني ، وأخرى من عينا مجدى .. قلت له في محاولة لتخفيف آلاما أعانيها ويعانيها هو أيضا :

— فاكرا يا مجدى البنت الطالبة في مدرسة الأميرة فوزية ؟
ابتمسم بهدوء وقال :

— وهو حد ينسى احسان .. كانت آية .. !

كانت « احسان » طالبة في مدرسة الأميرة فوزية الثانوية التي تقع أمام الورش الأميرية بحي بولاق . وكانت تسكن مع أهلها في شارع ابن الرشيد على ناصية حارتنا « حارة حبيبة الحكمة » . لم أكن وحدي الذي انتظر نزولها من بيتها صباح كل يوم وهي ذاهبة الى مدرستها سيرا على الاقدام . كان كثيرون غيرى ينتظرون مرورها ، على طول شارع ابن الرشيد حتى مزلقان السبتية ، ثم على طول شارع السبتية وعلى تقاطع ابن الرشيد مع الشارع الذي تقع فيه المدرسة أمام الورش الأميرية كانت فتاة بارعة الجمال ، خدودها كحمر الخوخ ، وقوامها فارغ ، وتقاطيع وجهها .. سبحان الخلاق . لم أنسر يوما بأن واحدا من المعجبين بها نطق كلمة واحدة تجرح شعورها ، كان بعضهم يحبها بأشد حب شديد واحترام كبير ، وتردد عليهم التحية وابتسامه ودودة تكسو وجهها الجميل :

— يا ترى اين هي الآن يا مجدى ؟

— نسيت أسأل أمي

— وأنا نسيت أسأل مسعد ..

— آخر مرة شفتها امتي ؟

— يمكن من خمس سنين (٣ في السجن و ٢ قبل السجن)

— أنا أسعد حظا منك .. شفتها قبل القبض على بايلىم ..

— اتجوزت ؟

— وخلفت ..

— ولمسه خلوه ؟

— والله من الأول ..

— لزمت بحرية حب عظيمة ؟

— الحب الحقيقي يضمى على الانسان جمالا ..

— معنويا .. نعم .. لكن بيولوجيا ؟

— ويبنسم مجدى ابتسامته الودودة :

— طبعا .. الحب يعيد تكوين الانسان نفسيا وبيولوجيا الى حد

كبير ..

وتمضى دقائق .. أصوات الزملاء لا تتوقف ، تردد نشيد بلادي .
 بلادي . واختلس أنا ومجدي دقائق للحوار . ونجد أنفسنا في محطة
 الجيزة التي كانت خالية تماما من ركاب وجه قبلى ، ورجال البوليس الذين
 يحملون هدايقهم الرشاشة امتلات بهم ساحه المحطة . وترتفع ايدى
 الزملاء من بين قضبان أقفاسهم الحديدية تلوح للأهالى الذين يقفون بعيدا .
 دقائق معدودة وينادر القطار محطة الجيزة . وما أن يدخل محطة الفيوم،
 ثم بنى سويف وباقى المحطات حتى أسيوط ، حتى ترتفع اصواتنا بالهتافات
 والأناشيد . كان القطار يتوقف في كل محطة ما بين دقيقتين وخمس دقائق
 على الأكثر . وعلى كل محطة كنا نجد جنود البوليس والمخبرين الذين
 انتشروا في انحاءها . والجمامير الواقفة لتسرى « ما الحكاية » ربما كان
 قطار « تشريف » ! .. لكن « انفار » التشريفية غير موجودين تبقى
 الحكاية مس تشريفية بعضهم دفعة الفضول ليسرى بنفسه
 لماذا هذا الحشد من البوليس والخفر والمخبرين والضباط ، وبعضهم كان
 يعرف « الحكاية » ومؤلا، هم الذين جاؤا مع الزملاء من الحافلات والقرى
 والنجوع ، بجليل أننا كنا نجد في بعض المراكز من يفابلنا بهتافات
 معيئة عندما يدخل القطار محطاتها . يطلق مجدى فهمي :

– يبدو ان الزملاء نشطين في الصعيد ..

– ولكن ليس في نفس المستوى ..

– نورسل اليهم ملاحظتنا ..

وعندما دخل القطار محطة أسيوط كان الظلام يزحف يبدد أشعة الشمس،
 وكانت حناجرنا قد أجهت الى الدرجة التي جعلتها عاجزة عن تادية
 وظيفتها تماما . لقد أدت مهمتها على طول الطريق من القاهرة حتى أسيوط .
 حيث يوجد بشر ، وزرع وخضرة وحياة .. فشكرا لها ولدفعها لتستريح
 بل وتستريح أجسامنا المجهدة المتعبة . فالطريق من أسيوط حتى محطة
 الوصلة ليس به سوى الرمال والكتبان والنباتات السبطانية المنتشرة على
 سفوح الجبال والتلال .

كاد اللال ان ينقصف عندما وصل القطار الى محطة الواحات الخارجة .
 لتبدا رحلة السيارات الى جناح حيث يقع السجن الجديد ، كانت ليلة
 تستحق الرسالة المقبلة يا حبيبتى

٢٨ يونيو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٤)

حبيبتى

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر مساء حين وصل القططار الى محطة « المواصلة » وهى المحطة الوحيدة التى لم نر فيها جنود « التتريفة » وضباطها الذين شهدناهم على كل المحطات التى مر بها النظار من القاهرة حتى هذه المحطة التى تفجع فى قلب الصحراء . كان فى انتظارنا عدد من سيارات الجيش اللورى بها عدد من السجانة وضباط المسجون على رأسهم الضابط (٥٠٠) وهو من الضباط الكبار فى مصلحة المسجون ، استعمرى انتباهنا « السوط » الذى يحمله وتوجسنا شرا عاجلا . ونحن قال لنا :

— أهلا وسهلا . . . لم نطفئ لترحيبه فلم نرد عليه .

كان من الصعب أن نتعين تعبيرات وجهه فالظلام دامس الى درجة كان يصعب علينا أن نرى بعضنا البعض بوضوح . بعد فترة أمضيناها فى « الزنازين » جاؤا بعدد من الكلوبات يحملها سجانة حتى نستطيع أن ندين موقع أقدامنا وحتى نستطيع النزول من « الزنازين » لنركب العربات وبدأت محاولة نزول أول خمسة أشخاص مكبلين بالسلاسل الحديدية ، وكنت من بينهم . سلم « الزنزانة » يبعد عن الأرض بحوالى متر على الأقل ، طول السلسلة الحديدية المقيد بها الزملاء الخمسة لايزيد عن ثلاثة أمتار ، ولا يزيد طول السلسلة بين كل زميلين عن نصف متر ، معنى هذا أن مجرد رسول الزميل الأول من على ارتفاع متر سوف يجز وراء الزملاء الأربعة ، الأمر الذى يعرض الجميع — على الأقل — لكدمات وجروح ، فمن يضمن أن لا يقعوا على ترميط السكة الحديد أو الأحجار التى بجانبه . كان الضابط يقف الى جوار الزنزانة التى كنت بها وأنا أحاول مع زملائي الأربعة النزول منها ، وشهد صعوبة نزولنا ونحن مقيدون بالسلاسل الحديدية فنظر إلينا حائرا ولم يتكلم . اقترح أحد الجنود أن يأتوا بكرسى لنزول عليه واحدا وراء الآخر ، فقلت بمسخرية :

— كرسى ما ينفعى . . . علوزين كذب .

ضحك الضابط . . . بصوت عال وقال :

— أو سرير بسوسته علشان ما حشى يتجرح .

انست اليه فقلت :

— موه فيه حد مجنون يفكر فى الهرب من هنا !

- انتقل لك ؟
- تفكروا السلاسل ..
- ما هي هي المشكلة ..
- مشكلة ؟ راح بفضل كده على طول ؟
- لا طبعا .. لكن كلن لازم يكون فيه استعداد .
- استعداد لايه ؟
- شاكوش وابضة وسندان ، وخداد ..

ولاول مرة أدرك أن هذه السلاسل الحديدية لا تفك الا بقطعها . السلاسل التي كنا مقيدين بها قبل ذلك بعد أن حكم علينا بالاشغال الشاقة كان فكها لا يحتاج الى كل هذه الأدوات . وللقيد الحديدية التي كانوا يقيدون بها أيدينا كانت تقفل وتفتح بمفتاح خاص يحتفظ به الضابط المسئول عن « القزحية » سواء كانت مكونة من فرد واحد أو عدد من الأفراد . وهؤلاء الذين قيدونا بهذه السلاسل كيف كانوا يفكرون ؟ بالقطع لم يفكروا فيما سوف نعانيه خلال هذه اللحظة وهذا من « حقهم » ، فنحن بالنسبة لهم لسنا سوى « بضاعة » مطلوب « شحنها » من مكان الى آخر ، وليس من شأنهم أن تصل سليمة أو مكسرة . ولكن ألم يفكروا في أولئك السجن سيقتملون « البضاعة » وفي معاناتهم عند استلامها ؟ كان واجب الزمالة يقتضي - على الأقل - أن يفكروا في هذا الأمر . ويجدو أن مأمور السجن الجديود ... كان يفكر بهذا المنطق « الوظيفي » .

قال وهو يضحك ..

- لكن انتم ازاي عرفتوا تطلموا عربات القطار ؟
- كانت المسافة بين سلم العربة والأرض لاتزيد عن ٢٠ سم
- وطبعا مما مش عارفين الوضع هنا ..
- ويمطى احد الزملاء بسخرية ..
- تلاتي واحد منهم خطى هنا ..
- ويقول الضابط بمصرارة ..
- وايه اللي راح يجيبهم هنا .. من وراء مكاتبهم ..
- ويقول زميل :
- والا من بيوتهم المكيفة ..
- وثسان
- والا من سهراتهم الحمراء ..
- وثالث
- وراح يتركوها صفقاتهم المريبة اين ؟
- وتستمر التعليقات الساخرة بين ضحكات الزملاء . ويشاركهم الجنود أحيانا .

- ويتنقبه الماهور ، فيقول ضاحكا :
- آيه يا جماعة انتو ناويين نحبسوني معاكم ولا آيه ؟
- ويقول زميل :
- يعنى .. مفيش فرق كبير ..
- وتصدر عن الماهور تنهيده ويقول :
- والله ما فيه فرق .. المهم عاوزين نحل مشكلة نزولكم ..
- ويصدر أوامره الى بعض الجنود بالذهاب الى « **العسكر** » **لأحضار حداد**
- ومعه الآلات اللازمة لقطع السلاسل الحديدية** .
- المسافة بين محطة المواصله « وجناح » حيث يقع السجن الجديد تقطعها العربيه فى حوالى ساعة ذهابا وإيابا قضاها الماهور فى التعرف على الزملاء . راح ينتقل بين عربيات القطار ليعترف علينا وعلى الاخوان المسلمين . وعند كل زميل أو أخ بدور حوار سريع :
- الدكتور شريف حنانه .
 - انت قريبي ..
 - زكى مراد الحليمي ..
 - لا انت مش قريبي
 - ازاي ابقى قريبك وأنا نوبي ؟
 - محمد شحنا .. عامل نقابى ..
 - باين عليك خطر ..
 - ولیم اسحق الفان
 - مفسى ؟
 - لا .. وسام ..
 - ضحنا صورة بالزيت ..
 - وينتقل الى الاخوان المسلمين
 - بكباشى فؤاد جاسر
 - بوليس
 - لا جيش
 - صاغ جمال وبيع ..
 - طيعا جيش .. !
 - دكتور كمال خليفه
 - طبيب ؟
 - لا مهندس
- مدوء الصحراء يلف المكان . اى مسى يمكن ان تسمعه . وهواه الصحراء يلفح الوجوه المتعبه المنهكة ، ونشعر بان الدم يجرى فيها من جديد وهى تمتزج بصوت الماهور الودود خلال تعرفه علينا .

ونحسب ببعض الأطنان ولكنه مشوب بالحذر . فنحن حتى الآن
لا نعرف ماذا ينتظرنا هناك في السجن الجديد . لقد مضى الكثير .
وستعرف كل شيء بعد قليل .

تعود العربية التي ذهبت إلى السجن الجديد وبها الحداد ومعها
الأدوات اللازمة لقطع السلاسل . . . سندان . . . ومطرقة . . . واجبة .
يصعد إلى زنزانة رقم ١ بالقطار . ينظر قليلا إلى السلسلة الحديدية
المعلق بها خمسة أشخاص ويوجه كلامه إلى المأمور . .

— أفكمم خالص يا بيه ؟

— يعني إيه خالص . . آمال نص نص ؟

— يا بيه اصل لو فكيتهم خالص راح تاخذ وقت . . يمكن لغاية بكره
بعد الظهر . .

وتبدو على وجه المأمور تعبيرات تدل على عدم الفهم فيقول :

— مش فاهم . .

ويقوم الرجل بشرح « القضية » ، فيقول :

— يا بيه . . في كل رجل « حجلة » ودي تخينه قوى تاخذ وقت على
ما تنقطع . . لكن السلاسل سهل تاخذ وقت أقل ، نقطع
السلاسل ولا نقطع « الحجلة » ؟
ويرد عليه المأمور بضجر . .

— قطع اللي تقطعه . . المهم أنهم ينزلوا من القطار . . ويركبوا
العربات . .

— لكن يا بيه اذا قطعنا السلاسل . . وبعد كده نقطع « الحجلات »
مش ممكن استعمالها بعد كده . .

ويصبح المأمور بصوت عال :

— والله ما أنا فاهم حاجة . . حد منكم فاهم حاجة يا جماعة ؟

ويضح الجميع بالضحك . . وينزلي أحد الزملاء العمال شرح المشكلة :

— « الحجلة » اللي في الرجل « مبرشمة » . . ولما يطلع بمسما
البرشام يمكن استعمالها بعد كده بمسما برشام آخر ، لكن لما يقطع
حقة من حقات السلسلة اللي بين كل زميل وزميل ، معناه أولا أن
السلسلة راح تبوظ ، وثانيا أن كل زميل مسيحتف بقطعة سلسلة
و« حجلة » في كل قدم من قدميه . . وبعد كده تقطع الحجلة .

— أه فهمت . . يا سيدى قطع السلسلة . .

ويصبح ضابط « الترحيلة »

— السلسلة تبوظ . . ودي عهده على . .

ويضح الزملاء بالضحك . . ويقول أحدهم :

— واحنا مش عهده . .

ويرد عليه ضابط الترجيلة :

- أنا خلاص سلمتكم لحضرة المأمور .

- لا يا جيبى أنا لسه ما اسلمتس حد راح اسلمهم فى السجن
وأمضى عليهم هناك .

- طب وآيه العمل .. أنا لازم أرجع السلاسل .. دى عهد ما ناس ..
ويعلق أحد الزملاء ساخرا ..

- ببلى مفيتس حل إلا أنا نموت عنا ..

- ما انتو برضه عهد .. لازم اسلمكم أحياء ..

ويعلق زميل :

- والسلاسل ترجع سلبة ..

ويعلق آخر :

- معادلة صعبة .. ازاي نحلها !

ومرة أخرى يضج الحميم بالضحك . هذا المكان الموحش الكتيب لم
يشهد من قبل بشر يضحكون . ومن الذى يضحك ؟ السجن والسجن !
فى لحظة تحولت المأساة الى ملهاة !

كان الأمر يستحق « ثورة ادارية » من أجل القضاء على
البيروقراطية . بداهة فى تلك اللحظة مأمور السجن الجديد . قال
بحسم وهو يوجه كلامه الى الحفاد :

- قطع السلاسل .

ويقاطعه ضابط « الترجيلة » :

- وأنا أعمل آيه ؟

يرد المأمور وهو أكثر حسما :

- راح أمضى لك على وصل باستلام السلاسل ..

ترتاح اسارير ضابط الترجيلة ويضرب « تعظيم سلام » ، وترتفع
صباحات الاستحسان من الزملاء والتعليقات الطريفة الساخرة . وقبل
أن يبدأ الحفاد فى عمله متدينا بالزنزانة رقم ١ .. باتى صوب من
الزنزانة رقم ٤ .

- نحنا الآز .. نحنا الأول ..

ويرد المأمور

- بالترتيب ..

ويعود الصوت ..

- أصل .. أصل .. ويضرب أصابع يده اليمنى بعضها البعض
ويضحك المأمور ويقول :

- بى .. بى .. والاكا .. كا !

- وترتفع ضحكات المسجونين والسجانة والضباط تبسند محو-

الصخرة الرهيب ، ويعطى المأمور أوامر الى الحداد بان يبدأ من الزفزانة ٤ . الغريب ان كل زميل بعد فك قيوده كان ينتحى جانبا للقبول ! لقد مضى علينا أكثر من ١٨ ساعة ولم يكن احد بحاجة الى التبول . فلماذا ظهرت الحاجة الى ذلك فسى تلك اللحظات بالذات . يا لهذا الاتساع .. كائن غريب قادر على التأقلم والتكيف مع كل الظروف !

الحداد ينتهى من عمله بسرعة . ونسير الى العربات كل منا يجر فى كل قدم من قدميه سلسلة معلقة فى « حجلة » . يمسكها وليم اسحق بيده ويقول ضاحكا :

— هيه دى بقى « الحجلة » الرئيسية يا درش ..

— دى مش « حجلة » رئيسية واحدة يا وليم .. دول اثنين . وتنطلق السيارات وسط صحراء واسعة يلها ظلام حالك . سكنون رهيب يمزقة بين الحين والحين عواء الذئاب والثعالب ، مصابيح السيارات العالية تخترق الظلام كى ترى طريقها غير المهمل الى السجن ، أنوار تبعد من بعيد تحيط بمساحة كبيرة مربعة .. يبدو انها « أنوار » السجن فى لحظة تجسد امامى صور مسكرات القنازى . الصمت يخيم على جميع الزملاء حتى تكاد تسمع صوت تنفسهم . ما الذى ينتظرنا بعد دقائق ؟ حقا لقد كانت معاملة مأمور السجن الجديد انسانية ولكن ربما لا يدرى هو نفسه ما دبروه لنا . اغلب الظن ان هؤلاء « الفاسست » لن يستخدموا نفس الأساليب التقليدية للتعذيب ربما كانت خطتهم تقوم على أساس القائنات فى الصحراء نهبا للذئاب والثعالب والثعابين .. وانتابتنى رعدة شديدة لم تحدث لى من قبل ، رغم ان فكرة الموت سيطرت على مرات عديدة ، ولكن ان أموت بعد كل هذا الصمود بلدغة « طريشة » امر لا يمكن تصوره . وكيف يصمد الانسان للدغة « طريشة » أنشاء نومه او سيره او جلوسه ؟ كيف يتجاوز سمها الذى يسرى فى جسم الانسان سريان الكهرباء ويموت فى الحال . اى فاشى حقير هذا الذى دبر لنا الموت بهذه الطريشة القذرة اللعينة ؟ ان كل افران النازى ومسكراتهم .. كل أساليبهم الوحشية تتوارى خجلا أمام هذه الفكرة الشيطانية الموت بلدغة « طريشة » .. والسبب .. « قضاء وقدر » !!

وتقف بنا السيارات عند باب السجن .. مساحة واسعة من الأرض تحوطها الأسلاك الشائكة .. وأكوام من « الخيام » مكدسة على أرض « المسكر » . كان فى استقبالنا « ... » مأمور السجن ومعه عدد من الضباط والسجانة ويمسك احدهم « كلوبا » لثقبين موقع اقدامنا . قال المأمور :

- زى ما انتو شايقين .. مخيمات في صحراء ..
- ويقول احد الضباط :
- ما حدى يمشى جانفى
- ويسال زميل :
- الثعابين كثيرة ؟
- علمى علمك .. لكن بيقولوا ان لدغة الطريشة ، حبة والببر
- الله يظمنك ..
- ويتدخل المأمور :
- يا جماعة .. دى مبالغات .. ما تخافوش ..
- ويقول لحد الزملاء بسخرية ..
- وطبعاً من يموت بلدغة طريشة ، يقيد قضاء ويسدرا ،
- ويقول آخر :
- معنى بلا مسئولية على ادارة السجن ..
- ويقول المأمور :
- معنى .. ما احنا عايشين معاكو ..
- ويسال زميل :
- فى خيم زينا كنه ؟
- لا .. فى استراحات فى جناح ..
- ويقول الدكتور شريف حتاته ..
- وطبعاً عندكم كل الادوية اللازمة ..
- ويقول المأمور :
- والله يا جماعة .. أنا لسه جاي هنا النهاردة الصبح ..
- الأوامر اللي عندى تباتوا الليلة فى المخيمات .. وانتظروا أوامر أخرى بكرة صباحاً ..
- ويقول زميل :
- ده اذا شففنا « بكرة » ..
- ويتدخل صلاح حافظ ويقول بحسم ..
- راح تشوف بكرة .. ويعد بكرة .. أيه الطلوب منا يا حضرة المأمور ؟
- ويعلق المأمور مبتسماً :
- أهو ده الكلام .. كلام من يكتب عن انتصار الحياة ..
- ويمسرى الحماس بين كل الزملاء وترتفع أصواتهم تردد نشيد ..
- شقتونا فى أنفاسى ، وإملاؤنا منا السجن .. سوف تاتبكم ليالى
- برقها عصف النون ..
- من بعيد ياتنى صوت المأمور ينادى على وعلى الدكتور شريف حتاته :

يقول لنا :

- فيه هنا اربع خيلام وبطالين كثيرة .. وسراير خشب .. انصبوا الخيام والسراير ووزعوا البطالين .
- كم سرير تسمع الخيمة . . .
- حوالي ١٢ سرير . . .
- قلت لشريف :

- اذن خيمة واحد تسعنا فنحن ١١ زميلا .
- ونحن ايضا تكفينا خيمة واحدة فنحن ١٢ زميلا .
- والخيمتين الاخرتين نستخدمهما «هيس» للاكل . ويقاطعنا المامور :
- خلو زملاكم ينصبوا الخيام والسراير وتعالوا معايا ندبر لكم اكل احسن زمانكو جئتوا جدا .
- وقام الزملاء بكل عمة رغم التعب والاجهاد بنصب الخيام ، وذهبنا مع المامور لتدبير امر الاكل فقد مضى اكثر من ١٢ ساعة لم نتناول خلالها شيئا . كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل وفي حجرة من الصاج في طرف من اطراف المعسكر . وجدنا مجموعة من « الحبال » الكبيرة ونصف « عجل » ملقى على الأرض ، واكرام من « الحطب » ، وشوال من الفاصوليا البيضاء .
- قال المامور :

- ادى اللحمه التي قدرت ادبرها النهاردة .. شوف كده با شريف خايف يكون اصابها التلف !
- يتقدم اليها شريف ويشمها :
- لم تتلف تماما .. يمكن ان تؤكل .
- ويقول المامور :

- يا لله بقى دبروا مسألة الطبخ .. ومعلوكوا كام مسجون بساعكوا .

واتنادى على بعض الزملاء الذين يعرفون فن الطبخ . ويأتى عدد من الزملاء والاخوان الذين لهم دراية بالطبخ . ويتعاون الجميع فى اعداد وجبة المشاء . هذا يمسك بالساقط ليقطع اللحم ، وهذا يمسك الفاصوليا بعد غسلها فى « جردل » الماء ، وهذا يشعل الحطب ويضع النار . وبعد وضع القدور الكبيرة على النار المشتعلة . يطمنن المامور فيقول لنا . . .

- قاضل مسألة العيش . . .

فى مكان آخر اعدده المامور بسرعة ليكون فرنسا بدائيا وجدنا عددا من اجولة الدقيق ، وحوضا من الخشب للمعجن ، وعددا من جردل الماء . ويتكاتف الزملاء مع الاخوان فى اعداد العيش . مجموعة تتولى عجن

الذئبق ، ومجموعة تمد الخطب في القرن ، ومجموعة ثلاثة تتناول الوصف
أصام عين القرن .

بعد أقل من ساعتين كان الجميع يجلسون على البطاطين . كل
في يده « قروافة » بها الفاصوليا باللحم ، أما العيش فهو كثير
من يريد يأخذ :

– الواحد كان ناسي أنه جعان .

– لم يكن هناك وقت للجوع .

– ده اذ اكل الواحد كله في حياته .

– نعمة يحفظها ربنا من الزوال .

– يا سلام لو كياية شاي ..

– بيتن آخر تصام ..

– پس فين الشاي والسكر ؟

ويقول المأمور :

– جيت لكم شاي وسكر ..

وترقع صيحات الزملاء فرحاً ..

– پس نعمله ازاي ؟

– ونشربه ازاي ؟

– يا أخى تحله وبعدين تفكر نشربه ازاي ..

تشعل النار من جديد ويضع زميل عليها جردل من الماء .. ويذهب

آخر لاختصار اكواب البلاستيك من الخيمة . أربع اكواب فقط ..

– ما تحافوش « جردل » للشاي على النار .. ما حش راح يشربه
يسارد .

– المصاروه يشربوا الاول علشان بيحبوا الشاي خفيف .

– والصايدة يستنوا للآخر ..

ويملق زميل :

– والبحاروه ؟

– حول بقي وسط

ويضع الجميع بالضحك . ما أقوى الحياة ! بل ما أقوى الانسان

هذا الكائن القادر على خلق الحياة في أى مكان يتواجد فيه . هذا

المكان الخلقى الا من الثملاب والذئاب والتمابين والقيوان يتحول نسي

لحظة الى مكان انساني .

يبدن صلاح حافقة باغنية لام كلثوم ..

– سمعنا يا أبو الصلح ..

ونخيل صوته في هذا المكان الموحش كأنه أعجب من صوت أم كلثوم .

يختلط صوته بصوت محمد شمس

– أغرش متديك على الرملة .

وتغلب روح الجماعة ويردد معه الزملاء :

- أفرش منديلك على الرملة . .

وينتهز زميل اسكندرانسى فرصة ليدخل بصوته .

- يا بنات اسكندرية مشيكم على البحر غيرة . . بدلة الحمام عليكمو
خلت العرسان تجيكوا . .

- اى والله الصيف بدا . .

- اسكندرية زمانها مليانة مصيفين . .

- احنا لسنا فى يونيو . . يوليو تبقى زحمة . .

ويرتفع صوت المرحوم « **خليل قاسم** » باغنية نوبية . يرتص
عليها هو **وژكى مراد الحامى** . لوحة راقصة نوبية لم نشهدها من
قبل وتشد انظارنا واسماعنا . نصفق بايدينا ونردد كلمات
اغنية لا نفهم معناها ولكن يطربنا ايقاعها .

ونلمح فى الأتق تبشير فجر يوم جديد ، ونسمع صوت مؤذن الاخوان
المسلمين ينادى على « الصلاة » ، ويمود الهدوء من جديد . ولأول
مرة منذ ما يقرب من ٢٤ ساعة نحس بالأمان ! وننصرف الى النوم ساعات
قليلة تشرق بعدها شمس أول يوم لنا فى سجن « **جناح** » باللوحات الخارجة .

يوم يستحق ان اخصص له الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

أول يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٥)

حييتسى

رغم احساسى النصبى بالامان مع بزوغ فجر اول يسوم لى نسي سجن
« جناح » بالوحدات الخارجة ، الا اننى - واحصب ان كل زملائى ايضا
لم تنفل عيوننا سوى تعلقى • ما ان دخلنا الخيمة واستقرت اجسامنا
على الاسرة الخشبية ، وسحبنا البطاطين على اجسامنا ، وبعد
تطبيقات سريعة ، ساخرة أحيانا ، وجادة أحيانا أخرى ، حتى ساد
الصمت بين الجميع • لكن الحوار كان متصلا ، بين كل زميل وبين نفسه
وبينه وبين كل الزملاء ، فى صمت وصحوه ، يقطعه بين الحين والآخر عواء
ياتى من بعيد لثقب او لثعلب ثم تطبيقات سريعة للزملاء • •

- ثقب أو ثعلب ؟

- هل يبعد عن هنا كثيرا ؟

- لا تخافوا • • الذئاب والثعلاب تخشى النور •

- للنور أو النار ؟

- اقترح ان نشمع نارا على باب الخيمة • •

- نور المسكر يؤدى المهمة • •

ويمسود الصمت • ثم تعود التطبيقات عندما نسمع العواء مرة
أخرى • وتقل التطبيقات تدريجيا حتى تتوقف تماما حتى مع استمرار
العواء • هكذا ، العواء ليس أكثر من عواء ، مسودا كان عواء حيوانات
مفترسة أو عواء آدميين ، فتأثيره فى الحالتين مؤقت • حتى محاولات
الافتراس التى تاتى بعد العواء ، يمكن للانسان ان يقاومها ويصمد
فى وجهها ، لكن ما العمل مع لدغة « الطريشة » التى تحدث فى لحظة
ودون أى مقدمات ! ربما تكون خطتهم ان نعامل هنا معاملة عادية ،
ونعيش حياة أشبه بحياة المسكرات ، ويترك امر موتنا للثعلابين
والحيات « الخاصة » « الطريشة » مرة أخرى تسرى فى جسمى رغبة
سديدة !

وتنفذ أسسه الشمس القوية من فتحات الخيمة تبعث السخونة
فى اجسامنا فنتمض البطاطين التى كانت تقينا برد ليل الصحراء •

- صباح الخير يا زملا • •

- صباح الخير • •

- صباح أيه دا ظهر

ويضحك زميل :

• ظهر مين .. انت لسه شفت الظهر في الصحراء ؟
ونخرج جميعا من الخيمة علي نهار أول يوم لنسا في سجن « جناح ،
بالواحات الخارجة • ما زالت فكره الموت بلدغة « طريشة » مسيطرة
على ، انسادى بصوت عال على الرغم مني ..
• دكتور شريف .. دكتور صلاح ..
يخرج الاثنان من الخيمة المجاورة بسرعة وقد بدا على وجههما
الانزعاج •

• أيوه .. فيه حاجة ؟
• كانوا يفكرون فيما افكر فيه وحسبا أن أحدا قد لدغته « طريشة » .
• ما ميس حاجة .. بس كنت علوز انكلم معاكم ..
• يا أخى خضيتنا ..
• متأسف .. بس كنت علوز أطمن ..
ويرد شريف حثاته بهدوء المصروف عنه ..
• دى بى مس سياسة .. سيب العيش لخبازينه ..
• وانت الخباز الوحيد هنا •
ويتدخل صلاح حافظ :
• وأنا مش خباز يا درش ؟
• لا .. نصف خباز بس •
• أحسن من اللى ما يعرفش يخبز خالص •
• فى الطب .. مس فى السياسة •

ويتأى الدكتور شريف حثاته بمنكرة الى المسئولين ، بدءا من
رئيس الجمهورية حتى مدير مصلحة السجون ، والى الصحف والقبائل
الهنوية والمالية المختلفة ، تستذكر نفينا في الصحراء ومحاوله اغتيالنا
بواسطة الحيات والتماعين ، وتطلب نقلنا من هذا المنفى ، وحتى
ينسم ذلك يطلب تزويد المنفى بالادوية الضرورية •
• عظيم يا شريف .. لكن موت يا (...) لا مؤلخذه على ما يجيك العليق ..
• يظهر أنها ملغنه معاك قوى ؟
• وبهذه الشدديد يستطرد ..
• وبيا سيدى جينا معانا .. الادوية واللقاح .. احنا برضنا
الله .. واتأمله ضاحكا ..

• عارف .. عارف .. افتو القيادة •
• أيوه كده • اعترف ..
• فى الطب بس •
• وفى السياسة كمان وحياتك .. بكرة تشوف •

ونلمح مأمور المسجن ينزل من سيارته على باب المسجن فتفتحه إليه :

- صباح الخير .

ويسلمه شريف المذكرة :

- يا صباح يا عليم يا رزاق يا كريم .. لحتقوا تكتبوا منكرات .. ؟

- واحنا ورائنا إيه ؟

يقرا المأمور المذكرة ويقول :

- حاضر سارسلها باليوسفة ..

لا يوسفة إيه .. دى عايزه مخصوص ..

- وأجيب المخصوص منين ؟

- سجان

- بالنفطار طبعاً ..

- ده على كيفه .. ييجى كل أسبوع .. كل أسبوعين ..

- يبقى بالتليفون ..

- أنا راح اتصرف .. اطفئوا

- نحن مطمئنون .. لكن ..

- ساسلمها للمحافظ وأطلب منه أن يرسلها مع مخصوص فى سيارة .

ويسأل المأمور أسئلة عديدة عن « الطريشة » وعن أنواع الحيات والثعابين التى توجد فى الصحراء ، وطرق الوقاية منها ، وهل حقاً ما يقال عن المفعول السريع لسم « الطريشة » . ويعطى شريف إجابات مبالغ فيها ، ونرى الخوف يرتسم على وجه المأمور فيقول بخبث :

- لكن أنت حضرتك بعيد عن ده كله ..

يرد المأمور ورنه الخوف تبحو فى صوته :

- لا بعدد ولا حاجة .. وأيه الفرق بين الخيمة ، والفيلة ؟ ، الاثنين

فى صحراء ..

- فعلاً .. مفيش فرق كبير .. احسن تصكّن فى شقة عالية .

يبتسم المأمور ، ويقول :

- لم كان فبها خير ما كان رماها الطير ..

- هو ، المضافة مش ساكن على منبلا برضه ؟

- لا يا سيدى .. ساكن فى شقة .. أنا راخر استعجبت سايب

الفيلة إيه ؟

ونسلم صرخة عالية ، واثنان من الإخوان المسلمين يحملون شخصاً

ويسرعون به نحو المأمور :

- لدغته طريشة .. لدغته طريشة .

ويجربى شريف الى خيمته ويعود سريعاً ومعه الحقنة واللقاح .

- فين اللدغسة ؟

- مي رجله اليمين .

- مفس حاجة يا جماعة .

- ازاي مفيس ده صرخ يا على صوتة ؟

- على الموم نجيله حقنه .. لكن مفيس حاجة .

- انت متاكسد ..

- طبعا متاكسد .. انا طبيب ..

- امال آيه الحكاية ..

- وهم سيطر عليه .. اغلب الظن ..

الاخوان المسلمون والزلاء ، يتجمعون في المكان الذي حدثت فيه
لدغة الطريشة ، ونجى اليهم وقبل ان نصلهم نرى طبيبا من الاخوان
يمسك بتلمة جبل ويقول :

- توهم أنها طريشة فصرخ .

- الى هذا الحد يعمل الوهم ؟

- واخر من عذا .. الموت ذاته ممكن .

ونشهد قطعة أرض من صحراء « جناح » بالواحات الخارجة ، الاخوان
المسلمون ، والشيعيون ، وضباط السجن وجنوده . وهم يجلسون
عليها كما الى كف يستمعون الى الدكتور سريف حتاته وطبيب من
الاخوان يتحدثان عن اساليب الوقاية من الحيات والثعابين بلغة
واحدة . والجميع يصتوت اليهما نملأ البقة نفوسهم ، بما يقولانه ،
لا يفرقون بين الطبيب الاخوانى ، والطبيب الشيعى . حتما سيتشهد
العالم كله يوما مثل هذا اليوم الذى تشهدنه هذه القطعة الصغيرة من الصحراء .
يوما تصبح فيه السياسة علماسخرا لصالح الناس . كل الناس ،
وليس لصالح طبقه او فئة . ليس املا يستند مقوماته من حتمية
التطور التاريخى ، وليس حلما يستحيل تحقيقه ، الا بعد وصول
الانسان الى عصر الحرية . ولكن ما سيعجل به هو ان العالم قد بدأ
مرحلة خطر فناء البشرية كلها . والامل ان يوحده الخطر الداهم
مثلما وحد الاخوان المسلمين والشيعيين ، والضباط ، والجنود أمام
خطر « الطريشة » ذات يوم من يونيو عام ١٩٥٥ ، والحلم ان تكون وحدة
دائمة ، وليست وحدة مؤقتة كذلك التى حدثت ذلك اليوم ! .

كانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحا حين انتهى الطبيبان ،
الاخوانى ، والشيعى من حديثهما ، حين انصرف الجميع وقد ساد
بينهم جو التعاطف والتفاهم وروح العمل المشترك لمواجهة الحياة
المشتركة في هذا المكان الفانى عن كل شيء الا الرمال الصفراء .
والحيوانات المقترسة . والثعابين . حقا ، الاخوان المسلمون لهم حياتهم

أخاصة ، ويعيشون معا فى قسم من السجن ، وكذلك الشيوعيون ، ولكن هناك ما يفرض تعاونهم ، الأكل ، والوفاية ، والملاج ، واتفق على تنظيم العمل المشترك فى المطبخ وفى الفرن . وعلى عمل خيمة كمستشفى يديرها الطبيبان ، الإخوانى والشيوعى ، فضلا عن طبيب السجن الذى يأتى بضعة ساعات فى النهار فقط . ولم يكن من العريب أن تتكون صداقات قوية بيننا وبين عدد كبير من الإخوان المسلمين ، بعضها صمد أمام محاولات كثيرة لضربها حتى وصل الأمر الى حدوث انقسام بين الإخوان المسلمين فى صورة مؤيدين للثورة ، ومعارضين لها ، وسوف اخصص لهذه المسألة حديثنا آخر فى رسائل مفيلة .

كان صباح أول يوم لنا فى سجن جناح مشحونا الى حد أننا نسينا أن أقدامنا ما زالت يحبط بها « الحجلات » وتجر سلاسل الحديدية . وكان ولیم اسحق أكثرنا حماسا لسرعة ازالة تلك القيود ، فقدماء النجلتان تحمل « بالعاقية » جسمه الهزيل . همس فى أذنى صاحبا . .

- آيه با درى أنت نسيت « الحجلة » (*) الرئيسية ؟
- أبدا ما ولیم . . لكن يبدو أن نلاحق الأحداث جعلنا ننسى . .
- تبقى فقت الاتجاه .

واذهب معه الى مامور السجن نطلب منه سرعة مك قبضة فيودنا . ويعطى المامور أوامره الى الحداد فى الورشة الصغيرة التى نقع فى أحد أركان السجن . وبعد أن ينتهى الحداد من مهمته نرى أمامنا تలా من السلاسل الحديدية . ويذكرنى مشهد هذا القتل الحديدى بمشهد مماثل له فى ليهان طره .

فى مايو ١٩٥٥ - قبل رحيلنا الى الواحات بشهر واحد - أعلن المشير عبد الحكيم عامر فى اجتماع ضخم شهده كل المسجونين فى ليهان طره وأبو زعبل ، وعدد كبير من صباط فيادة النورة ومصالحة السجنون ، الفاء القيود الحديدية بعد أن قام بحركة مسرحية بقطع سلاسل أحد المسجونين بالطرفة ، الأختة . ولم ندع نحن لحضور هذا الاجتماع ، وسعدنا به وما . . بين جلائه . ومن قى الحمام العمومى أمهان نستحم . حيث كان علينا الدور فى ذلك السوم . لم نتم فى حباننا طولا فسرر السجن سينا كما نتمنا أن نخلص عنا هذه العبود الحديدية كباقى خلق الله من المسجونين العائدين ، فقد

(*) هى الحلقة التى توضع حول الصاقيين وتربط بهما سلسلة وزنها ٣ كيلو جرام تعلق فى وسط جسم المسجون بحزام .

كنا شبه متأكدين بان قرار تحطيم الاغلال الحديدية لن يضمننا .
كانت أمنية غالية ان نستحم ولو مرة واحدة دون ان نحر الملبوس
الحديدية في أقدامنا ، بعد الجهود الحثيثة التي تبذلها عند
خلع الملابس سم عند ارتدائها بعد الاستحمام .

كنا قد دعونا على السلالم الحديدية في أقدامنا ، وعلى صوب
رأسنا أثناء قيامنا او جلوسنا أو سيرنا أو حتى خلال نومنا ،
لكننا كنا نعانى عند كل استحمام ، أثناء خلع الملابس ، ثم أنفسنا ،
ارتدائها .

عند خروجنا من الحمام **والسلالم الغليظة** في أقدامنا شهدنا
منظرا غبر مألوف مئ الليمان . أعدادا كبيرة من المساجين بجـزـون ودمسكون
بأيديهم القيود الحديدية التي كانت في أقدامهم ، يصيحون بفـرح
شديد ويهتفون لصاحب قرار تحطيم القيود .

صاح أحدهم فنبأ :

– لماذا لم تحطموا أغلالكم ؟

– القرار لا يشملنا . .

– هذا ظلم . . ولماذا ؟

– السياسيون لا يشملهم القرار . .

– الاخوان خلعوا القيود .

– الاخوان شملهم قرار الإفراج عام ٥٢ بعد الثورة ولم يشملنا .

– الأمر مختلف . .

– هل لديك أخبار ؟

– لا . ولكنه المطلق . .

– نحن استثناء . .

ويصل لأسماعنا من بعد صوت ودود ، كلما سمعناه ، أحس

بالأمان ، صوت الضابط الصديق (. . .) :

– أيه يا جماعة ما خطبوش الحديد ليه . . ؟

– هل يشملنا القرار . .

– طبعا . . أنا كنت خايف زيكم . . القرار يشملكم . .

وكانت فرصة كبيرة جربنا الى ورشة الحدادة . بضربة الجسد الماهر
بمطرقة قطع حجلة القدم اليسرى ، وبضربة واحدة أخرى قطع
حجلة القدم اليمنى . ومثل آلاف المسجونين حملنا قيودنا بأيدينا
وجربنا على العنابر ، وقفزنا السلالم قفزا حتى الدور الرابع ، والفينا
جميعا بهذه القيد الكريهة الى أرض العنبر . فيد وراء قفس
لنجد بعد القاء آخر قيد جبلا من الحديد ، كان يتحرك حتى صباح
اليوم مع اقتراب العبد .

ألم أقتل لك يا حبيبتى أننا محظوظون ؟ • قيدونا بالحديد مرتين ، مرة عندما صدرت ضمتنا الأحكام ، ومرة عندما رحلونا الى سجن « جناح » ، وخلصنا أيضا مرتين • وعسى سُهور السنة فى الأحكام القضائية عند كل المسجونين ٩ شهور فقط • أما عندنا فسُهور السنة ١٢ شهرا بالتعام والكمال • وكل المسجونين كانوا يخرجون من السجن ، فى مناسبات أعياد الثورة ، والفطر والأضحى ، بنصف المدة ، ولم يخرج أحد منا فى أى مناسبة من هذه المناسبات • ولانهم « يعسوقنا » ومغرمون « صباية » بنا فقد كانوا يستضيفوننا سنوات بعد قضاء مدة العقوبة ! وفوق هذا كله فإن المسجونين العاديين - وهم عدد قليل - الذين رحلوا معنا الى الواحات وهم من الصناعات - كانت معد أحكامهم لا تقتل عن ٢٠ سنة ! وأغلب الظن انهم سيموتون معنا فى الصحراء قبل انتهاء مدة عقوبتهم ، وربما يخفون ملنا فى الصحراء • هكذا كانوا يفكرون ، ولا من « سمع ولا من درى » !

بعد أن خلعنا قيودنا الحديدية ، وقف بعض الزملاء ، يتأملون هذا القتل من الحديد ، كيف ننظر نحن اليه ، وكيف ينظر اليه الضابط الذى فى « عهده » هذا الحديد • لقد رمض بكل اصرار أن يأخذ أحد الزملاء ، مطقة من تلك السلاسل الحديدية ، كى يحتفظ بها ، فهى « عهده » ، ولازم يسلمها •

صوت بصيح من بعيد • •

- الفطار يا زملا • • الفطار • •

ويحمل كل منا « قروانقه » لاستلام الفطار •

- فول مدمس • • يا للروعة !

- فول مدمس حقيقى • • مش سوسى مفول •

- ده فول مدمس زى يتاع بره • •

هذا الفول المدمس مثل الذى كنا نأكله قبل السجن ، وليس سوسا مفولا كما كنا نسميه خلال سنوات السجن الماضية • كان الفول مسلوقا وليس مدمسا • وكانت الفولة الواحدة بها عدد لا يحصى من ثوب السوس • وفى كبد من الإنسان كنا نضبط الله • س متلبسا بجريمة استمراءه فى الحساء • ثم نعرضه لأقصى درجات حرارة غليان المياه ، كان بعض الزملاء يرمون «سوس» بقرف ، وكان البعض الآخر يأكله • باذة • • ويدور الحوار التقليدى عند كل أكلة فول :

- أيه القرف ده يا زميل ؟

- ده بروتين • •

- فعلا أيه الفرق بين لحم السوس وأى لحم آخر !

- زى الفرق بين لحم الأرنب ولحم القطه •

- وهو فيه فرق ؟
وكان الحوار ينتهى دائما بجملة نغليجية :
- على أى حال مسألة غير محدّية يمكن الخلاف حولها •
بعد أن تناولنا افطارنا الشهى من الفول المدمس الحقيقى ، بالزيت
والليمون والكمون ، والخبز الطازج ، سمعنا صوتا يقول :
- الشاى يا زملا ••
- شاى •• شاى ١٠٠
- آيه الحكاية •• ؟
- دى شورة ••
- ياللهنا ••
- طيب ونشرب الشاى فى آيه ••
صوت حاسم يقول :
- كل واحد يقسل « قروانشه » ويشرب فيها مؤقتا ••
ويبهجم الزملا على « جرادل » الماء ••
- الميه قليلة جدا •• مستحيل أفرط فيها دى علشان طيبش
الغذاء ••
- شوية صغيرين •
- ٣٠ شوية صغيرة تخلص الجرادل ••
- يا أخى نجيب غيرها ••
- امشى ٥ كيلو •• لفاية المين علشان اجيب غيرها •
- طيب وآيه العمل • عايزين نشرب شاى ؟ •
- مئى شائى • اتصرفوا ••
ويأتى الصوت الحاسم مرة أخرى :
- مين بتمهد بمل الجرادل بعد ما تشربوا الشاى •
- كلنا •• كلنا ••
- استهلك الزملا الماء المخصص للطبخ فى غسيل القروانات كى يشربوا
فبها الشاى ولم يتحرك بعد شرب الشاى لمل الجرادل بالمياه ويعملو
صوت غاضب :
- يا زملا املوا الجرادل ميه ••
- بسى نستريح شوية •
- أنت عاوز تضيق طعم الشاى •
ويبرد الصوت :
- طيب مفيش غدا •• وأنا راح أطبخ ازاي ؟
- لسه بحرى على الغدا •• الساعة لسة ١٢ ••
ويرتفع الصوت الحاسم مرة ثالثة :

- عاززين ١٠ جرادل فيه .. كل زميلين ياخذوا جردل يملوه .. من فضلكم ..

ويستعد ٢٠ زميلا أسيرة جأب المياه من العين التي تبعد عن السجن خمسة كيلو مترات . ويدور حوار خلال المسيرة :
- يعني علشان الواحد يستحم لازم يمشى ١٠ كيلو متر ذهابا وإيابا .

- وطبعاً في العودة راح يصفي الجردل على الثص ..

- يعني كل اتنين يستحموا بنص جردل فيه ..

ويقول أحد الزملاء صاحكنا :

- يا ترى مين صاحب نكته « يحموك في كسبان » ..

- دى ما بقتش نكته ..

- لازم نشوف حل لمشكلة المياه

- وهيه دى المشكلة الوحيدة ؟

فعلا لم تكن مشكلة المياه هي المشكلة الوحيدة وإن كانت أهم المشاكل التي واجهتنا في السجن الجديد . لقد كان كل هم المسفولين الكبار - بعد اضطراب المسجونين في ليمان طره ، أن ينقلوننا فسورا قبل أن « يستفحل » خطرنا . فاختاروا هذه القطعة من الأرض في قلب الصحراء . بعيدة عن مصادر المياه ، واحاطوها بالأسلاك الشائكة ، ثم القوا بداخلها أجولة من الفول والغدس والأرز والدقيق والفاصوليا الناشفة ، وعددا من الخيام ، وكميات من الخشب والصاج والمواسير ثم قالوا لنا : **ابغوا سجنكم بانفسكم** . لقد حسبوا أننا سنستسلم لقسوة الصحراء ، فدفننا رمالها ونحن أحياء أو على شفا الموت عطشا أو جوعا . وقررنا أن نجوض معركة استمرار حياتنا . قررنا أن نبني في قلب هذه الصحراء واحة ، ليس فقط لنأكل فيها ونشرب ، وإنما كى نقرأ ونكتب ونتعلم ونرقص ونغنى ، ونمارس كل نشاطات الحياة . وقضينا الساعات الباقية من نهار يومنا الأول في الصحراء ، وجزءا كبيرا من ليل ذلك اليوم في الأعداد للمعركة ، معركة استمرار حياتنا . وكان اليوم التالي هو يوم بدء المعركة .

أحكى لك قصة ذلك اليوم في الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٢ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٢٦)

حبیبی

كان السؤال المطروح ونحن نعد للمعركة ، هو : من أين يبدأ ؟ . وكاذب الاجابة : ان نبدأ بالبناء ، بناء مقومات استمرار حياتنا في عذبة البفعة النائية في قلب الصحراء ، فهي ليست معركة رفع مستوى المعيشة داخل السجن ، مثل المعارك التي خضناها خلال سنوات السجن السابقة ، وانما هي معركة الحد الأدنى للحياة ذاتها ، ومررنا ان نبدأ كما بدأ الانسان الاول حياته الى جوار الماء . واداكنا لا نملك حرية الانتقال الى جانب عين المياه الوحيدة في كل هذه المنطقة من الصحراء ، فنحن نملك القدرة على نقل المياه الينا . وكيف ؟ ان استمرارنا في نقل المياه بواسطة « الجرادل » (وبعد مسيرة ١٠ كيلو مترا ذهابا وايابا) ، لا يجب ان يستمر هكذا . يجب ان تصل الينا المياه بواسطة مواشير ، ولكن هذا هدف بعيد . يستغرق تحقيقه شهرين على الاقل ، يتوفر خلالها المواشير ، والخبرة الفنية ، وخلال هذين الشهرين يجب ان يتم نقل المياه اللازمة لطهي الطعام ، وخبز العيش ، وغسل الملابس ، والاستحمام ، فضلا عن رى مساحة من الارض نزرع فيها خضروات ، باقل جهد ممكن . اننا لابد من الحصول على « طلمبة » مياه تسحبها من العين العميقة الذي يفرز الى حافتها الزملا ، كي يملأوا الجرادل ، ثم يتناولوها زملاء آخرون ، ومؤلا بدورهم يناولونها الى من يحملها الى السجن . وعد المأمور بشراء طلمبة مياه خلال اسبوع على الاكثر ونفذ وعده . وكانت فرحتنا كبيرة حين تم تركيب هذه الطلمبة . وفرنا المجسود الذي كنا نبذل في النزول الى عين المياه ، ثم الصعود منها ، وزال خطر الوقوع في العين عند فقد توازن من يقوم بملئ الجرادل ، فضلا عن اختصار عدد الزملاء الذين يقومون بنقل المياه الى النصف . اننا نستفيد من هذا النصف الذي توفر بعد تركيب الطلمبة في اعداد براميل لحفظ المياه بدلا من الجرادل . سرق الزملاء ٤ براميل فارغة من زيت السولار الذي يستخدم في ادارة ماكينة الكهرباء المخصصة لانارة المسكر . وكانت مشكلة عندما اكتشف ملاحظ ماكينة الانارة سرقة البراميل الاربعة :

- صاحب الملاحظ :

- رحت فى داهية ..
- ليه .. ما حى البراميل موجودة ؟
- ما تنفّش بعد ما قطعوها ..
- معلش ندفع ثمنها ..
- مش ممكن .
- ويذهب الملاحظ الى مامور السجن الذى يأتى لمaine موقع الجريمة ؟
- يا جماعة البراميل دى عهد ..
- تانى ؟ .. البراميل عهد .. والسلاسل الحديدية عهد .
- ويقول زميل آخر :
- وهو احنا مش عهد برضه ؟
- ويرد المدير :
- طبعا انتم فى عهدتى ..
- والمهدة .. الاحتاج الى صيانة ؟
- طبعا .. وهو انا قصرت فى حاجة .
- فى القومات الاساسية لحياتنا .
- وايه طلباتكم ؟
- ونضع امامه قائمة الطلبات الضرورية ، مواسير مياه وخففيات
- وعدد من الصهاريج لتخزين المياه . ومطبخ مجهز بالحد الأدنى بأدواته
- الطهى ، وفرن ، وخيمة كبيرة تستخدم كمستشفى تجهز بالحد الأدنى
- من الادوية والاجهزة الطبية والاسرة .
- ويعلق المدير ..
- انتم مش شايفين انها طلبات كثيرة جدا ..
- دى الحد الأدنى التى تسمح لنا باستمرار الحياة .
- بس تنفيذا ياخد وقت .
- هل يمكن تحديد هذا الوقت ؟
- طبعا مش ممكن .. سارسل مذكرة بطلباتكم للمصلحة .
- وطبعا المصلحة تعمل مناقصة .. و ..
- ما انتوا عارفين الاجراءات ..
- لكن ممكن اختصارعا ..
- إي ؟
- نحن فنق عى قدرتك على حلها بسرعة .
- طبيب ساعدونى ..
- مثلا .. تشتري انا بعض اللوازم الضرورية .. مثل اللواسير
- والخففيات .
- والباقي .. ؟

- الصهاريج والطلعات من القاهرة . .
- راح تأخذ وقت .
- نمتزح ان تسافر بنفسك الى القاهرة . . وتوصى . بعد عرض
- الوضع على المسئولين . .
- ويضيف زميل .
- لا تنس انك في النهاية المسئول عنا .
- ويضيف آخر :
- واذا حدث شيء . . فسنكون مقصرا في نظرهم . . لانك لست نبيهم
- ولم نطلب منهم شيئا .
- ويقتنع **المأمور** ويوافق على السفر الى القاهرة بعد أن يينذرى اننا
- مواسير وحفريات في نفس اليوم . وفتنق معه على حل عدد من
- المشاكل . **زيارة الاعمال** . ارسال الخطابات واستلامها . . السماح
- لنا بطرود الملابس والأدوية وعلب الطعام المحفوظة والمسجلات والاسم
- والساي والكتب .
- ويغول المأمور صاحكا :
- والسيدات والبنات . .
- لا حول نروح لهم قريبا . .
- ان نساء الله يا أولادى . .
- بقولها الرجل بكل صدق وحب .
- وقبل أن تغرب الشمس ، يسرع الزملاء وعدد من الاخوان المسلمين
- لتفريخ اللورى المحمل بالمواسير والحفريات . **الفنيون** من الاخواس
- مقترحون عمل وره مباه لنا ، واثنين لهما ، وثلاثة للمسجورين ، ورابعة
- للاستخدام العام . وبدأ العمل في فجر نفس اليوم قبل أن تلتهب **رمال**
- الصحراء بأشعة الشمس القوية . وتخرج مجموعات من الزملاء ، الاخوان
- الى **موقع العمل** . وفي نسطاط وجيوية يبدأ العمل ويصنر حتى الثالثة
- عشر ظهرا . أشعة الشمس قوية لم نعد نحملها ، والرمال تحواسن
- الى كتل من اللهب ، تلسع أقدامنا الحافية ، والعرق يتصبب عريضا من
- اجسامنا العارية حتى منتصفها ويأتى صوت **المهندس الاخوانى** الذى
- يقود العمل .
- الحمد لله . . لقد انجزنا جزءا لا بأس به من العملية .
- كم من الوقت تستغرقه غفلة مد مواسير الماء ؟
- هذا يتوقف على استعدادكم . .
- نحن مستعدون للعمل طول النهار والليل .
- عدا فترة الظهيرة - من الساعة ١٢ ظهرا حتى الساعة ٣ بعد
- الظهر .

— موافقون . .

وفتفق على تنظيم وريديات ، كل وريدية تعمل ٧ ساعات فيكون مجموع ساعات العمل اليومية ٢١ ساعة .

— اذا نفذنا هذا بدقة نستطيع أن نفجر عملية مد مواسير المياه في أسبوع واحد .

— وهل نستأنف العمل اليوم في الثالثة بعد الظهر . .

— اقترح ان يبدأ نظام الوريديات من اليوم بعد الظهر . .

— سنحتاج الى كلوبات للانارة ليلا . .

ويتعهد زميل كهربائى بتجهيز اسلاك كهرباء ولبات واخذ توصيلة من ماكينة الكهرباء . .

ويتسأل زميل :

— كيف وانت محتاج لآلاف الأمتار ؟

ويضحك الزميل الكهربائى :

— يا أخى المخزن مليون اسلاك .

— وكيف ستحصل عليها ؟

— ده شغلى بقى .

ويذهب فى نفس الساعة الى ملاحظ ماكينة الكهرباء ويعرض عليه اتفاقا من بند واحد . أن يستعمل اسلاك الكهرباء التى فى عهده لتوصيل الكهرباء الى موقع العمل ، وبعد الانتهاء من عملية مد مواسير المياه ، يتعهد باعادة الاسلاك ويلفها على البكرة كما كانت . ثم يقول صاحبا :

— هذا والا . . .

ويرد الملاحظ :

— لا يا عم . . موافق . . كفاية حكاية البراميل .

وعند عودتنا الى السجن يستقبلنا الزميل أحمد خضر « العامل النقابى » ورئيس الطهارة فى السجن عند الباب قائلا :

— تقصروا راح تتغدوا آيه النهاردة ؟

— راي يكون آيه يعنى ؟ . عدى أو فصول .

وحبه المذاق العادبة فى السجن : « أما نول » وإما نول . أو كما كنا نطلق على العدى اسم « النجس الزلط » أى العدى الملوئ زلط ، وعلى الفصول اسم « السوس الفصول » . .

— طب واذا أكلتوا طيبخ . .

— طيبخ !

— طيبخ !

— وده مقبول ؟

• وإذا حصل ؟

ويندفع الزميل مسئول « الحياة العامة » اعطيك عذبة سجاير هوليود
- لارج • ؟

- لا • صغيرة ••

- راج تتنحوا •• فاصوليا بالدعنة وأرز وطبعا لحم ••

- لحمه وفاصوليا ورز •• مرة واحدة ••

- ده حلم ولا علم يا ولاد ••

ويقف أحمد خضر على أطراف أصابعه في محاولة يائسة ليكون
رأسه على ارتفاع معقول ، فهو قصير وبدين ، ويقول بصوته المرسع
ولسانه الأدغ :

- يا زميل أنا لا « اعلف » • اعرف •• المستحيل ••

ويرد عليه الزملاء •• عالفين « يعنى عارفين » ••

وأضحك مع الزملاء •• ويقول أحمد خضر :

- طب وانت بنضحك ليه يا درش •• الحال من بعضه ••

- الأدغ صحيح •• لكن طولك مرتين ••

ويجري الزملاء ، وراء أحمد خضر الذى يعطى كل زميل نصيبه من اللحمه
والفاصوليا والرز •• كله على بعضه فكل زميل لا يملك غير قروانه واحدة
يستخدمها فى الأكل وفى شرب الشاي وعند الاستحمام ، بل وفى نقل
الرمال من الأرض الى « الففة » أثناء العمل فى الموقع عند عين المياه •
بعد قليل يرتفع صوت أليف محبوب ننتظره دائما بعد كل وجبة
طعام ••

- الشاي يا زملا •• الشاي ••

ونجى نحو نبع الشاي •• وتثور نفس المشكلة ••

- مستحيل أفرط فى نقطة ميه •• الميه دى علشان طينخ المشا

- يا أخى نجيب لك غيرها ••

ويأتى صوت صلاح حافظ :

- يا زملا نضفوا للقروانة بشوية رمل ••

- الشاي •• يكرف •• من ريحة الطينخ ••

- الرمل يضيبغ الريحة ؟

- على مسئوليتك ؟

- جرب •• لن تخسر كثيرا ••

ويجري الجميع الى اقرب مكان به رمال مسالخة ينظفون القروان ، ثم
يعودون لأخذ الشاي ••

- متى نشرب الشاي زى البقي آدمين ؟

- منظر الشاي فى الكليية الزجاج •• رائع ••

... ليه طعم للشماي في الكباية أحسن من الفنجان ؟
... شعلا .. ليه ؟

الجميع يوافقون • ولكن لا أحد يعرف لماذا ؟

وننصرف لقضاء القيلولة في الخيام • الأحساس بالراحة بعد العمل المضنى ممتع • هؤلاء المتخمون بالراحة لا يحسون بها • يمتصون دماء الكادحين ويشربون عرقهم وهم في مكاتبهم المكيفة • ويعقدون الصفقات وهم في أسرتهم الوثيرة • ويصرفون الآلاف على مواثد القمار دون أن يختلج عرق واحد من عروقهم • حتى عقولهم لا تعمل فقد استبدلوا بها أموالهم التي يسترون بها العقول كما يسترون الأبدان • يجب ألا ننام قبل أن نقرا • • هذا ما تعلمنا عليه • فهل نستطيع القراءة قبل نوم القيلولة • وبعد هذا العمل المضنى الذي تمنا به منذ فجر اليوم حتى الثانية عشر ظهرا ؟ امسكت بكتاب لاقرأ فيه وأنا ممسدة على سريري الخشبي • ورغم جفاف مادة الكتاب فإن ذهني كان يتجاوب معها بشكل غريب • هل يمكن أن يكون جسمي مهجودا الى هذا الحد ويظل الذهن متوقدا ؟ ورحت استكشف ما في داخلي ! أحس بأمان الى حد كبير بعد أقل من يومين من تواجدي في هذا السجن • فما هو مصدره ؟ يبدو أن ارادة التحدى من أجل استمرار حياتنا بالعمل الجماعي • فضلا عما نلاقه من معاملة انسانية من المأمور والضباط • كل ذلك أبعد احتمالات تبخير مؤامرة لاغتيالنا • حتى لدغة « الطريشة » لم نعد نفكر فيها كثيرا • بل لقد كدنا ننسى خطرنا تماما • حتى صوت الحياة هو الأقوى • ويقدر ما يرتفع صوت الحياة في داخل الانسان بقدر ما يتوقد ذهنه وينشط حتى ولو كان جسمه مهجودا متعبا مكثودا •

أذكر أن عيني لم تنف أكثر من عشر دقائق • قمت بعدهما وقد دب النشاط في جسمي الذي كان متعبا منذ أقل من ساعتين • نداء العمل • هذا هو أحد أشكال صوت الحياة التي قررنا إن نبنيها بسواعدنا الفتيية • كان النداء • • دقائق رتيبة على جردل ماء تتوقف لحظة • • ثم تعود مرة أخرى • • وما أن تنتوته • نقلت المرة الثالثة حتى يكون جميع الزملاء قد انتظموا في طابور الزمار • المصممة على الشفاء • والنحدي يفيض على الوجوه انسانية • كنت أرى كل الزملاء • وأحس بهم • من خلال ما أراه في نفسي وأحسه • عاندا أراهم أكثر نشاطا وحيوية • وأكثر احساسا بالأمان • أغلب الظن أن ما دار في ذهني خلال فترة قيلولة الظهيرة هو نفس ما دار في أذهانهم • كانت هذه الوردية الثانية في اليوم الثاني من وجودنا في سجن الواحات التي تذهب من أجل جلب المياه • خلال سيرنا وجدنا الزميل الكهربائي ومعه

ملاحظ ملكينه الكورباء ، و٤ مساجب يعملون في مد اسلاك الكورباء ، قال
للزملاء الذين يحملون الكوابات . .

– مقيس نقه في كلامي والا أمه ؟ . .
وبرد مامد المسرة .

– أبدا . كلنا مفة . نص من باب الاحتياط . .

– علي أي حال اطمئن . . راح تكملوا الشغل على نور الكورباء . .
عنهما تمثلي، نفس الانسان بالنفة يصنع المعجزات ، النفة في النفس
تمنح الانسان مدة مائلة على العمل والخابق والابتكار . وهذا الذي اراه
يجرى وأشارك فيه أكبر دليل على ذلك . لا أظن أن الذبن القوا بنا
في هذا المكان من الصحراء البعيد عن الماء ، مصدر الحياة ، كانوا
يحسبون أننا سوف نقعاب على هذه المشكلة وبهذه السرعة في التفكير
والخطيط والتنفيد .

الساعة تقترب من العاترة مساء والعمل لا يزال مستمرا بفنس الحبوة
والنشاط . . ونلاح من بعيد الوردية النالذ في طريقها اليها . يصعب
صوت :

– الوردية النانية تسلم للوردية الثالثة . .

وترتفع اصوات . .

– سنواصل العمل معهم . .

– لسه عنقنا ما تعطيه . .

وتهتف اعماي في صمت : أبدا لن نتوقف عطاؤكم با اباء مصر البررة
ومصريا احبائي مطاة ، أعطت للانسان مالم تعطه أي بلد آخر فوق
هذا الكوكب ، حكام مصر اليوم با احبائي لا يعبرون عن وجهها ، فلا
تكثرنون لما يعملونه ضدكم . مصر الفسد ، هي مصر الشعب وساطته . هي
مصر الكاحدين والمارقين . انقم منلي ترونها في الأفق ، البعيد
القريب ، الحلم الأمل . ماغنقوا من الاعماق ان مصر قد اصبحت للشعب .
لا أعرف كم مضى من الوقت حين توقف عن العمل وأخذت اتأمل وجوه
زملائي وهم يعملون ولا أعرف أيضا كم من الوقت كانت تأملاتني
مستغفقه . . فقد جاضي صوت ولیم اسحق الذي كان يقف الى جانبي
دون أن احس به . . بقول :

– اسمع يا درش أنا لازم أرسك صورة بالزيت . .

– صحیح يا ولیم . . ياربت ! لكن إبه المناسبة ؟

– تقاطيع وجهك القوية المحددة تلهب فرشاتي . .

– دائما اسمع منك الحكاية دي . .

– لم أرها بمثل هذه القوة . . كما رابتها منذ لحظة . .

– ليه بقي . . ؟

- ما كان يدور في أعماقك جسده تعبيرات وجهك .. تدخل فيها هذا الضوء .. يا دين النبي .. يا عالم فرشاة واللوان .. راح أتجنن واجد ذراعى، تحتضنه في حنان .. والدموع تفر من عيني وأقول له ..

- بس يسمحو بالطرود .. وكل اللي أنت علوزه راح ييجي .
وكالاطفال يصيح وليم :
- ده أنا أبقي ملك .

ومنذ ذلك اليوم ونحن نطلق على وليم اسحق اسم « ملك الصحراء »
صبحنا نناديه « ياهك » وكثيرا ما كان يغضب اذا لم يناديه أحد
ذا الاسم الجديد . وكثيرون حتى بعد خروجه من السجن لا يصدقونه
باسم « الملك » .

ينتشر نور الفجر ونلمح الوردية الأولى في اليوم الثالث قادمة إلى
قاع العمل . أتربة كثيفة تثيرها أقدامهم المائتة في نبات ، تغطي
ساحلهم ووجوههم ولكنها لا تستطيع أخفاء تعبيرات إصرارهم وتحديدها .
رتفع الصوت المألوف ..

- الوردية الأولى في اليوم الثالث تستلم ..
وبسر بعض الزملاء ، في الوردية الثانية والثالثة في اليوم الثاني
في الاستمرار ، لكن قائد العمل يرفض بشدة
- ان لأجسامكم عليكم حقا ..
- اسمعني أنت ..

- أنا لا أبذل مجهودا جسمانيا مثلكم ..
- مهما يكن الأمر من حقا أن نستريح ..
- حسنا .. سأعود معكم ..
وبعد أن يسلم قيادة العمل إلى أحد مساعديه . يسير الجميع نسي
ب ومودة . ويدور حوار . يسأله أحد الزملاء :

- أبه رأيك .. راح نخلص في الموعد المحدد ؟
- إذا سار العمل بالمعدل الحالي .. متأخر يومين .
- أكن .. لازم يحلص في الموعد المحدد ..
- دي بقي مسألة تنوقف على ههناكم
- سنضاعف من نشاطنا ..
- لازم نبذل مجهود أكبر ..

ونصل إلى خيامنا بعد حوالي ساعة من فجر اليوم الثالث لوجدنا
ن سجن ضاح . نستلقي على الأسرة في محاولة للنوم . ولكن يتوقف
ذهن عن العمل وهناك سؤال مطروح ، طرحته ظروف العمل في الموقع -
يف يتسم إنجاز هذا العمل في الموعد المحدد ؟

ويطرح هذا السؤال أسئلة أخرى : هل يكفي الحافز المعنوى ؟ وهل الوعى هو الشكل الوحيد للحافز المعنوى ، أم هناك أشكالاً أخرى ؟ وفى عمل مثل هذا الذى نقوم به ألا يمكن أن يكون الحافز المادى دافعا للعمل ؟

وفى مثل حالتنا هذه كيف نحسّد الحافز المادى ، وما هى أشكاله ؟ وتستمر المنافسة أكثر من ساعتين لتنتهى الى صياغة محددة هى : الوعى بخطه العمل وأهدافها هو الأساس فى أى عمل جماعى ولصالح المجموع والعمل بروح الفريق ، لا تلقى المنافسة ، ويمكن أن يكون التنافس بين فريقين وفريق ، والحافز المعنوى يمكن أن يتخذ أشكالا مختلفة ، مثلا : وسام للفريق الذى ينجز عملا أكبر ، أو شكر وتقدير يعلن شفاعة بعد انتهاء عمل الوردية ، ويمكن أن يكون أيضا وفى نفس الوقت حافزا ماديا ، مثلا : علبة سجاير للفريق المتفوق ، أو قطعة لحم زيادة لكل فرد منه .

وأحمل هذه الصياغة الى باقى الزملاء ، وإلى الأخوان المسلمين ويعد مناقشة يوافقون عليها بحماس ، وعند استلام الوردية من بعضها البعض فى نهاية كل يوم يعلن قائد العمل اسم الفريق المتفوق . أنكر أن أول فريق تفوق اقترح زميل أن يأخذ الفريق وسام مصطفى كامل . ووفق على الاقتراح عندما ارتفعت أصواتهم بنسبة ٠٠ بلادى ٠٠ بلادى . لك حبي وفؤادى . وكان الحافز المادى هو علبة سجاير هوليود . أى أن نصيب كل زميل كان سيجارة واحدة حيث الفريق مؤلفا من عشرة ، وترتفع أصوات :

- راح تشرب سيجارة بحالها ٠٠
- لا على ثلاث مسرات ٠٠
- برضه ما جاوبتنى على السؤال ٠٠
- لا ٠٠ طبعاً ٠٠ معقول أسريها لوحدى ؟
- طيب هات نفس ٠٠

ويجتمع الزملاء حول حاملى السجاير . يختلسون بضع دقائق ويمسكون جماعات ٠٠ جماعات ٠٠ ويدخنون بلذة وممتعة ٠٠ وتختلط الأصوات ٠٠

- أنت برضه راح تولع ثلث ؟
- أمال يعنى أولع السيجارة كلها ٠٠
- يا أخى حننا ستة .
- نصف سيجارة بس ٠٠
- لا تكفى ٠٠ ولع السيجارة كلها ٠٠
- وبكره أعمل آيه ٠٠ نفسى أشرب نفسين للصبح ٠٠
- يا أخى اصرف ما فى الجيب ٠٠ يتيك ما فى الفيب ٠٠

- ده تفكير غير علمى يا زميل ..
- يا أخى ماتزود ماش ..
- يا الله ان شالله ما حد حوش ..
- ويعودون الى العمل اكثر نشاطا واكثر حيوية • وكل فريق ينافس
اجل الحصول على علبة سجائر واحد الأوسمة • وتصر الأبنام سريعا
نم انجاز العمل فى موعده المحدد •
- وكان مشهدا مثيرا • مشهد نزول الأيساء من الصنابير فى قلب الصحراء •

أحكى لك عنه يا حبيبتي فى رسالتى المقبلة ،

٤ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٧)

حبيبتى

كأنما كان الأمر اكتسافا جديدا لم تعرفه البشرية من قبل . الماء يجري فى مواسير أكثر من ٥ كيلو مترات وينزل من الصنابير . يا للسعادة ! نستطيع منذ هذه اللحظة أن نفتح الحنفية لينزل منها الماء ، نشرب ، ونستحم ، ونطبخ ونخبز منه ، بل ونستخدمه فى رى قطعة أرض نزرعها . هل نزرع خضارا فقط أم نزرع بعض الأزهار والورود أيضا ؟

ويحور حوار طريف :

- طيما خضار بسى .. طماطم وخيار وجرجير وفجل وفول و .. و ..

- والفواكه ؟

- بطيخ وشمام ..

- وليه مش يرتقال كمان

ويضح الزملا بالضحك .

- بتضحكوا ليه ؟

مرة أخرى يضحون بالضحك . ويرتبك الزميل ، وأخيرا يعرف سبب

الضحك :

- انت ناوى تقعد فى السجن لنهاية لما يطلع البروتقال ؟

ويرد الزميل فى غضب .

- خلاص غلطت فى البخارى ؟

كان هذا الزميل طيبا الى درجة تصل احيانا الى حد البلاء ، وكان

حسن النية الى درجة أنه يمكن أن يصدق أى كلام يقال له من زميل .

اليس زميلا ؟ وكانت له فى نفس الوقت قدرات هائلة على خلق صداقات

مع أى انسان يلتقى به فى الحى ، وفى الجامعة حيث كان طالبا ، وفى

الأنسية المختلفة التى يتردد عليها ، وكان محبوبا من الجميع بنقون

به ثقة تامة ، ويعتمدون عليه فى حل أى مشكلة تواجههم ..

ويحكى عنه الزملاء قصة طريفة ، حقيقية ، طلب منه مسئوله

يوما أن يجند بعض الفلاحين فى بلدته ما دام يملك هذه القدرة على

خلق علاقات وصداقات . وجاءه فى اليوم القالى مباشرة يزف اليه

خبر تجنيده أحد الفلاحين . واندعش مسؤله .. بهذه السرعة سافر

الزميل الى بلدته وعاد منها بعد أن جند فلاحا ؟ فسأله :

- أخفت تصافر البلاد ونزج ؟
 - مدن مال اننى سافرت
 - أمال الفلاح ده منين ..
 - طالع بغي كليه الطب ، جامعة غزاد ،
 وضحك المسئول وقال :
 - بأمول نك فلاح من طالب ..
 فرد عليه ببراءة شديدة :
 - طيب ما هو طالب فلاح ..
 والغريب أن هذا الزميل الذى يملك هذا الفدر من حسن النية ، وانطية .
 يملك فى نفس الوقت دهاءا يفوق دهاء النعلب ، وذكاءا حادا ، وذاكرة
 قادرة على حفظ أى شئ ، يمر بها ! كنا نكلمه بأخطر التكيلفات
 داخل السجن ، وارسال واستلام الخطابات والتقارير المرسله منا والواردة
 اليها . كما كنا نسمع من بداكرته عندما نحتاج الى نص محدد من مرجع
 محدد ! حتى بعض الاحصائيات التى تكون قد مرت عليه يعيد ذكرها
 ممدبى انده ، كيف أحبه كادن أكثر مما كنت أحبه كزميل . لبس نعط
 لصفر سنة فقد كان هناك زملا فى مثل عمره . وكان هو ايضا
 بلجأ الى لا بوصفى زملا له أو مسئولاً ، ولكن بأحاساس الابن .

المحه مسنمرا من الحوار ولكن لا أسمعه . بحرى نحوى وعلى وجهه
 غضب ، ويقول .
 - أظن ده بعى بيمى منتهى الرفاهية .
 - أبه هو ؟
 يشير الى أحد الزملاء ، ويقول :
 - عاوز مزرع ورد وزهور
 - ورود وزهور من ؟
 تزول بعض تعبيرات الغضب من وجهه :
 - لا طبعاً . زخضار كمان
 .. دى أبه فضيلة ؟
 - انك كله ان تحب نستفيد من الأرض والماء والشمس فى رزغ خضار
 علشان الأكل وبس ..
 - طبعاً الأولوية للخضار ..
 - ما كفاية الخضار .. أبه لزوم الورد ..
 - برضه .. مفيد ..
 - مفيد فى أبه .. بيتاكل ..
 - لا له فوائد أخرى . متعة جمالية مثل الموسيقى مثلا .
 - بس بشرط ..

- مفهوم .. بشرط توفير كل احتياجاتنا من الخضار .. موافق ؟
 وبيقتسم في هدوء .. ويعلم موافقته .. والطريف ان هذا الزميل كان
 اول من تمام بزرع ورد وأزهار أمام الخيمة التي يسكن فيها . وكان
 ينفذ لحراسها طول وقت فراغه ، ويمهد بها الى زميل آخر عندما
 يكون مسغولاً في عمل بعيد عنها نظير ورده يعطيها له .
 الحركة لانهدأ عند صنابير المياه التي أتينا بها عبر الصحراء ،
 البعض بملاوون الجرادل وبذمبون بها الى المطبخ ، وآخرون الى الخبز ،
 وبعضهم بسنجم في الهواء الطلق ، فالعمل في الحمامات لم يبدأ بعد
 فما زلنا في انتظار الخزانات وطلابيبات المياه التي وعدنا بها المأمور
 وقد سافر خصيصاً من أجل احضارها هي ولوازم أخرى . فجأة نسمع
 أصوات بعيدة تردد نسد : بلادي . بلادي . الصوت يقترب ، موكب
 من ست سيارات تتقدمهم سيارة المأمور البيك آب ، عربتان بهما زملاء
 يرددون النشيد ، و ٤ عربات لوري تحمل أشياء كثيرة لا ننبين منها
 سوى الصهاريج .

- اذن نعد نعد المأمور ما وعد به ..
 - ومن هؤلاء الزملاء .. ؟
 - أحكام حديدة بالأسفل النسامة ؟
 - ربما ولكن من .. ؟
 يصرخ أحد الزملاء ..
 - دول الزملاء التي في سجن مصر ..
 - لكن دي أحكامهم سجن بس ..
 - لازم راح يلمونا كلنا على بعض .
 - دي تبقي مخالفه صريحة للقانون .
 - قانون أيه اللي أنت حاي نقول عليه ؟
 يقف العربات عند بابي السجن . يجري إليها الزملاء يستقبلون زملائهم
 بعد فراق سنوات . مأمور السجن وضباطه وجنوده يساعدون هذا
 المشهد الانساني في صمت .
 قوة اللحظة وعمق انسانياتها يمكن أن تحرك الجانب الانساني حتى
 عند أشرس البشر فما بالك ومعظم هؤلاء وعلى رأسهم المأمور قد أصبحوا
 شبه أصدقاء لنا .

بصوت ودود يقول المأمور :
 - انتو بقي مبسوطين بحضور زمائكم .. والا بالصهاريج دي ..
 ويصبح الزملاء في وقت واحد :
 - الاتنين طبعاً ..
 - الخير على قدوم الواردين .. جبت لكم كميات هائلة من الفلزود ..

وللتأكد يسألون :

- طرود أية ..
- طرود من أهاليكم ..
- هايل « لازمة مجدى فهمى »
- عظيم « لازمة زكى مراد »
- مدعش « لازمة صلاح حافظ »
- آموده النسل « لازمة ملك الصحراء »
- رائث « لازمة محمد سطا »
- تمام « لازمة سعد ياسينى »

لم تهذا حركة الاهالى منذ غادرنا ليمان طرود الى سجن « جناح »
بالمواحات الخارجة . كانوا يترددون يوميا على مصلحة السجون والباحث
العامة برئاسة الجمهورية ودور الصحف والفتايات المهنية والعمالية ،
كتبوا مذكرات لكل المسؤولين فى الدولة ، ووزعوا بسكل على بيانا على
الشعب عن ترحيلنا المفاجئ الى مكان ما فى الصحراء ، ورغم الوعود
التي أعطيت لهم بزيارتنا ، ورغم التصريح بالزيارة لروجة أحد المسجونين ،
فما زالوا منوعون من الزيارة . والطرود والخطابات لم يصرح بها .
وبحل الببان فى حتامه مسئوله المؤامرة التي تدبر صحتنا . ولما
وجد الاهالى سباطوا فى بعض مطالبهم دخل عدد منهم مصلحة السجون
وأعلنوا اعتصامهم وانضامهم عن الطعام حتى تجاب مطالبهم أو الموت مع
ذويهم الملقى بهم فى الصحراء . عرمتنا هذا من الزملاء الذين أنوا اليها
من سجن مصر .

وحدث نسكر مأمور السجن على جهوده التي كللت بالنجاح فى مصلحة
السجون ، ممول بنواصع .

- النسكر لاهالككم .. دول حقبى أبطال .. همه الى حلوا المسؤولين
يقتنعوا بمطالبكم . كل الى عملته انى ومفت الى حادب هذه المطالب .
وينجيه المأمور الى داخل السجن وبرى خفتات الباء . فبصبح فرحا .
.. . . . والله أبطال

- ح والطمب فى موع

- طيب بالله يقي علسان تملوا الطرود

بعض الزملاء همسى فى ميات نحو مكتب المأمور ، فهم يتقون بأن
لهم طرودا .. والبعض الآخر يقدم رجلا ويؤخر رجلا ، ترى هل
عندهم فائض كى يرسلوا طرودا ؟ . ومافى الزملاء لم يكلف نفسه عناء
الذهاب ، ان أهله لا يملكون قوت يومهم فمن أين يأتون اليه باحتياجااته ؟
ومع أن نظام « الحياة العامة » يصادر كل ما يأتى الى الزملاء من
طعام وسجائر ونقود ويوزعها على الجميع بالتسوى ، لا فرق بين الزميل

المقتدر وبين الزميل المدمم ، الا أن مجرد وصول أى شئ مهما صغرت
قيمته للمسحور دافع معنوياته الى حد لا يمكن تصوّره . مرات كثيرة
رأيت فيها زملاء لم تصلهم طرودا أو نقودا ، فى عيونهم حزن واسى .
لأنستطيع ابنتسامانهم المفتلة أن تخفيها . ربما كنت أكثر احساسا من
غبرى بهؤلاء الزملاء . فقد كنت - فى أغلب الأحيان - واحدا منهم .

كان الضابط ينادى على أسماء أصحاب الطرود ، بينما كنت أضع
يذى على قلبى . خوفا على نفسى ، وعلى عدد من الزملاء أعرفهم جميعا .
عده أول مرة برسل لنا فيها الإهالى طرودا . والذى لا يصله طرد فى
هذه المرة بالذات سوف يأخذ عقله ويعطى ، ترى هل أصابهم مكروه ؟
هل يئسوا من عودته فقررروا أن يقطعوا صلتهم به ؟ الى هذا الحد وصلت
حالتهم التى لم نكنهم من ارسال حنى عليه سجاير ؟

أوزان الطرود يبدأ أكبرها ما يزيد عن ٢٠ كيلو جرام ولا تزيد أصغرها
عن ٢ كيلو جرام والحزنيات أيضا مختلفة ، فى بعضها « مارون جلاسيه » وفى
بعضها الآخر « حرنكش » ! و « الحرنكش » عبارة عن حلوة مصنوعة من بقايا
العسل الاسود ، و « المارون جلاسيه » - كما أظن - أبو غروه مكسوة
بالشكولاته !

واسمع اسمى ، ويسمع كل الزملاء دون استثناء اسماءهم .
حمل كل زميل طرده وهو سعيد غاية السعادة . الجميع سعداء لكن الأكثر
سعادة كانوا أصحاب الطرود الصغيرة فى حجمها وفى قيمتها ، ذهبوا جميعا
بها الى مسئول « الحياة العامة » . ليتولى مصادرتها لصالح الجميع
بالمساواة الكاملة . وكان يوما منسودا ، كان موعد الغذاء قد حل . وحين
سمع الزملاء دقات نداء الغذاء المعتادة ذهبوا اليه متكاسلين ،
متباطئين . يأخذون نصيبهم من الطيبخ والأرز واللحم . حين لا يسمع
الزميل أحمد خضر التحيات والتقديرات المعتادة لطيبخه ، يصيح بصوته
المسرّسح :

- ايه يا زملا .. بطاطس ولحمة ورز .. مش عاجبكم ؟

لا يسمع أى مديح . بل ولا ردا على سؤاله .

- أطبخ لكم بفتيك .. مبله .. لحم بارد ؟

ثم يصرخ بغضب ..

- شئ بارد صحيح ..

ويجبرى حوار طريف :

- يا أحمد وأنت مالك بس

- أمال مين اللى ماله .. مش أنا مسئول الطبخ ؟

- وحد مالك حاجة

- أمال مالكو متيسين ليه ؟

- يا أخى انهم بقى ..
 - أفهم آيه ؟
 - فغيبه طرود وصلت النهاردة ..
 - وأنا فى المطبخ .. ولا دارى .. وأنا جالى طرد
 - طبعا .. واستلمناه ..
 - طيب أعرف فيه آيه ؟
 - روح لسفول الحياة العامة .
 ويجزى أحمد خضر الى مسئول الحياة العامة تاركاً جرادل الطبيب
 والأرز واللحمة ، والمفرقة ما زالت فى يده ليعرف ماذا أرسل اليه أهله !
 وترتفع أصوات فئات الملاعق على القروان .
 - نك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..
 ويأتى اليهم صوت مسئول الحياة العامة .
 - طيب يا زملا .. طيب .. عارف طلباتكم .
 ويخرج من خيمته كالطاووس يتبعه ثلاث زملاء ، ويحمل الأربعة
 غطيان جرادل ، وعليها ما لذ وطاب مما أرسله الأهالى فى طرود اليوم
 - بفتيك ١٠٠
 - فيليه ..
 - فراح ..
 - ديك رومى مرة واحدة .
 - والله عمرى ما كلته ..
 - والفيليه دى لجه مشوية ولا محمرة ؟
 - مشوية يا بنى آدم ..
 - اتمدنوا بقى ..
 - والففتيك بالردة والا بالحقيق ..
 - يا جدع بالبقسماط المجروش ..
 - والله راحت عليك يا أحمد يا خضر ..
 ويصرخ أحمد خضر . ويلقى محاضرة :
 - يا زملا انتو بتفكروا بطريقة آنية . استراتيجية بقى أنا اللي
 اكسب . ذكروا أن الطرود لن تمشى كل شهر .. وكمان مش راح تيجى
 كل مرة محتوياتها دى . لأن بيبيعوها مرة بيعت فيها الأهالى
 طرود بعد ما جينا هنا فى الاسفند . وطبيعى أنه ...
 وتقاطعت فئات الملاعق على القروان :
 - تك ، تك تك ... تك ، تك ، تك ..
 ويستطرد أحمد خضر :
 - أنا بقى عمرى ما تهمنى المقاطعة .. أنا بقى فى النقابة لما كنت

أخطب .. ويقاطع مرة أخرى :

— تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

— الثغابيون الصفر .. كانوا يبقاطمونى زيكو كده ..

ومرة ثالثة :

— تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

ويقول مسئول الحياة العامة :

— يا أحمد دول مش ببقاطموك ولا حاجة ..

ويحتج أحمد ويقول غاضبا :

— ازاي بقى مش ببقاطمونى .. انا احج .. ايه راىكو يازملا ؟

ومرة رابعة :

— تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

ويخرج مسئول الحياة العامة ، مرر مانيية ، يتبعه ثلاث زملاء ،
يحملون الماكهسة .

— تفصاح

— منجى

ببرقوق ..

— والله الحبيسه أحلوت

— نعمة يصونها من الزوال ..

— اللهم ما أجعله خير .. عبنى بتسرف ..

وترتفع أصوات بعض الزملاء .. عبنى بتسرف يا حبة عبنى ، باللى حرمت

النسوم من عبنى . خير ان نساء الله . والله ما كان على بالى دا كله .

وبينما يتوجه الزملاء لغسل أيديهم وقرواناتهم لأول مرة من الحنفيات

ودون مشاكل مع أحمد خضر مسئول الطبخ يملو صوت يقول :

— خبر مام يا زملا .. كل واحد بستنى مكانه ..

ويعلن مسئول الحياة العامة .

— ابتداء من اليوم .. فيه نساى زيادة الساعة خمسة .

— فايف أو كك تى .. يا عبنى ولمسه .

ويخصف الجميع الى ختيمهم لقضاء قيلولة الظهيرة . واستلقى على

سريري الخشبي . كنت حزينا رغم كل ما عشته من مرح خلال الساعات

الآخيرة وكنت قلقا لسبب لا أدري مصدره على وجه التحديد ، رغم الانفراج

الذى حدث فى السجن .

وكانت وقفه تأمل مع النفس .. تستحق ان أخصص لها رسالتى

المتبله ، فالى اللقاء يا حبيبتى ..

١٩٧٧ يوليو

القاهرة

الرسالة رقم (٢٨)

حبيبتي

في بعض الأحيان يعطو في داخل الإنسان صوب أنوى من كل الأصوات بالحاح ، ذف لحظه تأمل مع نفسك . ولقد سهدت سدوات عمرى منذ تسببى عددا من هذه اللحظات التى أحنفت كلها انعطافا حاسما فى حياتى على المستويين العام والخاص . قيل أن ادخل السجن ، وخلال ، وبعد خروجى منه ، كانت اللحظة التى حدثتكَ عنها فى رسالتى السابقة واحدة منها . « أرى فى عينيك الرغبة فى حديث عن كل تلك اللحظات » . أعذك فى رسائل مقبلة ، ودعيني أحنذك عن هذه اللحظة بالذات ، لحظة دعابى لفضاء فيلولة ذاك اليوم الذى شهد استلامنا جيمعا طرود طعام وسجاير وحلوى وفاكهة من أمالينا .

قبل أن نستلقى على أسرتنا الخسبية ، وفى حركة تلقائية ، اخذنا جميعا ناهل بفرح الملابس التى وصلتنا فى الطرود ، وتوالى التعليقات :

- « مجدى فهى » — أمى عية اللى وصلت لى البجامة دى .
- وعرفت ازاي يا مجدى ؟
- ودى محتاجة لذكاء ..

بضحك بحب وحنان ويستطرد :

- سوف واسعة ازاي ..
- « سعد باسيلى » — سوف بيجامتى .. آخر تمام
- طيعا سفل معلمين ..
- ده تخصص با استاذ ..

« فنزة أحت سعد باسيلى اضطررتها الظروف بعد سجن أخيها الى احتراف الخياطة »

« مصطفى : بال خليل » — والله داطره هراتى . عيلة جدا .. سوف ..

- « أمه » — له سجر محور ؟
- أنا اللى تنسها اراى بفصل الهدوم ..
- لك حق ما انت بنساع كله .

ويستمر الحوار ، لم تكن حوارا بين الزملاء ، وإنما كان حوار بينهم وبين أمالهم . وأدرك سبب النداء الذى يلج فى داخلى . قف مع نفسك لحظة تأمل . الحوار مع الحياة يجرى من خلال قنوات عديدة ومتنوعة .

عامّة وخاصة ، ومع أنه لا انفصال بين العام والخاص .. الا اننى كنت فى حاجة ملحة لحوار من خلال قناة خاصة جدا . هذا الحوار الخاص الذى يحرى تلقائيا منذ لحظات بين الزملاء ، وبين أهاليهم يؤكد هذه الحبيبة لكنتى أحاور من ؟ لو ان زوجتى « ميمى » على التى أرسلت لى هذه البيجامة - وان كانت جامزة - لخلفت بعض كلمات تلحوار . أخى مسعد - رحمه الله - هو الذى أرسلها وليس « ميمى » ، فهو لم يكتب لى سبنا عنها وعن أخبارها .. الحوار مع أخى مسعد متصل ولكنه حوار عام وأنا فى حاجة الى حوار خاص .. خاص جدا . لو كانت أمى ما زالت على قيد الحياة ، لظل حوارنا متصلا متجددا . ماتت فى النصف الثانى من الأربعينات بين ذراعى ، وكانت كلماتها الأخيرة لى : « خد بالك من مسعد » ما زلت اتذكر حوارا قصيرا معها بالكلمة والحرف ، كنت من وجهة نظرهما أحسن أختى « حنين » مالوش مطالب . لا يجب المشاكل ، لكنها كانت تعجب لأمرى وهى ترانى أعرض نفسى للخطر . قالت لى فى حنان :

- هو انتو يا ابنى فد الحكومة والانجليز ؟

- مدها وأكثر كمان .

- ازاي يا ابنى .. دا انتو غلابة ؟

- ما هو سعد زغلول « باشا » بالغلابة دول عمل حاجات كبيرة للبلد

- يعنى انت يا ابنى راح تبغى زى سعد باشا ..

أضهما بين ذراعى وأقول لها بابقسامة :

- وليه لا .. ؟

وبقبلنى بكل حنان الأم ، وتقول :

- ربنا ينصركم يا ابنى .

وأخنى الوحيدة - رحمه الله - هى التى بتترب بسكين حاد حوارا

كان بيننا حين طلبت منى أن أخرج باى ثمن حنى تشفى من مرضها .

فقد قال لها الأطباء ان مرضها حدث نتيجة صدمة اعتقالي ، وخروجى

سبحت لها صدمة أخرى تشفيها من المرض .

لا أستطيع أن أتصور با حبيبتي الذى العميق ، الغنى ، المتجدد لحوارنا

المتصل لو أننا التقينا قبل ١٨ يوليو عام ١٩٥٢ ، ولو بيوم واحد .

أو لحظه واحدة ، ربما كان لفأونا القصير هذا نواة لتجربة حب عظيمة ،

وربما كان بداية لصداقة وطيدة ، لكنك يا حبيبتي كنت ما تزالين

« فى المهد صبية » !

أحيانا .. وخلال مسيرة النضال الطويلة مع مجدى فهمى ، كنت أعجز

أحيانا عن رؤية العالم بوضوح ، وكان مجدى يقول :

- أنت فى حاجة الى تجربة حب حقيقية .

واليوم - بعد أكثر من ٢٦ عاما - منذ التقيت بمجدي فهمي نصل صداقتنا الى أروع وأعظم ما يمكن أن تصل اليه صداقة • انها تجربة عظيمة تستحق أن تسجل في عمل كبير ، فأبغادها العميقة في نفسينا التي اكتسبناها ليس فقط من خلال الاتفاق الفكري والوجداني ، والنظرة الانسانية المشتركة ، ولكن أيضا من خلال صمودها لمحاولات لم تتوقف - وللأسف من زملاء - لضربها أو النيل منها • محاولات وصل بعضها الى درجة من النحنى تفسر لها الابدان • وعينا راحت كل محاولات الأصدقاء ، والأعداء لتتعال من صداقتنا الوطيدة • ما أروع العلاقة الانسانية حين تتحول الى تجربة حية ، من خلالها يستطيع الإنسان ، ان يفكر بذهن صاف ، وأن يخلق ويبدع ويبينكر • ونحصر في سوية وقد تشابكت ايدينا نردد في صمت قسم الحافظة على تجربتنا الفريدة كما نحافظ على حبات عيوننا • وفي الصباح نفاجأ بجلسة انسانية رائعة مع أم مجدي فهمي وأخت سعد باسيلى ، أحكى لك عنها في الرسالة المقبلة • باحبيبتى

٨ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٢٩)

حبيبتي

كان لوغفتي مع نفسي دم حوارى مع مجدى فهمى أربعما المصوى مى وجدانى • لقد نفضت عن نفسي أوهام علاقات زوجية وعائلية كنت متعلقا بها سنوات طويلة منذ دخلت السجن • وبدأت مرحلة جديدة من رحلة علاقاتى الانسانية خلال سنوات سجنى • حقا لقد كانت علاقاتى بكل من التقيت به من الزملاء ، وعدد كبير من الأخوان المسلمين ومن المسجونين العاديين تنسم بطابعها الانسانى • لكنها كانت لا يمكن أن تكون البديل للعلاقات الانسانية الخاصة مع الأم • أو الأخت • أو الزوجة ، ربما كانت العلاقات الزوجية أو علاقة الدم مع المرأ؛ هي أكثر العلامات الانسانية التى يجد فيها الرجل ، وبصفة خاصة المسجون لسات الحنان • ولكن اذا نومرت كل الطروف التى نوفرها مثل هذه الملقاب عند أم صديق ، أو زوجته ، أو أخيه • ألا يمكن أن نكون جيبلا لعلامه الزواج أو الدم ؟ كان هذا السؤال بلع على ، يطلب اجابة تطبيقية للاجابة النظرية التى تفول : نعم •• يمكن • فما العلامات الانسانية بجوانبها المختلفة الا توافق عاطفى ووجدانى • مجسده الطروف الموضوعية المناسبة •

وتنشأ الصعده - وكندرة هي الصدف التى لعبت فى حياتى دورا هاما - أن تعطينى الاجابة العملية المؤسده للفكرة النظرية •

كانت الساعة لاتنجاوز المائنة عشر ظهر يوم بعيد فى سجن «جناح» بالوحدات الخارجية • عبرية نقف على باب السجن الخارجى • ومن بعيد نلمح ثلاث سيدات يفرزن من العربيه • نساء فى قلب الصحراء ؟ من هن ؟ وكدف وصلن الى هنا ، ويجرى الرملاء الى هناك • جربم يدعم بقليل ، لاجد نفسي بين أحضان أم مجدى فهمى ، نميلنى بحنان بالغ • حنان الأم الذى فقدته منذ سنوات بعيدة • ثم تقبلنى زوجة أخ مجدى فهمى ثم شقيقة سعد ياسيلي • ويصبح مجدى فهمى ••

- هائله يا أمى ازاي عرفتى تبجى ؟

ونقول بنبرات وثقة :

- ولانت ازاي جنت ؟

ولبتفت مجدى الى زوجة أخيه :

- مدعشة يا «محبوبة» وصلنوا ازاي ؟

وتحتضنه (بحربه) بخان كبير ..
- زى ما وصلت انت ..
والسعت الى فتنة - أخت سعد باسبلى -
- حمد الله على السلامة يا « فتنة » .. ازي سكرى .. (سقنين سعد باسبلى)

وأرى دموعا فى عينيها وتقول :
- سكرى مى سجن مصر ..
- من امتى ؟
- بقاله تنهرين ..
لم يكن لشكرى أى علاقة بالتنظيم . وكان من العناصر التى يطلق عليها لفظ « بلطجى » وكثيرا ما كان يسبب مشاكل لأخيه سعد باسبلى قبل دخوله السجن . فما الذى حدث له ؟ متى ؟ وكيف ؟ ويفطع صوت « فتنة » تأملاتى :
- سكرى موجود فى مستشفى السجن ..
- ليه ؟
- حاول الهرب ، قفز من الدور الثالث لما جه البوليس ، انكسرت رجله ..
- ومسكوه فى الحال طبعاً ؟
- أبداً فضل يجرى وهمه وراء ومسكوه ..
- ولا بهمك يا فتنة ..

وتلتفت حولها .. تبحث عن أخيها .. كل من تعرفهم حولها ، يسلمون عليها ويتحدثون معها وأصيح بأعلى صوتى وبغضب :
- فين سعد يازملا هو ما عرفش والا إيه ؟

والحـه من بعيد يأتى الينا على مهل . كان سعد باسبلى يمثل لنا مشكلة بالغة التعقيد . من رايه أنه لا مكان للمواطن الإنسانية فى نفس المناضل، فهو نقيض الصفات الأساسية التى يجب أن تتوفر عند كل المناضلين والغريب أنه هو نفسه يحمل فى داخله كل كنوز الانسان العاطفية والوجدانية ، ولكنه كان يكتبها بقسوة وعنف عند كل محاولة لبرازها . عندما كان وجهه - الناصع البياض - يجرى فيه الدم ويصبح شديد الحمرة ، نعرف أن معركة ضارية تجري فى أعماقه . كانت عواطفه تنقصر دائماً ، ولكنه لا يعترف أبداً بلسانه . كان لسانه يقول شيئاً ، وكان وجهه يقول شيئاً آخر . وجسد لقاءه باخته التى عانت من مشقة طريق قطنه فى 48 ساعة ، والتى بذلت جهداً خرافياً من أجل الحصول على إذن لزيارة أخيها الذى ألغوا به فى الصحراء منذ أكثر من شهر - جسد صورته بشكل واضح . راقه من بعيد يسير نحوها فى خطوات منظمة - لم نتظر وصوله وجرت اليه لتلتقى به داخل السجن .

– أعلا با فتنه حمدله على السلامة ..

يبدع ممدوده للسلام عليها بطريقة تقليدية تماما • وعسا تروح كسل
محاولات سسيفيته للحصول على قبله منه • كانت حمرة وجهه برداد عند كن
محاولة تقوم بها المسكنه لأحتصانه وتقبله • صاح الزملا الدن كانوا
دراعيون هذا المشهد • وهم بصنفون بأيديهم ..

– سعد باسيلي • سعد باسيلي • أعيش معاك وأطلع من ديني • •
يا سعد باسيلي • • يا سعد باسيلي • •

كان ننبتا كتب كلماته الساخرة عبد الرحمن الخميسي • ولهذا التفسير
فصة طريقة •

ذات يوم عام ١٩٥٣ في سجن مصر كان عبد الرحمن الخميسي ينتظر
زيارة زوجته له • لا أذكر ترتيبها في قائمه زوجانه • لكنها لم تحضر •
وكان حزن الخميسي • ربما لطبيعته كفتان • بالغا الى الحد الذي جعلني
أفزع عليه أن يقتضى الليلة في زانزانتى ومعنا دانه من الزملاء
بهم سعد باسيلي والزميلان الآخران كانا سعد زهران ووجدى شرمي •
وعندما أغلق السجن باب الزفزانة • وعندما بدأنا فى الاعداد لعضاء سهى
من السمك واللحم والحسى الذى جاءت به أم مجدى فهمى وزوجة سعد زهران •
عال الخميسى بحسرة وألم :

– كان نفسى فى السمك الذى بنعله مرأتى • •

ويبتسم سعد زهران بانسانية ويقول • •

– مملهى با عبد الرحمن • • ده سمك كودس بنعله سمعه • •
ويرد الخميسى :

– لاده كان السمك الذى جابلى من بور سعد • • طازج • •
ويندخل سعد باسيلي :

– أبه معنى الفرق بين سمك القاهرة وسمك بور سعيد
– لا فيه مرق طبعاً يا سعد • •

ويقول سعد باسيلي باهتزاز • •

– أهد! • • كل الحكاية ان السمكى عاوز ياكل من سمك مرانه • •

ويصبح الخميسى بصوته الجهورى • •

– أيوه يا سعد • • السمك الذى بتعله مرأتى له طعم خاص •

ويرد عليه سعد بثبات :

– طعم خاص عنك انت بس •

ويملو صوت الخميسى :

– طبعاً عندى بس • • أمال عند الجماهير كلها :

ويشمر سعد باسيلي يان « الجماهير » فد أهيت ميهب للدماغ عنها !

– بس مالكش دعوة بالجماهير • •

ويحتد صوت الخميسى :

- هوانت يا أخى وصى عليها ..

كنت أنا وسعد زهران ومجدى فهمى ، نرتب الحوار فى صمت ونبتسم

بين الحين والحين • التفت إلينا الخميسى وصاح فىنا :

- الله انفوا واقمين على الجهاد .. استركوا معنا فى المناقشة •

أوجه حديثى لسعد زهران .

- آيه يا سعد ما نقول رأبك

يرد ضاحكا ..

- لا ياعم قول أنت .. أنا خايف ..

وأقول لمجدى فهمى ..

- طيب انكلم أنت يا مجدى ..

ويضحك نائلا ..

- أنت عارف .. أنا مس فداى ..

ويلتفت إلى الخميسى وينسأل ..

- آيه الحكاية .. طيب قول أنت •

وأقول ضاحكا ..

- وهل يجدى القول ؟

ونضحك جميعا ، وينشاركنا سعد بأسبلى الضحك لكن نظراته تنطق

بانفاس جميعا ، ناس « خرعين » ! يستجيبون لعواطفهم • ونبدأ فى

تناول العشاء اربعة زملا، يريدون « الفضضة » حول أكلة شهية صنعتها

أم أو زوجة أو أخت ! لكن خامسهم يفرض عليهم اربعابه ، بين الخميس

والحين تفرض روح المقاومة والتحدى نفسها :

- آيه رأيك بإدريس فى السمك ده ..

- سممية ساطرة فى عمل السمك ..

- بجمتك مس أحسن من سمك اسكندرية ؟

ويصبح سعد بأسبلى ..

- أموه كده اكنفوا عن نفسكم .. كنتم بتروحوا استكرية عاشان

تاكلوا سمك •

بمسكنة بقول سعد زهران :

- وفيها انه يا سعد ؟

ويرد سعد بأسبلى ..

- طبعاً فى أبو فتر .. مس كده •

وأقول :

- أبدا والله يا سعد .. عند الزميل « خالد »

ويعلق بسخرية :

- يا عيني يا عيني على القيادة ..
يسقط في ايدينا ، ولا نعلم . وننتهي من تناول العشاء وقد فتحنا
جزءاً أساسياً من لذته ، لهذه الحديث عن الذين صنعوه . ثم جاءوا به
اليينا في السجن .

يقوم سعد باسيلي باعداد السأى ببما بنصرف عبدالرحمن الخميسي
للكتابة ، وانصرف أنا وسعد زهران ومجدى لحديث هامس عن الزيارة حتى
لا نسمعنا سعد باسيلي فيكرر اتهاماته لنا . وبينما نحن نتناول
السأى يجيئنا عبد الرحمن الخميسي في قراءه قصيدة مطلعها :
انسى انتظرت صبيحة الاثنين
أن تحضري لزيارتي باعيني

لكن مضى يومى ولم يخرجنى
من قفصة الزنزانة السجان
سادنا الصمت احتراماً للمعاني الإنسانية في قصيدة الخميسي وهو يتغزل
في زوجته ، بينما نلثم سعد باسيلي غيظاً ، بقاوم بنف كلمات
على لسانه ، وما أن تنتهى الخميسي من القاء قصيدته حتى ينفجر
سعد باسيلي .

- بقى دى .. روح مضال ..
ولا نملك سوى الضحك بصوت عال ونردد وراء الخميسي كلماته الطريفة ..
- سعد باسيلي .. سعد باسيلي أعيس معاك وأطلع من ديني يا سعد
باسيلي بياسعد باسيلي .
وينظر عو اليينا في اسفاق وحسرة على « مناصلين آخر الزمن »
ولاد الكامب المنفيين !!

وافد كانت شخصيه سعد باسيلي محل حوار ومنامسة بيننا في
مناسبات مختلفه ، وكنا دائماً نقف حائرين أمامها . أنت لا تستطيع
الا أن تحذرم بكل الاكثار والاعزاز روح الفضال عنده واستعداده للتضحية بحياته
من أجل ما يؤمن به . لكنه يفوم بكل هذا البكتروننا ، على الرغم من
تكوينه الداخلى الانسانى .

ربما كانت في حياته تجربه عاطفيه فاشلة ؟
عذا ما كان يرجحه الدكتور فؤاد مرسى عندما كنا نناقش هذه المشكله
عند سعد باسيلي ، فهو لا يعترف بأى علاقه عاطفيه أو حسيه . وموقفه
من المراء يوصل الى أقصى درجات التخلف . وكان السؤال المطروح دائماً ،
كيف يستطيع انسان أن يجمع بين فكر سياسى تقدمى وبين رأى رجسى
في المرأة ؟ ولقد فشلت كل محاولتنا لمصرمة سر هذا الموقف ، ومازال هذا
السر ملكاً لصاحبه حتى الآن .

واعود بك يا حبيبتي الى اول زيارة لنا في الواحات الخارجية .
والدة مجدى فهمى وبدرية زوجة أخيه مصطفى ، وقتته اخت سعد
باسمى يخطط بهما الزملاء . كل زميل يريد أن يعرف أخبار أهله
وذويه ، وكانت الزائرات يمكن حصله مائدة من أخبار العائلات ، فهذه
خطابات ، وهذه طرود جذ، بها . هذه مشاكل مطلوب حلها كلمت والدة
مجدى فهمى بمنافستها مع أصحابها . تقول لمجدى :

– يا مجدى عاوزه ملان وفلان و ..

– ليه يا والدتى ؟

– وانت مالك .. عاوزه اتكلم معاهم .

– آيه يعنى يا أمى .. أسرار .

– آيوه أسرار .

وينادى مجدى فهمى على الزملاء المطلوبين ، وننحى الأم جانبنا بكل
زميل ويتهاهسان ، حتى كاد الثمار أن يبصرم . ويقول مجدى صاحكا ..
– وأنا يا أمى مش راح يجى على الدور ؟
– بكسر كله غلستانك ..

اليوم ، وبكره ، يومان بطولهما زيارة سجن . وكيف كان ذلك ؟ فى
السجون الأخرى تنتم الزيارة بطريقتين . الأولى يطلق عليها اسم
الزيارة العادية ، وهى تتم من خلال حائطين من الأسلاك يفصل بينهما
مقران على الأدل . يقف الزوار فى جانب ، والمسجون على الجانب الآخر .
وحين يفتح باب الزوار ، تنطلق الأصوات عالية وتختلط الى حد كنا
نعجز معه عن معرفة أى شىء . أزيك كويس ، سد حيلك ، مع السلامة ،
أربع كلمات لا يستطيع المسجون أو الزائر أن يلتفتها . والطريقة
الأخرى وهى ما يطلق عليها زيارة خاصة وهى عادة لا تزيد
عن نصف ساعة يجلس خلالها المسجون على كرسي والزوار على كراسى
أخرى فى حجرة الضابط النوبتجى وبحضور أحد السجانة . لكن هذه
الزيارة كانت شئنا غير عادى . فهى ليست فقط زيارة خاصة حدودها
لا تزيد عن نصف ساعة بين المسجون وأهله ، وإنما هى زيارة أى
فرد من اهلبنا لنا كلنا وعلى امتداد يومين كاملين . والواقع
أن الفضل يعود الى مافور السجن « ٥٠٠ » ، نلقده فوجى الرجل كما
فوجئنا بحضور الزائرات وهن يحملن إذن زيارة خاصة . وكان من
المستحيل أن تجرى هذه الزيارة الخاصة بالطريقة التقليدية ، فليس من
المعقول أن يقطن آلاف الأميال من أجل قضاء نصف ساعة فى غرفة
مغلقة فى قلب الصحراء ، وفى حراسة ضابط وسجان ! لقد أدرك الرجل
منذ أول لحظة استحالة أن تتم الزيارة بالطريقة التقليدية . ومنذ
للمدى سلم بذلك عندما تناقشنا معه ، ليس فقط نتيجة لاقتناعه

الشخصي ، وانما تسليها بالامر الواقع • فكل الزملاء - الذين لا يمكن حبسهم في خيام - قد خرجوا جميعا للزيارة التي بدأت بالفعل منذ أكثر من ساعة • وكان الحوار مع المأمور حول إقامة خيمة خارج الأسلاك الشائكة كي يجلس فيها الزوار ، وحول مدة الزيارة • وافق على المطلب الأول وشرع الزملاء في إقامة خيمة كبيرة تنتم فيها الزيارة • وبدأت المساومة على المطلب الثاني - مدة الزيارة - قال المأمور :

- ليست عندي أوامر بمدة الزيارة • •
- اذن من حقا تحديد مدتها • •
- التصريح بزيارة خاصة ولكنه عادى •
- وهل يعقل أن تكون مدة الزيارة نصف ساعة كما يجري فسيء السجن الأخرى •

غير معقول طبعاً • • ما رأيكم أن تستمر حتى الغروب ؟
• لكن الظن ان فنادر اللواحيات الا بعد غد •
• ينامون في الاستراحة •
• ولماذا لا ينامون في خيمة الزيارة • •
• مسفوية !
• أنت فادر على حملها • •
• وما الذي بدعوني الى ذلك ؟
• انسانيئك !
ونلاحظ دموعا خفيفة تجرى في مآنى عبنى الرجل الانسان ، يقول .
وابتسامة ودود تكسو وجهه .

- موافق بسرور •
 - نقلها مقما •
 - يضحك من قلبه ويقول :
 - انتم مفاوضن سطرار •
 - ونفعل كل سرور • بعد غروب شمس السوم نذهب الجميع الى خيامهم ، ولا يجري أى اتصال بالزوار عبر الأسلاك الشائكة اثناء الليل «تدريجيا» الصباح
 - موافقون •
 - وفي صباح الغد تجرى الزيارة ولكن بشكل أكثر نظاما •
 - موافقون •
 - يبقى بعد ذلك أن تقسموا بشرفكم أن لا ترسلوا معهم أى خطابات غير رسمية •
- ويستطرد :

(م - ١٢ رسالة)

ر أو حاجات من اللى انتو عارفينها .
وينتجى الزملاء المفوضون جانبنا وبتهماسون ، من المستحيل أن
نقسم ثم نحت بالقسم . الرجل معه حق ، فمن المؤكد أن رجال
البحاث ينتظرون رجوع الزوار وسوف يقومون بعمل اللازم .

– نقسم بشرفنا .

– وأنا واذق انكم رجال .

فقط لنا مطلب صغير ؟

– أرجو أن يكون كذلك .

– خطابات رسمية لاهالنا . . كالتى ترسل بالبريد .

– موافق – ولن اقرأها وسأترك ذلك لضمائركم .

ويكلف أحد الزملاء بمراجعة كل الخطابات التى سيكتبها الزملاء .
وعند غروب شمس اليوم الاول ، يطلب مأمور السجن مجدى مهمى وسعد
باسيلي والزملاء الذين اتفقوا معه على شروط الزيارة ليؤكدوها من جديد .
يقول مجدى مهمى محمد :

– نسيء هائل جدا . . بس مطلوب استثناء بسيط .

يقول المأمور وهو بضحك :

– تانى . . أبه هو الاستثناء ؟

– طبعا غير معقول أن الزوار يناموا . . والا احنا راح ننام . . والسامة
بيننا بضعة أمتار . ويفصلنا عنهم أسلاك شائكة . .

– طبعا من ممكن تنام معاهم يا مجدى . .

– بالطبع لا . . فقط نجلس داخل السجن ، وهم خارجة ، وننحدث
عبر الأسلاك الشائكة ، أو على الأقل نراهم ويرونا . .

ونفاجأ بقبول المأمور فبقول :

– موافق وبشروط .

– أن لا يجلس معى أنا وسعد واحد آخر .

– بالضبط . . .

ويتم تنفيذ الاتفاق بمنتهى الدقة . مجدى وسعد بفقرشان
بطانية على بعد ٥٠ مترا من الأسلاك الشائكة ، داخل السجن – ، والزائرات
يجلس داخل خيمتهن المفتوحة على بعد ٥٠ مترا فى الجهة الأخرى ،
خارج السجن . وعندد كبير من الزملاء يشكلون مجموعات صغيرة
منتشرة على أرض السجن ، البعض يتسامر ، والبعض الآخر ترتفع
أصواته بالفتن ، . . أى غناء . وبين الحين والحين تسمع أصواتا .

– يا مجدى ازلك يا ابنى .

– الله يسلمك يا أمى .

– مش علوز حاجة ؟

- سلامتك يا أمي •
نم يسود الصمت ويظل الحوار متصلا بالاشارات والضحكات
المتبادلة تم بكلمات متناثرة معبرة • حتى مطلع الفجر •
ومع أسعة الشمس الأولى يبدأ اليوم الثاني لتلك الذاكرة التاريخية •
أحكي لك عنها في الرسالة المقبلة يا حبيبتي •

١٣ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٣٠)

حبيبتى

ويبدأ اليوم الناسى للزيارة مع شروق الشمس ، ععد من الزملاء يحمل جرادل مملوءة بالمياه وهابون ويجرى بها نحو الزائرات كى يفتسان وعدد آخر يحمل « برادا » كبيراً للنسأى وأكوابا ويسكوييت للام والشقيقة وزوجة الاخ . بعدهما بتليل يفود مسئول الحياة العامة « صلاح مانسم » فرفه من الزملاء يحملون صوانى عليها ما لذ وطاب للمطار . الجميع يرنحدون احسن ما لديهم من ملابس وصلت اليهم فى طرود ، ذقونهم ناعمه ، وشعورهم مصصفة ، وبعضهم وضع كولونيا (٥٥٥) او بارفان ، وصلته مع طرود امس ابضا . كان لعمى يوسف مسئول المطبخ « من بين الزملاء الجدد الذين وصلوا الينا من سجن مصر . منذ حضوره قام بالعمل فى المطبخ وكان التنافس بينه وبين احمد خضر شعيدا .

و ذات يوم فحسى الزملاء بلعمى يوسف يعمل لهم « محسى » ففرروا انتخابه مسئولاً عن المطبخ :

يقول للزائرات :

— قول دممس عظيم .. ولا قول التابعى .

وتردد ام مجدى :

— تسلم أيجيك يا ابنى .. انت اللى عملته ؟

— وطمعية كمان .. مدهشة .

كانت الطعمية مفاجأة لكل الزملاء يقدمها لهم لعمى يوسف . انهم لا يرونها منذ سنوات وكثيرا ما دارت مناقشات مع لعمى يوسف حول امكانية صنعها لكنه كان دائما يقدمه بذلك لكن بعد « تذليل الصعوبات الاساسية » قال بفخر :

— انا قعدت امبارح طول الليل افكر ازاى اوفر الظروف المناسبة لعمل الطعمية . .

وبضحك مصطفى كمال — صبيه فى المطبخ .

— الذاتية والموضوعية كمان . .

ويتمتم زكى مراد .. ذاتبة موضوعية .. طعمية ..

ويصبح الزملاء . .

- هامل .. مولد فصيذة شعر حديدة لزكى مراد .
- نسمعها الليلة مقي ..
- فصيذة وتفتوت ما حد سموت .
- بعد ان تتناول الزائرات الاططار مع عدد من الزملاء بصيح مسئول
- « الحياء العامة » :
- يا لله يا زملا .. كل واحد على نفسه .. محدى وسعد بس اننى
- مستقنوا هنا مع اهلهم ..
- برمع سعد باسيلي يده طائفا الكلمة .. ويعطيه مسئول الحياء
- العامة الكلمة وهو يضحك :
- ايه يا سعد .. طلباتك .. عاوز حاجة ؟
- وبمنتهى الجدية يقول سعد :
- أنا عندي شغل اليوم .. عليه الدور فى غسل قروان الخيمة ..
- معلش ممكن زمبل آخر يقوم بعملك اليوم ..
- لسه بقى ؟
- لان عندك زيارة ..
- بحسم يرد :
- أنا لا اوافق على أى استقناء ..
- دى ظروف خاصة يا سعد ..
- ولو .. وأنا لا أقبل أن يقوم أحد غيرى بعملى ..
- ممكن يحصل تبادل .. اللى عليه الشغل بكرة يعمل النهاردة
- بدالك .. وانت تعمل بكرة ..
- وتدور مناقشة تستغرق أكثر من ١٥ دقيقة تقتنع بعدها سعد
- باستمراره فى الزيارة وتأجيل شغله الى الغد ، ولكن بعد أن تستترك
- الزائرات فى المنافسه ، وبعد ان استخدمت اخته « فتنه » كل ما تملك
- من أسلحة عاطفية ..
- ينصرف الزملاء الى أعمالهم ، ويخصص مسئول الحياء العامة ثلاثة
- زملاء لخدمة الزائرات وتقديم الشاي والقهوة والمطبات المصنوعة
- محليا كـ « صير المرتقال واللجون » ، من خيرات الزيارة أمسى ، ويعقد
- المعى بوس .. « مسئول لطايع » امتدانة .. « المساعده » لاحتهم على بذل
- كل جهود .. من أجل اعداد « راحة عذبة » ..
- عاورس نذهب للمحلات دول انفس بفسر .. بل طبيخ لا يعمل عن
- طبيخهم ..
- أهوه كله طبيخ بالمعى ..
- لا بقى .. طبيخ عن طبيخ يفرق ..
- الحكاية حكايه نفس ..

— وأبسه رأيكوى محشى ؟

— خطير . .

ويبدأ لى يوسف فى اصدار التعليمات لمساعديه :

— مش عاوز ولا حصوة واححدة فى الرز . . عيب . . بنفسل كويس
وبترك علتان بنسف فى الشمس . الكوسه دى كبيرة ، فزنها
تخبنة ، لازم تنفس كويس ، واللى مدها بذر كثير نرمه . ونأخذ
سوية بامية من بناءة بكرة . . نعمل طبقين علتان الزوار . . اما
اللحمة فسيبوها لى انا بقى . .

— راح تسلقها . .

— راح نسلق سوية . . ونحمر شوية .

— وحنعمل سلطة .

— يقوم **خليم طوسون** يجيب لنا سوية جرجير من مزرعتيه
الخاصة . . وكمات سوية طماطم وبصل أخضر . .

ويرد **خليم طوسون** :

— ده كل اللى فى المزرعة ما يجيش حزمطين جرجير وحزمطين بصل و٧/٨
كيلو طماطم . .

— كويس نعملهم سلطة للزوار . .

ويجى العمل مهمة ونشاط ، انهم رجال أغلبهم لم يفهم يعمل مثل هذه
الاعمال ، فمنهم الطبيب ، والمهندس ، واستاذ الجامعة ، والطالب ، وهم
مسجونون فى قلب الصحراء ، فى منطقة لم تعرف الخضرة من قبل ، وهم
يستضيفون ضيوفا أعزاء . وهذه الوليمة الفاخرة التى يمدون
لها ترمز الى معان عميقة . ان يطمئن الأهالى الى أننا فادرون على
مواصلة الحياة تحت أى ظروف من الظروف ، واننا معا ، بيدا واحدة ،
نتمعاون ونتكاتف من أجل أفضل حياة تستطيع عقولنا ان تخبر ظروفها ،
ونستطيع سواعدها ان تبنيها ، نحن بناء الحياة وصناعها ، سلاحنا
الكلمة وسبيلنا الديمقراطية ، وأداتنا الوحدة الوطنية . لن يقهرنا
أعداء الحياة مهما تنوعت أسلحتهم . لن نسمح لهم ان يقتالوا أرواحنا ،
أو يقتلوا حينما للحياة ، وسوف نحيا تحت أى ظرف من الظروف ، وفى
أى مكان يزوجون بنا فيه .

يحل موعد الغداء ، الزملاء لا يسمعون الدقات التى تناديهم لاستلام
طعامهم . عصفير بطنهم تترقق وتعلو أصواتها مع كل دقيقة تمر
ولا يسمعون فيها « دقات » الطعام .

— آية الحكاية ؟

— جننا . .

— فحين الأكل يا لى .

ويورد لامي يوسف يفضي :

- مَشْ عَيْبْ بَرْضَه ••
- أَيْسَه هُوَ الَّى عَيْبْ ؟ عَاوَزِين نَاكَل ••
- مَسْ بَرْضَه الضِّيُوفْ يَاكُلُوا الْاَوَّلْ ••
- مَعَاكْ حَقْ •• مَتَأَسِّفِينْ ••
- وَيَصْبِيحْ لَمَعِي يَوْسُفْ ••

— دی نقالیبد سعبنا یا عالم .. سعبنا المضیاف .

ان يقدم الضيف على أمل البيت شيء رائع ، احصى الغيم الكثيره
التي يتميز بها شعب مصر العظيم - عطاؤه لا ينضب ، يعطى للضيف
فيل ان يعطى لنفسه - يعطيه أغلى ما عنده وهو راح ، حتى وان
لم يكن يمتلك غيره - لكن ليس كل من يدخلون بيته ضيوفا ، هم
فى بعض الأحيان دخلاء ، وهو يملك حاسة لا تخطئ ، يميز بها
الضيوف عن الدخلاء ، الضيوف اصدفائه ، والدخلاء اعداؤه وهو
قادر على مزيق اقنعتهم مهما تنوعت أشكالها - ويتسابق الزملاء فى خدمة
الضيوف - هذا يحمل صينية عليها أطباق الأرز ، وآخر يحمل صينية
الكوسة ، وثالث البامبسة ورابع يحمل السلطة ، وخامس يحمل الفاكهة ،
وسادس يحمل اللحم الحمر ، وسابع يحمل الفم المسلووق والتشورية التي
هنا لسان الصصور .

— نصیب ام مجدی

— ایہ دہ کله . . دی ولیمہ . .

ويقدم مسئول الحياه العامة ، ينحني في احترام ، كما يفعل
المتر في المضائق الكبرى . .

— کله هن خبرکم یا ست ام مجدی •

• وقتسأل «فتنه» •

• وكل يوم نساكلوا كده • •

طبعاً • • طبعاً • •

• وقتهای «بحر سه» روجه مصطفیٰ سنجیق مجدی •

۱۳۹ کان کده آجي، اسخن معاڪو يقى.

* * * * *

— لا اذهلي معروف .. أحوس: مصطفى يزعل ..

• بیجی معاہدہ •

ابو. تقی. کملت ۱

بعد الغذاء ، باتسى حاملو جرادل المياه والصابون والفضول ، ويغسلون
انفسهم ، حتى يكون الشئ جاهزا امامهم .

ما سلام لو فنجان قهوه *

• • حاضر با ست ام مجدی

البن من بين الأصناف التي لا تصادر كلها مثل معجون الاسنان
والادوية الخاصة للاستعمال الشخصي ، ويقع مسئول الخباء العامة
فى « حبيب بىص » - من أين يأتى بالبن ؟ يصبح بأعلى صونه .

- مين عنده بن يا زملا ؟

- الضيوف عاوزين يشربوا قهوة ..

...

وددم « كبيبف » المهور المعروفين ، شريف خناته ، حليم طوسون ، ولیم
اسحق ، زكى مراد ، صلاح حافظ يتسابقون لعمل مهرة .

ويعانى مسئول الحياة العامة :

- يعنى المستخبي طلع .. من الصبح دا يخ على فنجان « قهوة » ..

- هو انت ضيف ؟

ويمضى اليوم بسرعة لم نعهدها فى السجن من قبل ، فرص الشمس
الأحمر يبدو بعيدا فى الأفق ، يرسل أسمته الأخضره ، الطلام نزحف
بسرعه يبدد ضوء الشمس ويعلن موعد الافتراق . ما أمسى لحظة
الافتراق ! قد يخفف أمل اللقاء مرة أخرى من آلام لحظة الافتراق .
أحيائنا يفنقون عنا ، ولا نملك تحديد موعد اللقاء مرة ثانية . حتى
هذا اللقاء الناذ لا نعرف له موعدا آخر . الحزن يزحف على الوجوه ،
والآلم يعتصر القلوب ، ونبضات تسمعها الآذان فى لحظه واحده
قبل الافتراق .

وفى قلب « اللحظة » تتبلور دموع بعض العيون ، وهؤلاء أسعد
حظا من أولئك الذين جفت عيونهم من الدموع . النوار انفسى انقياء
البشر . قلوبهم طاميرة مثل قلوب الأطفال ، واراداتهم أقوى من الصلب .
هم أسرى الكلمة الطيبة ، وشهداء سحق يؤمنون به . عيونهم
لا تعرف الدموع ، عندما يتحدون ويقاومون ، وتنهمر أمام موقف إنسانى
يهز عواطفهم ووجدانهم .

ما أبعد الفروق بين قبيلات وأحضان اللقاء بعد غيبه ، وبين
قبيلات وأحضان الافتراق الى زمن غير معلوم !

وتتحرك السيارة تحمل الذين أدخلوا البهجة فى مفوسفا خلال
ساعات مضت كالبرق . أيادينا ترتفع عالية ملوحة ، وفلوبنا
تسقط الى أقدامنا ، والدموع فى مآتى العيون تبدو فى ظلام الليل
كنجوم السماء . تنفيس السيارة عن أنظارتنا ، ونعود الى السجن . الصمت
بأف الجميع . دعوات العشاء الرتيبة تنادى الزملاء ، نذهب بتناقل الى
« المس » .. يبعث مسئول الحياة العامة جهدا كبيرا ليخرجنا من صمتنا ،
بمعلن أن العشاء اليوم مبه مالد وطاب ، تلو منافات الاعجاب لكن تحس
بفقدان حرارتها المعروفة .

يعلن مرة أخرى أن حفلة يوزع فيها الشاى والحلوى سوف تقام

بعد العشاء • بتقابل الخبر بالتصفيق والتهليل الخاليين من روح المرح
المهودة عند الزملاء •

بعد العشاء ، وخلال سرب الساي وبناول الحلوى يرتفع صوت
صلاح حافظ يغنى لام كلثوم ، ثم لعبد الوهاب ، وفاروق عبد السلام
يغنى منلوجات نسوكو ، واغنيات اسكندرانئية ، لكن الجميع ، الفنون
والستمعون معا ، في واد وما يحور في أعماقهم في واد آخر •

ما انبل الثوار ، في اللحظات التي يمتصر الالم قلوبهم ، يحرسون
على أن لا تنقل عدوى آلامهم الى زملائهم وعم يعرفون أنهم يتالمون
منلهم • تنتهي الحلة . ونمضي الى الخيام • نستلقي على الأسرة الخشبية •
لا ينفص لنا جفن • العيون مفتوحة ، واللسنة لا تتكلم ، عواء
الذئاب ونباح الكلاب يعكر هدوء الصحراء وسكونها ، لكن قلوبنا
أكبر من الصحراء ، ونفوسنا أكثر منها هدوءا ، لم نزل منهما كل
عواءات ونباحات أعداء الانسانية من البشر • وعم أسرس من كل
الحيوانات المفترسة •

فيل يزوغ الفجر بفيليل يهمس مجدى فهمي :

- ما نمتش ليه يا درش ؟

- سرحان •

- في ايه ؟

- في انتي سرحان فيه •

- نيدو في الأتق مؤثرات لمركة حاسمة ضد الاستعمار •

- تحطيم حلف بغداد ، وياندونج ، وصفة الأسلحة •

- لا يمكن أن يكون كل ذلك من باب التضليل •

- وقضية الديمقراطية •

- بكسبها الشعب من خلال المركة ضد الاستعمار •

- ما رانك في معال عبد الرحمن الشرقاوي ؟

- موافق عليه •

- واننا أيضا ؟

- اد بيدو مو فنة جدد •

- خير . اتصال بالخارج •

- مفادش الأمر من كل جوانبه

- هابل • • تصبح على خير •

وتشرق شمس يوم جديد من أيام النصف الثاني من يوليو عام ١٩٥٦ •
شبتنا ما غير عادي يجرى في احدى الخيام منذ الصباح • أنا ومجدي
فهيم وزكي مراد ومحمد شفيق نجلس في احدى الخيام وتطول الجلسة
في مناقشات حول المركة ضد الاستعمار التي تتجمع بواورها في

الاتقى . يجب أن يكون موقفنا واضح من السياسة الوطنية ، المعركة الوطنية ضد الاستعمار نطلب وحدة كل الصوف . الديمقراطية للسبب في الحركة ضد الاستعمار هي ضمان النصر . ونقف على كنانة بيان نحدد فيه موقفنا بوضوح ونوقع عليها كل الزملاء .

ونجتمع مرة أخرى بعد الغذاء ونوافق على البيان ويجمع كل الزملاء ، كي ينسلي عليهم البيان ويوقعون عليه . لم يكن مفاجئ لهم فقد كانوا يتوقعون هذا الموقف الجديد من الحكم الوطني ، بسدات المناقشات بينهم بعد المواقف الوطنية من حلف بغداد . وزادت حرارتها بعد مؤتمر باندونج ، ثم كانت صفقة الأسلحة تحولاً واضحاً في الموقف . لكن **مأمور السجن وضبطه** هم الذين فوجئوا بهذا الموقف ، لم يكن في تصوراتهم ، أن مسجونين يمكن أن يرسلوا لسجانيهم تأييداً ومساندة **وبلا أي شروط** . بتحمس **المأمور** لهذا الموقف الوطني ، يعلن أنه سيسافر بنفسه إلى القاهرة ويوصل هذا البيان إلى **رئاسة الجمهورية** وإلى مدير مصلحة السجون .

- والصحف والنقابات العمالية والمهنية ؟
- سأحصل على إذن من مصلحة السجون لإرسالها .
- ثم يستطرد :
- ومين عارف ممكن اجيب لكم معاييا خبر كويس .
- لالسبح بحري .
- ليه بقي ؟ . موقف وطني واضح . ومساندة وتأييد للحكومة .
- نامل هذا . .

ويصبح **المأمور بخمسة** ؟

وبأسرع ما يمكن نكانكم من هنا ، برة . في الشارع ، ده شئ منطقي .

وأعلق بابتسامة :

ربما يكون لهم منطق آخر ؟

ويورد المأمور :

- عهدي بك انك لست متشائماً .
- في هذه المسألة بالذات متشائمن . .
- ويوضح أحد الزملاء . .
- أصل له ظروفه الخاصة جداً .
- ليست هي السبب المباشر ، وأنا انظر إليها بموضوعية .
- ويبدو على المأمور أنه لا يفهم الحكاية . ويتولى زميل شرحها له .
- أصله كان المفروض يفرج عنه بعد الثورة مباشرة .
- ليه ؟

- لأنه القى القبض عليه قبل النورة بسبعة أيام .
ونلمح علامات الذمينة والانفاس على وجه المأمور . ونحس بمسور
حماسه في نبرات صوته وهو يقول :
- أظن الموقف مختلف دلوقت .
يسافر المأمور الى القاهرة يحمل موقفنا الجديد الى الحكام ، ويعود
في صباح يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ . ومعه أخبارا سارة لنا ، وكان
يوما مشهودا أحكى لك تفاصيل أحداثه في الرسالة المقبلة باحبيتي .

١٦ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة رقم (٣١)

حبیبتی

قضینا الایام العشره بعد سفر المأمور الی القاهرة فی ١٦ بولیو ١٩٥٦ وعودته می ٢٦ بولیو ١٩٥٦ ، فی مناقشات واسعة مع الإخوان المسلمين حول ما جاء فی مجلة « الوطن » وهی مجلة أسبوعية خصصناها لمناقشتهم علی صفحات المجلة . وكنا نصدر جريدة يومية من صفحاتی كراس بها آخر الاخبار وتعلق سريع . كما كنا نصدر مجلة « الفکر » وهی مجلة ثقافية تصدر كل سهر ، وكانت مقالاتها تعبر عن رأى اصحابها وكنا نناقش كل ما ينشر بها فی جلساتنا معا او مع الاخوان المسلمين الذین تكونت معهم علاقات قوية ، بدأت فی ليمان طره انسانسة ، وانتهت سياسية فی « جناح » ثم فی « الحاريق » . منهم علی سبیل المثال البكباسی فؤاد جاسر ، الصاغ جمال ربيع ، الصاغ حسین حموده ، سعد الرئيس وغيرهم ولم توفد الاخلاعات مع الاخوان الآخرين دون استمرار المناقشة معهم أذكر منهم صالح ابو رقب ، ومحمد ابو النصر ، ومهدی عاكف وحسن دوح وغيرهم . من بین هذه المناقشات اختار مناقسه دینی وبن البكباسی أركان حرب فؤاد جاسر ، وهو من « الاخوان المُریدین » . ذات يوم من تلك الایام العشره فی بولیو ١٩٥٦ ، وبعد أقل من ساعة من صدور مجله « الوطن » جاءنی البكباسی فؤاد جاسر وهو يحمل المجلة وكنت ساعتها « نوبتی » الخيمة واقوم بنسبل اوانی الاكل ، واملأ مياه السرب ، وأرشي الخبث الملقوف حولها بالماء كلما جفت ، وبعد وضعها فی مكان ظلیل ، كى تحتفظ ببرودتها . ثم أرشي المياه امام الخيمه كلما جفت ، وأروی الزرع امام الخيمه ، هذا العمل كان يستغرق اليوم بطوله ، لكن كان يمكن اختلاس بعض الوقت بین الحین والآخر للقراءة ، او لمناقشة سريعة . وحين طلب منی فؤاد جاسر أن نجري مناقشة فی خيمته علی فنجان شای قلت له ضاحكا :

- ما انت شایف یا فؤاد انا مشغول .
- وبعدين ضروري أناقشك تلوقت .
- طيب اكمل غسيل القروان ده ونمقد هنا .
- عندك شای .
- ما عندیش طمعا - لكن نطلب من مسئول الحیاة العامة .

نظام الحياة العامة بصادق الشاي والسكر ، ولكنه يسمح بحالات استثنائية مثل وجود ضيوف أو حافز مادي لتسجيع الزملاء للقيام بأعمال خاصة .. الخ .

وتبدأ المناقشة في ظل الخيمة حتى يمكن أن أرى خيس جرادل مياه الشرب حين نجف مآرض عليها الماء وأملأ التي تفرغ منها . وبعد فترة ارتفعت حرارة المناقشة حول قضية الديمقراطية ، بقول مؤاد : - قضية الديمقراطية ، وتشمل حربة تكوين الأحزاب ، والحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين شرط لهذا التأييد .

- ليست هناك شروط في السياسة يا مؤاد . .

- أراي بقى تفضل في السجن ونؤيد الحكم الوطنى . .

- الافراج عنا ليس شرطا للتأييد . .

- ولكننا فصلة وطنية مع الحكومة الوطنية في معركتها ضد الاستعمار .

- ولكنك في نظرها لست كذلك .

- وهل تتغير وجهة نظرها حين أعلن تأييدها . .

- موافقك الوطنية الواضحة المستمرة ، والمطلبة للشعب ، تجبرها على تغيير موقفها منك ؟

- من جانبي موافق . . ماذا نقترح ؟

- أقترح أن تحرى منافسة مع أكبر عدد من زملاك وتكتب بياناً للحكومة والصحف والنقابات العمالية والمهنية .

- مهمة صعبة . . سأبدأ بنفسى .

- لا يا مؤاد والا مسر موقفك نفسيرا خاطئا . .

- جمال عبدالناصر يعرفنى شخصيا . . وسوف بنى مى موقفى .

- حتى ولو حجب ذلك وهو احتمال ضئيل جدا . . وسوف يكون مادة لى تفسير خاطئ .

- وماذا بهمنى ما دمت مقتنعا بموقفى .

- أظن أن دورك الوطنى لا ينفك عند خروجك من السجن .

.. فى الخارج

- مع من ؟

- مع الحكومة .

- أيها أكثر ضمانا - حتى من الناحية الشخصية - أن تعمل وحدك أو تعمل مع مجموعة من الاخوان المسلمين .

- لن أجد منهم من يقتنع .

- هل حاولت وفشلت ؟

- لا . ولكنى أعرف مقعما .

- الناس بنفكير با فؤاد ٠٠ انت نفسك تغيرت .
- موافق ٠٠ ولكن بشرط .
- واضحك قائلاً :
- أنت هاوى سروط ٠٠ أمه سروطك .
- ان تشترك معي في المناقشة .
- موافق .

يبتسم فؤاد جاسر ويقول

- وادى سيجارة بيلمونت بحالها ٠٠ تشربها لوحك . اشمل
السيجارة ، وبتسمل فؤاد غيرها ، ونصمت حتى لا تشغلنا المناقشة
عن الشعور بلذة ندخين سيجارة كامله .

كان عدد من الزملاء يرقبوننا من بعيد لا يستطيعون الاقتراب منا
أثناء المناقشة وتدخين ١/٤ سيجارة مشاركة . وما أن لحوا المسيجارتين
مشتعلتين حتى هجموا علينا دون استئذان . أقول ضاحكاً :

- يا زملا احنا مشغولين .
- يعنى ٠٠ فتره اسدراحة .
- نشترك معكم في التدخين .

ويخرج فؤاد جاسر عليه سجايره البلمونت الصغيرة ، ويوزع الخمسة
المتبقين فيها على الزملاء ، بعد أن يأخذ أحد الزملاء سيجارة يقول لى :

- هات نفس بقى .
- يا اخي ما معاك سيجاره بحالها .
- نشربها بعد العشاء ٠٠ لوحدا ٠٠
- والله فكرة ٠٠ خد ٣ أنفلس يا عم .

فقات ساعة الغذاء المتقادة تنادى علينا . يهم البكباشى فسؤاد
جاسر بالانصراف ، يسرع الينا مسئول الحياة العامة ويقول لى
بغضب :

- ايه بقى ، يمشى في وقت الغذاء ٠٠
- والله فكرت ٠٠ لكن ترددت .

- ابعث حد يقول لى ٠٠ على العموم أنا عامل حساب الاستاذ
فسؤاد .

واحتقاراً بضيفنا يجلس معنا مسئول الحياة العامة . واتنأه
تناولنا الغذاء أهمس في أنفسه :

- ما تنمناش ٠٠ كام سيجارة كده نشربها مع الضيف ٠٠
- يا زميل أنا عامل حسابي .

وبعد الغذاء تستحل ٣ سجاير ويهجم علينا بعض الزملاء « ليرحبوا »
بالضيف ، ومنعاً لاجراجه ، يتصرف مسئول الحياة العامة فيوزع على

كل ثلاث زملاء سبجارة • ويقترح مؤاد أن يذهب لاحضار علبة سجابر
من خيمته • ويرفض الزملاء ويملقون تعليقات طريفة :

– سفقوا بفي الملكية الخاصة • • مفيدة !

– عملب لنسا آبيه الملكية العامة !

ويضحك مؤاد جاسر ، قائلًا :

– آيه الحكاية • • باين علينا راح فتبادل المواضع •

وينصرف على موعد آخر بعد صلاة المغرب ، حيث التقى معه مرة أخرى
ومعه مشروع بيان تأييد الحكومة من مواقفها الوطنية كتبه هو
والصاغ جمال ربيع والصاغ حسين حموده ، وسوف يناقشونه مع أكثر
عدد من الاخوان للتوقيع عليه وإرساله • أقول لمؤاد جاسر :

– سفت ازاي يا مؤاد ، الناس تقف بالموقف الوطني السليم • •

– وده راح يلعب على مسئولية كبيرة •

– وانت جدير بها •

– تنسجبعك بزيدنى ثقة بنفسى • •

وبعد العشاء كنت على موعد مع الأستاذ صالح أبو رقيق • علقنا
قديمة بدأت في ليمان طوره انسانية ثم سياسية • جمعتنا معارضة
السلطة من خلال قضية الديمقراطية والحريات السياسية • كان
يؤكد حقنا في مباشرة نسلطانا السياسي بحرية • وكنت أترك في
هذه الباكدا ، غير أننا كنا ننهي دائما الى أننا متفقون على الاقل من
المرحلة الراهنة ، بعدها تدور المعركة ، وكنت أعلق ضاحكا : فقط
لا تنسوا أن الدين لله والوطن للجميع • في هذا الاجتماع بدى لى
غاضبا ووصف ما قرأه في مجلة « الوطن » بأنه ارتداد عن الموقف الصحيح •
– وما هو الموقف الصحيح ؟

– الغاء فرار حل الاخوان المسلمين ، والافراج عن المسجونين منهم

فسورا •

– بما فيها حرية تكوين الأحزاب السياسية والافراج عنا أيضا ؟

– طبعا • •

– وحفنا في مشروعية نشاطنا السياسي • •

– هذا ما تملكه الحكومة •

– ليس هذا ملكا لأحد • • الحق •

– ومن الذى يعطيه • • ؟

– الحقوق لا تعطى وإنما تؤخذ • •

– كيف ؟

– الشعب بواسطة أدواته ، جبهة وطنية تضم مختلف القسوى
الوطنية ، المثلة في أحزابها السياسية ، ووفق برنامج وطنى محدد
هو القادر على أخذ حقوقه •

- من خلال اسقاط الحكومة ؟
- الحكم الوطنى داخل هذا التحالف الوطنى .
- هذا ما نختلف عليه . .
- وبستطرد . .
- أعجب لكم . قلتم بالأمس انها فاشية ، وتقولون اليوم انها
- حكم وطنى . . كيف هذا ؟**
- المواف ليست ثابتة . . الناس تتغير .
- من الذى تغير . . انتم ام هم ؟
- ربما كنا مخطئين فى الحكم عليهم .
- وبماذا تفسر موقفهم من الحريات ؟
- **تناقض لا شك . .** ولا بد من حله .
- شعار الاسقاط هو طريق حل هذا التناقض .
- وانما التحالف الوطنى معهم هو الحل الوحيد .
- أعجب لكم . . ربما كنتم خباليين . . وربما كان ورا، موقفكم هذا
- شيئا آخر .**
- لا هذا ولا ذاك . . بل هو موقف موضوعى .
- لكنه لن يؤدى الى الافراج عنكم . .
- ويكمل :**
- على الأمل فى المدى القريب . .
- نعرف هذا ولا ننتظره لسنوات قادمة . فالمركبة طويلة صعبة ومعقدة .
- ونفترق على خلاف . لكن نظل أصدقاء ، وما زلنا حتى الآن .
- وفى كل مرة نلتقى فيها حتى بعد خروجنا من السجن يمزح معى
- ويقول :**
- أنت لازم تكون جندى من جنود الاخوان ، وأرد عليه ، كلنا جنود
- لمصر ، فلننتظم فى جيش واحد .**
- وأعود الى الخيمة ويوصلنى الاستاذ صالح ابو رقيق الى منتصف
- الطريق ويقول ضاحكا :**
- الحدود هنا . . مع السلامة .
- ليس بين الوطنيين حدود .
- اذن انضموا البنا . .
- ربما كان التحالف الوطنى افضل .
- لكنه لا يلغى الحدود . .
- نعم لا يلغىها . . وانما يضعفها .
- ولماذا لا تلغونها بضربة واحدة . .
- منطلق الحياة لا يسمح .

يربعت على كفتى فى ود وتفترق على موعد آخر قريب .
 فى الخيمة وجت الزملاء ينتظرون عودتى لمناقشة ما تم خلال ماتينته
 القابلتين . وقررنا الاستمرار فى اجراء مناقشات مع الاخوان
 المسلمين بجناحيهما مع التركيز على الاخوان « المؤيدين » . وأن تصدر
 « مجلة الوطن » عددا خاصا ، ينشر به البيان الذى كتبه « الاخوان
 المؤيدون » . وعمل تحليل سياسى لوقف الحكم الوطنى ومن خلاله
 تناقش الحجج التى يسوقها « الاخوان المعارضون » تبريرا لموقفهم
 المعارض للحكم الوطنى . وما أن نعلن هذه القرارات للزملاء حتى
 يصيح الفنان سعيد عبد الوهاب وهو المسئول عن توضيب ورسم
 صفحات المجلة التى توزع أربعة أعداد !

- وإن شاء الله بقى المصد ده يصدر امتى ؟
- كلك نظريا سعيد الصبح طبعما . .
- وفيين المواد ؟
- حالا تجهز . .
- والحوافز ؟
- المعنية زى ما انت علوز .
- لا يا سيدى . . شيعت حوافز معنوية .
- والمادية علبة سجابر هوليدو « لارج » واربعة شاي .
- ويصيح صلاح هاشم « مسئول الحياة العامة » :
- واجيب ده كله مزين . .
- اتصرف يا ابو الصلح . .
- مفيش سجابر الا للتوزيع يومين على الزملاء . .
- ربنا يرزق بعد يومين . .
- لا يا عم مش موافق .
- ابو الصلح . . لا تكن حرفيا ضيق الامتق . .
- انا مش مسئول . .
- واتقول له فى صوت له نبرة خاصة يعرفها :
- وبمعين . . يا ابو الصلح !
- طيب . . طيب . . أدى علبة السجابر . . وأدى السكر والشاي . .
- وأنا بقى رايح لنسام
- ويقول فاروق عبد السلام :
- وأنا كمان أنام شوية علشان أقدر على الأشغال الشاقة دى .
- يصعب مجدى فهمى ورقا وقلم ، ليكتب ما كلف به . واجلس الى
- جانبه اكتب أنا الآخر . وعند منتصف الليل امز فاروق عبد السلام
- كى يستيقظ لنسمع اليه بمواد للمعد الخاص من مجلة « الوطن » . ومع

شروق شمس اليوم التالي يعيد الينا المواد منسوخة فى نسختين :

- مايل يا فاروق .. امتى الباقى ؟

- قبل الغدا يكونوا جاهزين .

- الجانب الايجابى الحرفى فيك عظيم ..

- بس نظير اجر ..

- مفهوم ..

ويمصيح مسئول الحية الملية :

- لا .. مش ممكن .. مفيش سجاير ..

- وبعدين ! ..

- طيب .. طيب .. علية صغيرة آهى ..

ويبتسم فاروق ويقول :

- لكن انا عندى « نوبتجية » اليوم ..

ويتقدم الزميل سعد باسيلي متطوعا للقيام بالنوبتجية بدلا من

فاروق .

وتعضى الايام سريعة . فى مناقشات مع الاخوان المسلمين ، وفى

صدور اعداد خاصة من مجلة « الوطن » وجريدة « الالباء » التى

تحمل آخر الاخبار والتعليقات المحلية والعالمية ، حتى يحل يوم

٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، وتتلاحق الاخبار والاحداث والمناقشات بشكل

مثير ، احكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

١٧ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٣٢)

حبیبی

كما قلت لك في رسالتي السابقة كان يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يحصل لنا مع المأمور الذي وصل من القاهرة في ذلك اليوم أنباء مسارة . قال لنا وعلى وجهه ابتسامة عريضة :

- مش قلت لكم .. الافراج عنكم أقرب مما تتصورون .
- هل هناك عسود ؟

- لم اسمع وعودا ولكن الجو المم في المصلحة ، والمباحث العامة ، في صالحكم تماما . لقد وافقوا على كل مطالبكم وأكثر منها . الكتب والصحف والزيارة والخطابات والطرود وإقامة كائنين هنا وسوف تصل غدا ٣ زيارات فاستمروا . وبالنسبة للطعام فقد اتفقت مع متهمد في اسيوط على الخضار واللحمة بشرط أن تصل طازة بطازة . . . واحضرت معي ثلاثة كبيرة . . . و . . .

ويقول أحد الزملاء ضاحكا :

- دي الحبسة أحلوت قوى . .

ويعلق آخر :

- دي تبقى بشائر حبس طويلة مش افراج قريب . .

ويعلق المأمور :

- أنا مش فاهم ليه التشاؤم ؟

- أصل الافراج لا يحتاج سوى لقرار . .

- وكل قرار له مقتضات .

- المقتضات ضروري تكون سياسية .

ويرد المأمور :

- زى أيه مثلا ؟

- رأى الحكومة في البيان اللي أرسلناه .

ويبتسم المأمور ، ويقول . .

- وإذا جيت لكم رأى رئيس الجمهورية .

ويخرج من جيبه برفقية من رئاسة الجمهورية موجهة الى مأمور سجن « جناح » بالواحات لتوجيهه الشكر الى كل الزملاء الذين وقفوا على البيسان .

ويمصرى الخبر بسرعة بين الزملاء . موجة من التفاضل تنتشر بينهم -
الافراج القريب مؤكد ، مسألة منطقية . الحكم الوطنى يحتاج
الى مساندة من كل الوطنيين فى معركته القادمة ضد الاستعمار . تجارب
الثورات المعاصرة تؤكد ضرورة الجبهة الوطنية للانتصار على الاستعمار .
والخلافات الفكرية لا تشكل عائقا فى طريق الجبهة الوطنية .

وأضع يدى على قلبى ، ربما كان كل هذا صحيحا من الناحية النظرية .
ولكن النظرية سىء ، والتطبيق شئ آخر . وفى طريقى الى **مجدى فهمى**
أراه قادما يبحث عني ، يجتسم ابتسامته المبهودة :

— محتاجين لجلسة سريعة . .

نجلس بعيدا وسط الصحراء لنناقش الموقف .

يقول مجدى :

— من البداية ، وأيا كان تحليلنا للموقف يجب أن نوقف بحسم هذه
الموجة من التفاضل .

— تمام . . والافضل أن تؤخذ الأمور بخذر حرصا على منويات
الزملاء .

ونجد صلاح هاشم على رأسنا ومعه عدد من الزملاء . . يقول :

— أى خدمة . . سجاير . . شاي . . قهوة ؟

— وأيه المناسبة يا أبو صلاح ؟

— انتو بروضه بتناقشوا ومحتاجين تعملوا دماغكم . .

— ما أحنأ طول عمرنا بتناقس . . وأنت عمرك ما عرضت خدماتك
بالشكل ده .

— ما هو مناقشة عن مناقشة تفرق !

— إذن مات ما عندك . . وورينا عرض اكتافك .

ويعطينا غلبة سجاير مولود « لارج » . ويوضح أمامنا ترمس مملوء
بالشاي . ثم يقول :

— وبعد شوية أعمل لكم قهوة . .

— أيه الكرم المفاجئ ده ؟

— بس شئوا حيلكوا كده واعملوا لنا تحليل يطلعنا **أفواج** .

لم أسمع يوما بفداحة المسئولية كما شمرت بها فى ذلك اليوم ،
قبل السجن وخلال السنوات الأربع الماضية فيه . ربما كانت هذه أول
تجربة يواجهها **مسجونون سياسيون** يقفون الى جانب السلطة ،
يؤيدونها ويساندونها ، دون أن يفجر عنهم . وربما كانت هذه أول مرة
تتلقى سلطة وطنية تأييدا أو مساندة من أشد معارضيهما حتى
الأمس القريب . هل يفهم الحكماء موقفنا الحقيقي الموضوعى منهم ؟
وصل يتسع ادراك الزملاء لاحتمال بقائهم فى السجن ، مع استمرار تأييدهم

الحكم الوطنى ما دام هذا هو الموقف السليم ، فى كل الأحوال
يجب وقف هذه الموجة من التفاؤل ، كيف ؟

ويقول **مجدى فهمى** : من خلال اعادة قراءة وشرح بعض الكتب
النظرية ، وتاكيد عدد من مفوماتها . الطبيعة المزدوجة للبورجوازية
الوطنية ، تجربة الثورة الصينية ، قضية الديمقراطية كما تفهمها
وتمارسها الطبقات المختلفة . دور الطبقة العاملة فى الثورة الوطنية
وشروط قيادتها للثورة . .

وفى مساء نفس اليوم بعد محاضرة القامه **مجدى فهمى** عن تجربة
الثورة الصينية ، وبعد مناقشات استمرت أكثر من ساعة ، جاء من
يقول : **المأمور جاب راديو كبير** علشان نسمع فيه خطاب **جمال عبدالناصر** .
ونجلس على البطاطين فى قلب الصحراء لنسمع من الميكروفون صوت
المذيع يعلن وصول **جمال عبد الناصر** . ونسمع مِثاقات عالية وتصفيق
حاد ثم يسود الصمت حين يبدأ **جمال خطابه** . وحين أعلن **جمال**
لتأميم قناة السويس ، امتزج هدير تصفيق الجماهير فى ميدان المنشية
بالاسكندرية ، مع هدير تصفيقنا ، نشارك الملايين فى كل مكان
فى مصر والعالم العربى وكل القوى التقدمية فى العالم .

وكانت هذه أول مرة تشهد فيها صحراء الواحات الخارجة متافا
يشق عنان سمانها بحياة **ناصر** وثورة ٢٣ يوليو . وبعد الخطاب
انقطعت جموعنا مع جموع المؤيدين من الاخوان المسلمين فى مظاهرة صاحبة
ظلت تجوب المسكر أكثر من نصف ساعة . وبلغ تأثير المأمور والضباط
والجنود درجة كبيرة جعلتهم ينضمون إلينا ويهتفون معنا ، ثم يعاقبونا
فى ود وإنسانية . وبعد المظاهرة عقدنا اجتماعا عاما حضره كل من
فى السجن من مسجونين عاديين وجنود وضباط والمأمور والاقربان
المؤدبين . ألقى فيه الكلمات المناسبة ، والسعر . الساعر فؤاد حداد
انسحب بهدوء بعد أن سمع **جمال** وهو يعلن قرار التأميم ومكث فى خيمته
ليكتب قصيدة .

يا حمام البر سقف ، طير وهوف ، على كتف الحر وقف ، والقط الغله . .
وقصيدة أخرى كتبها **صلاح حافظ** .

بكره النور فى بلادنا ملالى لما نقيم السد العالى .
قصائد كتبت أثناء خطاب **ناصر** التاريخى ، وأخرى خلال احتمالنا .
فى ساعات قليلة ولدت قصائد فى قلب الصحراء انشدتها مسجونون محكوم
عليهم بالاشغال الشاقة فى تلك الصحراء ، ثم أنشدتها مصر كلها
ومعها كل انظار الأمة العربية .

كان استقبالنا لتأميم القناة يفوق فى إيجابيته كل القوى
الوطنية الأخرى . فمنذ الأربعينات وهذا الهدف واحد من أهداف

برنامجنا • وخلال معركة الكفاح المسلح في القناة ضد قوات الاحتلال
البريطانية ، كان تأميم القناة في مقدمة المطالب التي طالبنا بها حكومة
الوقد.

كانت كل كلمات الزملاء تبرز أهمية هذا القرار ، وتضع احتمالات
معركة ضارية ضد الاستعمار الذي سيلجأ الى شتى المؤامرات لضرب الثورة
الوطنية ، حتى قد نصل مؤامره الى الفوز المسلح • وانه لا سبيل الى
تحطيم مؤامرات الاستعمار بكل أسكالاها الا بتعبئة الشعب واطلاق حرياته
السياسية والافراج عن كل المسجونين الوطنيين • وتضمنت البرقية التي
أرسلناها الى الرئيس جمال عبد الناصر في نفس الليلة هذه المعاني : لقد
تحمس المأمور حين قرأ تلك للبرقية وركب عربته على الفور واتجه الى
الحافلة كي يرسلها باللاسلكي ، قال وهو يركب عربته التي كنا نحيط
بها من كل جانب :

- اظن بقي لا مجال للتشاؤم

- وهل نهوى التشاؤم ؟

- نحن أكثر الناس تفاؤلا • • ولكن :

ونسمع نبرات صوت المأمور الوفودة :

- كلها يومين واجب لكم احسن خبر •

موجة التفاؤل تصعد بسرعة عند الزملاء • لا نستطيع أن نقف في
وجهها ، وفي نفس الوقت يجب أن نسير معها • الموقف هو أن نهيب
انفسنا لاحسن الاحتمالات ، ولأسوأها في نفس الوقت • الأمر المؤكد
أن معركة ضد الاستعمار قد بدأت بعد التأميم • والانتصار في هذه
المعركة يتوقف بالدرجة الاولى على قيادة المعركة • فهل تدرك هذه القيادة
كل أبعاد المعركة وهل تفي ضرورتها • وما تفرضه من اطلاق الحريات
السياسية للشعب ومنظماته وهيئاته الوطنية • وقيام جبهة وطنية
والافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ؟ انها حقاً قيادة وطنية ،
ولكنها بورجوازية ذات طبيعة مزدوجة • الموقف اذن يفرض حملة تعبئة
سياسية وفكرية • محاضرات يومية ، سياسية وفكرية ، والنشرة
الداخلية « بلوعي » تركز على الدروس المستخلصة من تجارب الثورات الوطنية
الديمقراطية المعاصرة ، وعلى التحليل السياسي اليومي لما يرد اليها
من اخبار في الصحف والراديو • كان الزملاء يعنون بقولهم القنولات
النظرية ، لكن عواطفهم معلقة بالآمل المستحيل • وتنهال خطابات
الامالي تبشرنا بالافراج القريب جدا ، بعد ان يلون عنق أي كلمة أو
تصريح لمسئول • ولم يكن هذا غريباً منهم فالحق كل الحق معهم حين
يتعلقون بقشقه كالفريق ، ولكن الغريب حقاً أن تصلنا تحليلات سياسية
لزملائنا في الخارج تتوقع الافراج عنا بين يوم وآخر • أكثر من ذلك ،

يصلنا مقال نظري بعنوان « نحن حزب في السلطة » ! ويدلل على ذلك بأن معظم ما وضعناه في البرنامج قد تحقق ، وبالتالي فإن القيادة السياسية قد أصبحت له !

وأصبح وضعنا شافيا حين وصلنا هذا التقرير ، مثل هذا الكلام لا نوافق عليه من الناحية النظرية . وهذه التحليلات السياسية المتفائلة على غير أساس ، نرفضها ، فما العمل ؟ موجه التفاؤل سوف تصل الى قمتها لو عرف الزملاء ما جاء بها ، فمن البديهي أن يكون الزملاء في الخارج هم الذين على صواب لأسباب مختلفة ، ليس فقط بحكم وضعهم ، وإنما أيضا لأنهم أقرب الى الواقع . بل المفروض أنهم جزء منه . كان من الأفضل أن لا يرسل لنا زملاء الخارج هذه التحليلات والمقولات النظرية على الأقل من باب الحرص على معنويات زملائهم المسجونين إذا لم يتحقق الافراج عنهم . لقد وصلوا الى يقين بحقيقة الافراج عنا ، هذا ما تقوله تحليلاتهم . وهو خطأ نظري ومنهجي في نفس الوقت . ان التزامنا ليس التزاما اعمى وإنما هو التزام واعى . والظروف لاتسمح بمناقشتهم وامكان تعديل رأيهم في نفس الوقت تفرض علينا مسئوليتنا ازاء الزملاء المسجونين أول ما تفرض الحرص على معنوياتهم بعدم ترميضهم لى هزة نفسية . ورأينا أن نكتب الى الزملاء في الخارج وجهة نظرنا في هذه التحليلات السياسية والمقولات النظرية ، ومررنا اعلانها على زملائنا ، في نفس الوقت الذي تعلن فيه تحليلاتهم . وتجري الأيام الباقية من يوليو ، وأغسطس ، وسبتمبر ، وثمانية وعشرين يوما من أكتوبر ١٩٥٦ ، وموجة التفاؤل بين الزملاء بين مد وجزر . خطابات الأمل ترفع الموجة أحيانا ، وأحيانا أخرى تهبط بها . وتحليلات زملائنا في الخارج كانت تتجاذبها أيضا موجة التفاؤل في مدحها وجزرها . كانت كل الدلائل تشير الى مؤامرة كبرى يدبرها الاستعمار ضد الثورة . ولم تكن مواقف القيادة السياسية تدل على ادراكها الكامل بأبعاد هذه المؤامرة . لقد ركزت كل ثقلها على العمل السياسي الدبلوماسي الخارجي في الهيئات الدولية . ولم تهتم بأعداد الشعب سياسيا وعسكريا للمعركة ، وبالتالي لم تكن قضية الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين في جدول الأول . وكان من الطبيعي أن نفل بين الزملاء نفخة الحديث عن الافراج ، وأن نهبط موجة التفاؤل الى أدنى مستوى . وبرزت مشكلة خطيرة . مسئولينا كسياسيين وطبيين تفرض علينا تأييد ومساندة المواقف الوطنية للسلطة في مواجهة المؤامرات الاستعمارية ، والتحذير من اشكالها المتعددة . وفي كل بيان أو برقية كنا نضع مطلب الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ، حتى تحول الى اكلشييه تتناوله السنة بعض الزملاء بالسخرية ! وفي نفس الوقت تفرض علينا

مسئوليتنا ازاء الزملاء تفسير سياسى ونظرى لاستمرار وجودهم فى السجن ، ان تسجن لانك تعارض النظام شئ مفهوم ومقبول . ولكن ان تسجن وانك تؤيد وتساند هذا النظام مسألة لا تقبلها الا اذا كنت نملك قدرة نظرية كبيرة ورؤية سياسية واضحة مستمدة منها . ولقد اثبتت التجربة صحة موقفنا الفكرى والسياسى وظل الزملاء صامدين متماسكين . غير ان موقف الاخوان المسلمين ، المؤيدين ، كان ضعيفا ، فبعد ان كان عددهم يزداد ، اخذ يضيق ، فتركهم عدد كبير وعادوا الى الاخوان المسلمين « المعارضين » . وبعد ان كان « المعارضون » والمؤيدون يعيشون معا اصر المعارضون على عزل المؤيدين فى خيام خاصة . ومع الساعات الاولى لصباح يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ سمعنا خبر العدوان الثلاثى على مصر ، واشتعلت مشاعرنا وجرت أحداث احكى لك تفاصيلها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتي

١٨ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

ملحوظات لابد منها .. وسؤال .

الملاحظة الاولى : يوافق اليوم - ١٨ يوليو ١٩٧٧ - الذكرى الخامسة والعشرين للقبض على ١٨ يوليو ١٩٥٢ .

الملاحظة الثانية : بعد اربعة ايام من اعتقالى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبقيت فى السجن حتى ٤ ابريل ١٩٦٤ .

الملاحظة الثالثة : بعد اربعة أعوام وأربعة ايام قضيتها فى السجن صدر قرار تأميم قناة السويس .

الملاحظة الرابعة : تستعد الصحف والاذاعة والتلفزيون للاحتفال باليوبيل الفضى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

السؤال : كم كان عمرك يا حبيبتي يوم صدر قرار تأميم القناة . وهل كان جيلك يعرف عن وجودنا وراء الاسوار ؟

الرسالة رقم (٣٣)

حیاتی

في مساء يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، كنسا مثل بعض أبناء البيت الذين يتقدمهم أبناء آخرين من نفس البيت حتى لا يقوموا بالمصوص الذين اقتحموه لسرقته والاعتداء على حرمانه ! لصلحة من يشلون مقاومتنا لهؤلاء المصوص ؟

للصوصى والسفاحون يسرقون ويقتلون كل أبناء البيت وهم لا يتعاونون الا مع أولئك الذين يخونون حرمة البيت الذى أوامهم . واخوننا الذين يقيدوننا يتعرضون لنفس ما يتعرض له أبناء البيت الجرة .

وأشرك لك يا حبيبتي تصور حالة الزعلاء ،اللقى بهم في قلب الصحراء ،
 وبلادهم الحبيبة يستدّ علىها الغزاة الاستعماريون والصهاينة . كانوا
 أسودا وضعوا في أقفاص . ومن الذي وضعهم ؟ أخوتهم الذين جمع بينهم
 شرف الانتماء لألبيت الواحد . لكن حالتني فانت كل تصور في تلك اللحظة .
 أنلك يقبض على ، وحكام ثورة ٢٣ يوليو يحكمون على بالأنفال الشاقة
 تسم يجرمونني من شرف الدفاع عن بلادي !

الزملاء جميعا يتجمعون في حلقات حول عدد من أجهزة الراديو
«الفرانزستور» مع جميع اذاعات العالم ، ويرتفع صوت من بين احدى الحلقات:

– الجدوس الاسعماره .. اجتازت ممر متلا ..

... أي اذاعه ؟

١٠ - الفساد .

– كذب لا تصدقوا •

ویرنفع صوت أخیر ..

.. امرا ایل اداعت نفس الخبر ..

ونصيح: اشهرات غاضبية:

.. كَذِبٌ .. كَذِبٌ ..

ويأتى صوب مالك حزين .. حزين ..

.. الخبير صحيح با زملا ..

وتصحيح كل الأصوات ..

- ی . ی . ی . مش ممکن ..

— الخبير من رانديو القاهرة ••

ويسود صمت رهيب . راحت سيناء . ربما يكونون غدا في مدن القنّاة . هل يحتلونها ؟ هل يحمل الشعب السلاح ليدافع عن أرضه ووطنه ؟ الموقف العسكري خطير جدا ؟ لماذا ؟

البكيانتي أركان حرب فؤاد جاسر من الاخوان المؤيدين - يشرح لنا الموقف العسكري على سبورة ، أن يمر الغزاة من مصر متلا معناه احتلال كل سيناء . الا تستطيع جيوتسنا أن توقف تقدم الغزاة ؟ لا . مستحيل ؟ ما العمل إذن ؟

ويأتي البنّا صوت فؤاد جاسر حزينا ، ممزقا ، مكسورا :
- لا بد من انسحاب جيوتسنا الى الضفة القنّاة .

وفي صباح يوم ٣٠ أكتوبر نسمع خبر صدور الأوامر بالانسحاب من سيناء ! لم تعد الحرب نظامية بين جيوش فقط . انها حرب شعبية . وهل يملك الشعب السلاح ؟ وياتينا صوت جمال عبد الناصر من الجامع الأزهر .

سنقاتل .. سنقاتل ..

وتصل أخبار حمل الشعب للسلاح في مدن القنّاة وفي القاهرة .
ليقاوم الغزاة !

هناؤنا تغلى . وأعصابنا لم تعد تحتل . هذه أرضنا ونحن أخلص ابناءها . ايدينا التي يكبلها الحكام يجب أن تحمل السلاح مع الشعب في وجه المتهدين الغزاة . وأصبح زكي مراد في صباح اليوم التالي للمدوان على بلادنا ونذهب الى المأمور ، في الطريق الى مكتبه نتفق على كل شيء . دون أي مقتضات يقول زكي مراد :

- نرجو أن تبلغ القاهرة ما يأتي : ' اذا لم يصدر قرار الافراج عنا في ظرف ٤٨ ساعة من الآن فعليهم أن يتحملوا مسئولية ما يحدث هنا ' .
ويلاحظ المأمور الانفعالات على وجهها فيقول بصوت ودود :
- يا جماعة أصبروا الحكومة عارضة موقفكم الوطني العظيم
واقول بفضب ..

- لم يعد شرف معرفتها ' لوقنا له أي أهمية ..
ويحاول المأمور تلطيف الموقف ..

- ده مرضه بساعدي في مسألة الافراج ..
- لا أحد يملك منع مواطن من شرف الدفاع عن أرضه .

- أنتو عارفين - الرئيس مشغول في المعركة .
- ونحن السنا جزءا من هذه المعركة ؟

- يعني ' .. المسألة تحتاج لبعض الاجراءات
ويقول زكي مراد بفضب :

- اجراءات أيه ؟ دي كلمة يقولها ..

واكمل ..

- ولا بد أن يقولها .. والا ..

ويقول المأمور ..

- طيب أدوني فرصة كافية ..

ونقول بحسم :

- ٤٨ ساعة من الآن .. ليس أكثر .

- وأنا في ايدي أيه ؟

- في ايديك أن تتصل باللاسلكى بالقاهرة .. الآن .

- سأنعل ..

- وإذا مضت ٤٨ ساعة ولم نخرج من السجن فسيكون هناك تصرف

آخر .

- زى أيه مثلا ؟

ويقول زكى مراد :

- سننظم جميعا أمام بوابة السجن ونطلب من سيادتك السماح

لننا بالخروج والذهاب الى القاهرة لحمل السلاح ضد الفزاة المستعمرين .

ويقاطمه المأمور :

- وأنت عارف انفسى لا أملك هذا ..

- طبعاً نعرف هذا ..

- اذن ما الذى تنتظره منى ؟

وارد عليه :

- أن تقوم بتنفيذ ما يعليه عليك وبجك

ويسأل المأمور :

- واجبى الوظيفى .. أو الوطنى .

- نتمنى أن يكون الواجب الوطنى

- وأكل عيشى ؟

- هذه ظروف استثنائية

- لكننى موظف أولا ..

- فى مثل هذه الظروف أنت وقتى أولا ..

ونلمح الدموع تتجمع فى عيون الرجل الوطنى

- لا أستطيع الا أن انحنى احتراما لكم .. لكن أرجو أن تقفروا موقفى .

ويقول زكى مراد :

- نحن نقدر موقفك تماما حتى ولو تغلب واجبك الوظيفى على الواجب

الوطنى ..

- وهل تعرفون نتائج القيام بواجب الوظيفة ..

- وأقول :

- نعرفه جيدا .. ستملقون علينا الرصاص عند خروجنا من السجن ..
- وهل انتم مستعدون لذلك ؟
- ويرد زكي مراد بحسم :
- كل الاستعداد ..
- وترتسم علامات الدهشة مزوجة بالاعجاب والتفكير على وجه المأمور :
- سيسقط منكم ضحايا .. والباقي لن يخرج ..
- لا سنخرج جميعا من بوابة السجن .. احياء أو امواتا ..
- ويتسائل المأمور :
- وما الذى تجنونه من وراء ذلك ؟
- واقول ساخرا :
- حتى تصل المأساة الى ذروتها ..
- لحظة صمت تمر كأنها دهر .. نلاحظ خلالها وجه المأمور يجسد ما فى داخله .. هؤلاء الناس اذا قالوا شيئا فعلوه .. خروجهم من باب السجن ليس له سوى معنى واحد .. هو محاولة الهروب .. والقانون صارم ، اطلاق الرصاص على المسجون الذى يحاول الهروب .. هؤلاء أول مسجونين يملنون عن عزمهم للهروب ويحدثون له موعدا .. وهم لا يهربون من أجل ارتكاب جرائم ، وانما كي يموتوا فى ساحة الشرف .. عجباً لهم من بشر .. يهربون للموت وليس للحياة ..
- وفجأة يسأل المأمور :
- هل انتم مستعدون لتسجيل موقفكم هذا والتوقيع عليه ،
- وتقول فى نفس واحد .
- وفورا ..
- ويتناول زكي مراد الورقة والقلم من المأمور ويسجل عليها مطلبنا ..
- الافراج عنا كي نموت فى ساحة القتال برصاص الفزاة خلال ٤٨ ساعة أو استمرار سجننا والموت برصاص الحكومة الوطنية على باب السجن .. ويوقع وأوقع بعده ..
- واضح أن الحكاية جد خالص ..
- عهدك بنا لا نقول الا الجدد ..
- اذا أعطونى فرصة للتصرف ..
- نرجو أن يكون بسرعة ..
- سأذهب فوراً الى المحافظ وأطلعهم على ما دار بيننا وعلى هذه الوثيقة .. وأطلب منه ان يبلغ رئاسة الجمهورية بمضمونها ..
- نأمل أن نعرف النتيجة على وجه السرعة
- ويقول ضاحكا :
- ربما يحتاج الأمر إطالة مدة الانتظار ٢٤ ساعة ..

ويقول زكي مراد بحماس شديد :

- ولا ساعة واحدة ..

واكمل :

- وهو ليس انذار ..

- ما هو انذار ؟

- هو موقف .. والانسان موقف .

ويضمنى زكي مراد بحب ، ويقول :

- عنوان محاضرة نسميها اليوم منك .

- ومطلع قصيدة تتشدها لنا اليوم أيضا .

ويطلب المأمور ان لا تبدأ المحاضرة قبل عودته من عند المحاضرة

فهو يريد أن يسمعها مع الزملاء ، كما يسمعه أن يسمع القصيدة . ربما

لم يشهد أى سجن فى العالم ما شهد سجن جناح بالولحات الخارجة فى ذلك

اليوم . اجتماع يضم المسجونون الشيوعيون والاخوان المسلمين المؤيدون للحكم

الوطنى ، والمسجونون العاديون ، وكل السجانة وكل الضباط ومعهم مأمور السجن

يستمعون لأكثر من ثلاث ساعات محاضرة عنوانها « الانسان موقف » ،

وقصيدة مطلعها هاتين الكلمتين . كان الرانيو بذيع نشرة أخبار كل

ساعة وكنا حريصين على أن لا تعطل المحاضرة سماع نشرة القاصرة ،

وكل اذاعات العالم . وجلس الزملاء الذين يحملون الراديوهات

« الفراريسنور » يسمعون الاخبار بواسطة السماعة ، بأنن ، ويسمعون

المحاضرة بالأذن الأخرى .

بعد حوالى ساعه من بدء المحاضرة ، رفع زميل يحمل راديو يسمه

أنسار الى خير همام .

- الرئيس جمال عبد الناصر يوجه نداء للمعسكر الاشتراكي ولكل

القوى التقدمية فى العالم للوقوف الى جانب مصر فى معركتها ضد

الاستعماربين والصهاينة والفرار .

وتلتهب الأكف بالتصفيق فرائق . وأعود الى المحاضرة :

تمضى أقل من نصف ساعة .. وترتفع يد زميل آخر من حملة

الراديوهات .

- الاذاعة توقفت عن الارسل .

أتوقف ، وتكاد قلوبنا تتوقف عن ضخ الدماء الى اجسامنا .

لهفة عليك يا أرضنا الحبيبة ، حرمونا من شرف بسنل دماؤنا فوق

قربانك القدس ، لا ، ان تجمد دماؤنا فى عروقنا ، اليقين فى أعماقنا

يجمى قلوبنا وإن تتوقف أبدا عن ضخ دماء الحياة لأجسامنا ، حتى

نعذلهما فداه لك يا مصر يا حبيبتي .

ويبدد الصمت أصوات ترتفع :

- تمكن المهندسون (١) المصريون من تجهيز عربة اذاعة حتى يتم اصلاح محطة الاذاعة التي تعطلت .

أكف الحاضرين تلهب من التصفيق وتعلو الهاتفات بحياة الشعب الذى لا يتهر . وأعود الى محاضرة « الانسان موقف » بعدما ينشد زكى مواد قصيدته . ثم نردد مع أم كلثوم .. والله زمان يا سلاحي اشتقت لك فى كفاحي ، انطق وقول أنا صلاحي يا شعب والله زمان .. ومع فائدة كامل . دع سمائي سمائي محرقة ، دع مياهي مياهي محرقة .. الخ ..

ونستقبل نور فجر اليوم الجديد بنفس هادئة ، وقلوب مطمئنة ، وروح شفافة منصوفة ، كانت لنا مواقف كثيرة ، قبل السجن وخلالها ، لكن موقفنا هذا جسد الانسان فى شموخه وعظمته ، الانسان الذى لا يقهره شيء .. حتى الموت ذاته .

وفى الصباح تحمل لنا زيارة من أملنا انباء هامة ، تجملنا أكثر اصرارا على الموقف الذى اخترناه ، أحكيها لك يا حبيبتي قسى الرسالة المقبلة .

٢١ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

(١) كان على رأس هؤلاء المهندسين المهندس الدكتور مائق فريد . النائب لأول مجلس الأمة عن دائرة روضي الفرج . اعتقل فى عام ١٩٥٨ ، ولسم ترفع عنه الحصانة البرلمانية .

الرسالة رقم (٣٤)

حبيبتي

ذات يوم من الايام الاولى في شهر نوفمبر ١٩٥٦ حملت الينا
زيارة من اهاليينا انباء هامة اعطينا امل الاشتراك في معركة مصر
القصصة . وازداد املنا حين سمعنا اخبارا اخرى من مامور السجن .
الحكومة توزع السلاح على الشعب . زملائنا في الخارج بالاتفاق مع
الحكومة يقومون بتعبئة الجماهير في المعركة ، وينظمون المقاومة الشعبية
في بور سعيد . الجبهة الوطنية تتحقق من تلال المعركة ، والحريات
السياسية تتم كل مناحي الحياة في مصر . فقط لم يبق سوى
الافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ، وهي مسألة قد اصبحت
اقرب الينا من حبل الوريد !

- ولماذا لم يصدر قرار الافراج مع قرار التعاون معكم ؟
وجها هذا السؤال الى الزميل الذي جاء مع الزيارة وحمل لنا هذه
الاخبار .

- لانه يحتاج الى قانون .
- ربما كان الافضل ان يصدر غرض سياسي .
- يالعكس القانون افضل .
- حتى يكتسب نشاطنا مشروعية ؟
- بالضبط . . .
- ونشاطكم . . . ليس مشروعا ؟
- بالطبع . . .
- من اي شيء يستمد مشروعيته ؟
- من صلتنا بالدولة وعملنا مع اجهزتها .
- وهل نتطير حتى يصدر القانون ؟
- ويصبح الزميل وكل نبرات صوته توحى بالتفاؤل الشديد . . .
- مشروع القانون اعد بالفعل وسينظر امام مجلس الامة .
- وهل تضمنون وقوف اغلبيه مجلس الامة الى جانبنا . . . ؟
- وترتفع رنة التفاؤل في كلمات الزميل :
- نعد من مجلس الامة طالبوا بهذا في مقعدهم ابو القضل الجيزاوي . . .

- ويهمي :
- اطمننوا ما دام الرئيس عاوز كده . لازم مجلس الأمة يوافق .
- واتسائل بسخرية . .
- وهو الرئيس عاوز يفرج عنا ؟
- ليس في ذلك أدنى شك .
- اذن نليصدر قانون يعرضه بعد ذلك على مجلس الأمة .
- قانون يصدر من مجلس الأمة أقوى من قانون يصدره رئيس الجمهورية .
- وهل احتاج قرار توزيع السلاح على الشعب الى قانون يوافق عليه مجلس الأمة ؟
- توزيع السلاح ده تورتر سيالسي .
- لكنه يستند الى قانون .
- وهذا ما حدث . . وبسرعة . .
- ألا تستحق قضية الافراج مثل هذه السرعة ؟
- ويستنكر الزميل هذا الكلام .
- ده بقى موقف ذاتي . !
- واقول بخفض :
- الافراج عن الوطنيين في ظروف غزو استعماري يبقى موقف ذاتي ؟
- الاحاح عليه يتحول الى موقف ذاتي . .
- وهل اطلاق الحريات السياسية موقف ذاتي ؟
- طبعاً لا . .
- لماذا اذن هذا الفصل التعسفي بين الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ؟
- ربما لخوفنا من أن يفهموا أننا نضع شروطاً ؟
- أخشى أن تكون هناك أسباباً أخرى !
- وينقطع الحوار لفترة حول هذا الموضوع ، ثم يمسي مرة أخرى .
- حين يتنسى المأمور ومعه لثبناه أخرى ، يقول :
- جاءت بريقة من رئاسة الجمهورية صباح اليوم .
- خيراً . .
- شكر وتقدير لوقتكم الوطني الشرف .
- تاتسي !
- ويشاركنا المأمور بتعابير وجهه ولتسلطه ، سخرتنا :
- على المأمور لازم تمطوهم فرصة . .
- تاتسي !
- يا جماعة لييه بيس التشارم ده . .

- على العموم • بانسى من الزمن ٢٤ ساعة • •
- ده ببقى بيتقى انذار • • مش موقف • •
- ليه بقى • ؟
- بممكن نعدبل الموقف • •
- هذا اذا استجبت ظروف تستدعى تعديله • •
- بى توزع السلاح على الشعب ، واستراك زملائكم فى المعركة مع الحكومة دى مس ظروف جديده ؟
- فى بافعل ظروف جديدة • • تجعلنا أكثر اصرارا على موقفنا •
- وبكاد المهور أن يتوسل لنا • ويقول :
- أرجوكم لا تضعوننى فى موقف حرج •
- ولماذا تضع نفسك فى موقف حرج ؟
- ساكون مضطرا الى القيام بواجبى الوظيفى •
- لا نضم منه وحدك •
- كسف ؟
- ماظن حضور المحافظ واترك له الامر •
- عند مصر على أنه تصير فى تادية وظيفتى • •
- أعز من أن تكون وظيفتك فى اطلاق الرصاص علينا •
- يسعدت بصره من الصمت • كان الحوار مع المهور يدور معنا على مسمع من أغنىاء ومن الأملاء الذين جاؤا لزيارتنا ، لكنهم لم يفهموا شيئا من الحوار حتى أحرر كلمه منه • لم يصكر كل ما نسهناه من خوف رملح وسؤال فى وحوه الزوار من هدوء أنفسنا الذى بعكسه بروس الاصرار فى عبوننا • وبيبدأ المهور محاولة كسب الزوار الى حاسه • ولم يمدد الدموع التى جرت من عبون الأم والزوجة والأخت • من موقفنا ، وبقى الزميل آخر ما فى جيبه •
- ده موقف استغزاي •
- لمن ؟
- للسلطة •
- لماذا ؟
- لأنهم سبفبرونها على أنها حرق للمركبة
- لكن ما تصبيرك أنت ؟
- الى حد كبير هو كذلك • •
- ونتوالى تعليقات الأملاء :
- البعض يستفزون • •
- والبعض بططبيون • •

- اللي ايده فى الميه •
- مش زى اللي ايده فى النار •
- البعض يقاومون •
- والبعض مسجونون •
- يد تطلق الرصاص على الاعداء •
- واليد الأخرى تطلقه على الاصدقاء •
- احسن جبهة وطنية •
- وآخر صيحة نظرية •

سخرية لاذعة تجسد كل ما فى داخلنا ، اصرار على الموقف الذى اخترناه ، رمض لكل الأوامر التى نسجها زملاؤنا فى الخارج ارضاء لذواتهم ، واحساس مرير بالأسى من موقفهم الذاتى • ويتوجه المأمور الى عربته وقبل أن تتحرك به ، يقول لنا :
- أنا رابع اتفاهم ثانى مع الحافظ • • وتتصل بالقاهرة •
راديو القاهرة لا يتوقف صوته الذى يسمعه كل من فى السجن •
يذيع الأغانى الثورية والاناسيد الوطنية • وأذان بعض الزملاء على كل اذاعات العالم يتابعون أخبار الحرب العدوانية على بلادنا •
يفتح المذيع الاناسيد والأغانى الوطنية ويعلن :
- قوات العدو تغزو بورسعيد • • المارك تدور فى منطقة الجميل •
ويعود الراديو لمواصله اذاعة الاناشيد الوطنية • وتغلى الدماء فى عروقنا •
ويعلن المذيع •

- المقاومة الشعبية تطارد قوات الاحتلال ، بورسعيد يا مدينة البواسل وقلعة الاحرار • قاومى الاحتلال • •
وتعود الاناسيد • • وترتفع صيحات الزملاء ، نستنكر هذا الموقف من جانب الحكومة الوطنية • انها حما نقود الشعب فى معركة المصير ، فلماذا يحرمونا من شرف المعركة ولمصلحة من ؟ ونثور منافسات حادة بين الزملاء ، والاخوان المسلمين المؤيدين من جانب والاخوان المسلمين المعارضين من الجانب الآخر :

- ماذا حنيتكم من تأييدكم للحكومة ؟
- هو موقف سياسى لا ننتظر من وراءه سبنا •
- ومطلب الافراج عنكم ؟
- جزء من الحريات السياسية •
- ومتى يفرج عنكم ؟
- هذا ما تقرره المعركة •
- قد تطول ولا يفرج عنكم ؟

- ان يغير هذا من موقفنا •
- ويعلو صوت مذياع راديو القاهرة :
- الاتحاد السوفيتي يوجه انذارا للمعتدين الغزاه •
- يصفق الزملاء والاخوان « المؤيدون » ، ويعلن بعض الاخوان المعارضين
- لمصلحة من هذا الانذار ؟
- لمصلحة المعركة المشتركة ضد الاستعمار •
- سيكون الزمن باعظا •
- مثلا •
- احلال استعمار محل استعمار آخر ..
- وما رأيك في الآخر ؟
- اهلون الشريين •
- كذا •
- نعم .. وما رأيك ؟
- مصر الحرة المستقلة •
- وتحاول بعض العناصر من الاخوان المعارضين اسفزاز الاحوان المؤيدين •
- سرسر الانتصاب ويطو الاصواب ، بتبادل السائيم ، والابدى
- بمسابك ، وبكاد معركة تنسب بين الطرفين • لكن صوت العفل يعلو ،
- وبعود الهدوء • موقف المناصبات والاسمزازات المتبادلة . وينمق على
- عدم اساره اى مناصبات جماعه والنمسك باحرام كل لساعر وشكر
- الآخر •
- صوب « البروجي » بطل بقمعة حاصلة تعرف معناها المسجونون
- فى سجونهم ، ورجال الحرس فى كنياتهم . رباره احد لواءات الجيش
- او البوليس •
- أى نوع من اللواءات يا نرى ؟
- المحافظ لواء • • ومدير مصلحة السجون لواء • • ومدير المباحث
- العامة لواء •
- العربية السوداء فى مقدمتها علم « اللواء » تجرى بسرعة نحو
- باب السجن • وصوت « البروجي » لا يكف عن الصباح ، وراديو
- القاهرة يواصل اذاعه الاناسيد والاعانى الوطنية • ونمس الظهيرة
- اللافحة فى الصحراء ، لا تحول دون غروب الشمس على باب السجن ،
- وفوق الرمال المتهبة ، فى انتظار ما تحدثت وبرتفع صوت حاسم •
- موقفنا كما هو لم يتغير •
- أذهب أنا وزكى مراد لاستقبال اللواء القادم الينا •
- ينقدم اليها اللواء المحافظ وعلى وجهه ابتسامة عريضة ويسلم
- علينا باليد بود ملحوظ ، ويقول :

- أحمل أخبارا عامة اليكم .
- خيرا .
- برقيته برئاسة الجمهورية تعدد بالافراج العاجل .
- كنا نود أن نحمل البرقية قرار الإفراج .
- مجلس الأمة سيناقش الأمر عدا .
- ربما تطول المناقشة -
- لا اعتقد . . مطلوب منه إصدار قانون بسرعة .
- وهل تتحمل أعصابنا الانتظار وجزء من أرضنا نخسره قوات الاحتلال ؟

- أعرف عنكم القدرة على التحمل .
- نحن غير مفتعين بهذا .
- أجدد بكم أن نتقوا بقيادة المركبة .
- كل الثقة بجديتها في المركبة .
- من المنطقي إذن أن نتقوا بوعدهما لكم .
- تجربة الأيام الماضية - منذ فرار تأميم القناة - علمتنا الحذر .
- ربما كان من الأفضل لكم أن تراجعوا موقفكم .
- نرجو أن لا يكون ذلك نهديدا .
- بل هو واجب الوظيفة . .
- نحن لا نعرض . .
- وتعرفون النتائج . .
- نعرفها جيدا . .
- أنتم ننتحرون .
- لا . . . وإنما نسجل موقفنا .
- وبضحك المأمور ، ويقول :
- الإنسان موقف .

ويبدو على المحافظ عدم الفهم . ويشرح له المأمور ما سسمعه في الحاضرة ، وتكسو وجهه تعبيرات الدهشة ممزوجة بتعابير الإعجاب والتقدير . يقول :

- لم أكن أتصور الأمر بهذه الدرجة .
 - ألم ينقل اليكم المأمور حوارنا معه ؟
 - لم يسمع كمن رأى .
 - وما أنت قد سمعت ورأيت .
 - وتضاعف حرج موقفى .
 - فأأسف . . ونرجو أن تقدروا موقفنا .
- وتتوالى رجاءات المحافظ والمأمور وعمد من ضباط السجن وبعض الإخوان

المسلمين الذين كانوا ينابعون الحوار :

- انتظار كام يوم لن يظل من قيمه موقفكم .
- انقسم في منزلة أولادى .
- فى الثانى السلامة .
- البس لكم أولاد ؟
- وزوجات وأمهات ؟
- ويذهب المأمور الى خيمة الزوار ويصطحبهم اليها :
- يا ولادى .. حرام شبابكم .
- أولادكم مين يربيههم ؟
- وزوجاتكم .. ليه يترملوا بدرى .
- وامهاتكم .. رح تبقى حالتهم آيه ..

و . و . و . و بنتحى بنا البكبكاسى فؤاد جاسى جانبيا ويهمس :

- انا رايسى كصدى ننظروا كام يوم ..
- انتظرنا طويلا ..
- انتظار كام يوم كمان لن يظل من موقفكم .
- ولن يغير أيضا من موقفهم .
- وقتئذ يكون الحق معكم تماما .
- أوليس الحق معنا منذ زمن ؟
- أقصد حى مسئوليتكم عن أرواح زملائكم ..

مسئوليتنا عن أرواح زملائنا قبل مسئوليتنا عن أرواحنا نحن .
لكن الزملاء ، ممثلون حماسا . انهم مفتنمون تماما بهذا الموقف . القرار
ليس قرارنا . انه قرار كل الزملاء ، وبالاجماع . هل امتز اقتناعنا أمام
كل ما سمعناه . من توسلات ، وما راينا من دموع فى العيون ؟
هل يكون ناهيل الموقف ضعفا منا ؟ وهل الاصرار عليه بمسئ
كل ما سمعناه وراينا يعتبر موقفا جاهدا ؟ . موقفنا واضح ومحدد
يعرفه كل المسئولين وكل أهاليها وبالتالى قطاع هام من الجماهير ،
وقد رتبنا على تنفيذها ليست محل تساؤل ، الانتظار عدة أيام أخرى
سيكون فى صالحنا . اذا صدر الاحوال . اذا صدر واتضحت نواياهم بعدم
الامة ، فقد كسبنا الافراج ، واذا لم يصدر واتضحت نواياهم بعدم
الافراج نكسب عطف أوسع قطاعات من الجماهير ومن بسط يخلد فى سجل
الشهداء .

كان ما بدور فى داخلى هو نفس ما يدور بداخل زكى مراد :

- آيه رأيك يا زكى ؟
- نمود الى الزملاء .. نناقشهم .

- أفضل أن نعود برأى واحد .
- وما رأيك ؟
- المساومة .
- كم يوما ؟
- أربعة أيام أخرى .
- موافق .

وفبل أن يعود الحوار مع المحافظ والمأمور نشترط .
- ما سنوصل اليه يتوقف تنفيذه على موافقة كل الزملاء .

- ويبتسم المحافظ •
- يعنى الرجوع لمجلس الأمة •
- تقريبا •
- ماذا تقترحون ؟
- التناجيل أربعة أيام •
- خلوها سبعة أيام •
- ولماذا سبعة ؟
- اذهب خلالها الى القاهرة لمرض الأمر بنفسى •
- وستطرد المأمور •
- وينتهى مجلس الأمة من المناقشة •
- نقسم البلد نصفين •
- ويضطك المأمور :
- يبقى خمسة أيام ونصف • بلاش كسور •
- اذن خمسة أيام •
- لا ستة •
- اذن اتفقنا •
- ليس قبل موافقة الزملاء ٢٠

ويذهب معنا الى الزملاء ، فؤاد جاسر وحسين حموده وعدد من اصديقاتنا من الاخوان المسلمين المؤيدين • وبعد اجتماع يستمر أكثر من ساعة نبذل خلاله جهدا مكثفا لاقناعهم ، تارة بشرح مستفيض لوقفنا خلال الحوار مع **المحافظ والمأمور** ، وتارة أخرى بشرح الظروف الموضوعية الآن ، وبعد التناجيل ، وانها سوف تكون فى صالح موقفنا فى كل الاحتمالات نصل الى موقف الاجماع الكامل •

وحين يسمع المحافظ والمأمور والضباط قرار الزملاء جميعا بالموافقة ، تنهال وجوههم فرحا ، ويعدون ببذل كل الجهود حتى يفرج عنا •

وتجرى الاحداث بسرعة مذهلة ، مع كل حدث ترتفع موجة التفاؤل.
وتتوقع افسراجا سريعا ، لكن حدثا بعينه يجمع بقصبة الافراج عننا
الى الخلف ، ويدفع في نفس الوقت المعركة الى بداية النهاية .
احكى لك عنه في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٢٢ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة رقم (٣٥)

حبيبتي

فى نفس اللحظة التى توفف فيها القتال يوم ٦ نوفمبر ، الفينا
تُزارنا الذى حبيبك عنه فى رسالتى السابقين . أحس بشعرك نتحركان
لتسالى سؤالا اعرفه ، وتعرفين أنت لجانته ، لكن بريق عينيك يطلب
المزيد .

فرارنا السابق الذى الغناه كانت حبياته تتلخص فى كلمات :
ان ننبهى جسديا برصاص الحكومة الوطنية ، خبر من أن نموت مسن
الداخل حين نرى أرضنا المقدسة تنفسها أقدام الاستعمارين الصهاينة،
ونحن هنا فى السجن مكبلون . ولم يكن فرارنا هذا بسبب الرغبة
فى الاستمتاع بحياة آمنة مستقره بين الأهل والأصدقاء ، وإنما كان
لهدف محدد هو أن نخرج من السجن الى ساحة القتال مباشرة . وكنا
على استعداد للعودة الى السجن مرة أخرى اذا لم نفلح فى الاستشهاد
فى ميدان القتال ، اذا ما استرط الحكام ذلك ! كان موقفنا يا حبيبتي
صادقا كل الصدق ، غايته محددة ووسيلته جزء من هذه الغاية ،
فالوسيلة عند الثوريين ليست مبررا لها ، كما بفعل الانتهازيون
والوصوليون . ان كانت عابثك نمريرة فيجب أن تكون وسيلتك الى هذه
الغاية ثمينة حتى ولو كان ثمنها الموت .

هذه المعاني كانت محور حبيتنا مع هاور السجن بعد انتهاء
المدة المتفق عليها كى نعلن تمردنا ونخرج من باب السجن اذا لم يفرج
عنا وبالتالي ننعرض للرصاص ، قال :
- اقترح أن تنتظروا لبعض الوقت ولا تقلقوا ..
- سننتظر طويلا .. ربما حتى انتهاء مدة عقوبة السجن وربما
سنوات أخرى بعدها ..

قال بدهشة :

- وموقفكم السابق .. هل عالجتم عنه ؟

- لم يعد له ما ييسره .. والغناه .

١ - هل يمكن أن أعرف السبب ؟

- ليس خوفاً أو جبناً •
 - لم يحد هذا بخاطري ••
 - وإنما لأن الظروف قد تغيرت بعد وقف القتال •
 - ظننت انكم وجدتم فيها فرصة الضغط ••
 - عفوا •• وبعض الظن أتم •
 - ربما لأنى لا أفهم العلاقة بين موقفكم الحالي وبين وقف القتال •
 - كانت غايتنا أن نخرج من هنا إلى ميدان القتال مباشرة ، ويعود
 إلى السجن من بقى ههنا ، إذا استقر ذلك الحكام !
 فبات نداء النساء تدعونا ، ويغفل المأمور والضباط دعوتنا لنسأول
 الطعام معنا • ويستمر التواصل الانساني بين المسجونين ورجال أدلة
 السجن ، انساء نسأول العشاء ، وخلال الحفلة للساهرة ، التي أحيأها
 الزملاء لمناسبة وقف القتال •
 كانت هذه أول حفلة نقيمها منذ مدأ المحوون على بلادنا •
 وبعد انتهاء الحفلة وقبل أن ينصرف المأمور ، عائدا إلى منزله يقول :
 - كل يوم اكتشف فيكم جديدا
 - نرجو أن يكون محل تقديركم
 - كل التقدير
 - وما آخر جيد اكتشفته ؟
 - قدرتكم على العطاء كبيرة
 - ولكنهم يجسونها هنا في قلب الصحراء •
 - وزعم ذلك فمطأؤكم لا يتوقف •• حتى في الصحراء !
 كان المأمور يشير إلى نشاطنا الثقافي والتعليمي في سجن « جناح »
 بالواحات الخارجة • كما قلت لك يا حبيبتي في رسالة سابقة ، انفسا
 وصلنا الراحة ولم نكن بها الامكانيات التي تسمح بالحد الأدنى للحياة •
 وكان أول ما ففنا به هو توصيل المياه إلى السجن ، واعداد مطبخ
 لطهى الطعام ، ومخبز لخبز العيش ، ومستشفى • بعد ذلك قمنا باعداد
 « كافتيريا » ننسأول فيها وجبات الطعام • ونستخدمها في القساء
 المحاضرات ، كما كنا نستخدمها كمدرسة • أكثر من ٢٠ مسجوناً من
 المسجونين الماديين الذين جاؤا معنا كانوا أميين ، تعلموا القراءة والكتابة
 وبعضهم درس حتى الإعدادية • وبعضهم حتى الثانوية العامة • واثنان
 التحقوا بالجامعة ، وأكثر من ١٠ سجلة وأصلوا دراساتهم ومنهم من
 التحق بالجامعة • في نفس الوقت فتحنا فصول دراسية للزملاء الخجين
 لم ينموا تعليمهم ، وفصول للفئات المختلفة ، والرياضة ، والرسم •
 كثير من الزملاء تعلم الرسم على يدي وليد اسحق وسعيد عبد الوهاب
 وكان « الملك الصحراء » خيمة خاصة يستخدمها كمدرسة بعد أن تسلم هو
 بنفسه بصنع الحامل والبراويز التي يشد عليها القماش • أن عدد

اللوحات التي رسمها ولم اسحق للزملاء . وللزوار من أمالينا ، وللسجادة والضباط نكفي لأكثر من ثلاثة معارض كبيرة . كان أملا « ملك الصحراء » بعد أن توقف عن الرسم ما يقرب من أربع سنوات ، أن يرسم . وكانتفه الزملاء جميعا كي يحقوا له هذا الأمل ، بمساعدة المأمور والضباط والأصدقاء. توفّر له كل ما يلزمه من مماس واللوان زيت وجواش وورق وخلافه . ما زالت صورته وليسم في ذاكرتي حين وصله أول طبرد به القماش واللوان والفرس . احتضنهم بحب وأخذ يجري في انحاء السجن يصيح :

- راح ابتدى ارسـم تانى .. أنا ملك .. أنا ملك .
- ملك ايه ياوليم .. ما خلاص مفيش ملوك ..
- لا فيه .. أنا ملك .. أنا ملك الصحراء
- لكن أنت ما تنفـعـس ملك يا وليـم .
- مش الملك يملك ..
- وبيقولوا أنه لا يحكم
- أنا امك الآن ما اسـنـطـيع أن أعبر به بالفن
- تبقي ملك الفن ..
- لا .. ملك الصحراء .. لأن في هذه الصحراء الجرداء راح أخلق فيها فن .
- يعنى مش راح تحكم
- لا .. سايـب لكم الحكم ..
- ويكمل ضاحكا ..
- في الشمس طبعاً !

أذكر أنه ظل يعمل طوال النهار في صنع الحامل وبعض البراويـز الخشبـية ليثسد عليها قماش الرسم . وظل طول الليل يصنع كرسي خاص ليجلس عليه أثناء الرسم وبعد « الطبيعة الصامتة » التي سيرسمها في الصباح، كنت معه كل تلك الساعات أقوم بعمل صبي النجار حيناً ، وصبي الفنان حيناً آخر ، وبين الحين والآخر نعمل فهوة « بن غامق » !

- يا درش البن ده قسطه اليمين طول عمرى اشتريه من الرجال الخواجة الليوناننى في شارع شبرا ، عارفه ؟

- مش واخذ بىالى يا ملك ..
- يا أخى اللى جنب الملة « ملة شبرا » المشهورة ..
- أيوه .. أبوه .. انتكرت .. لكن يعنى لازم البن ده ؟
- مش ممكن أشرب الا « قشـطة اليمين » .
- وكان يرفض باستمرار أن يقوم أحد بعمل القهوة .
- أصل عمل القهوة فن

- طيب أولع بك الوابور .
- وابور أيه بس .. عيه برضه القهوة نتعمل على وابور
- أصال نتعمل على أيه ؟
- على نار هادية جدا
- ويوموم يعمل كومه صغيرة من الرمل ، ويصع عليها قطعا من خصون
- الانسجاو الجافة بعد أن يقطعها قطعا صغيره . ثم يسعل فيها النار
- وينزكها حتى تنحول الى جمرات :
- طيب احط الميه والبن والسكر ..
- أيه هوه .. كده مره واحده .
- بأتى بالككنكة ويبسحاً بوضع البن ، ثم السكر ، ثم الميه .
- ولازم بهذا الترتيب ..
- طبعا .. دى بقى اسمها كيمياء .. ملعقة صغيرة من البن لكل
- فنجان و ¼ ملعقة صغيرة من السكر ، ثم تصع الميه ، ودى برضه
- بالمقاس . المسه تبقى أقل شوية من سعة الفنجان .
- وبعدين نطلب بالملعقة ..
- شوية قبل وضعها على النار .. وبعدين أنشاء وضعها على النار
- الهادية .
- ونقعد قد أبه بفى على نارك الهادية دى ؟
- أنا برضه نارى هادية با درس ..
- مس فصدى ..
- ده أنا مولع من جوه ..
- نار القهوة « الهادية » دى علوزه ييجي ساعة علشان تغلى .
- وماله مش لازم المسائل تنضج ..
- طبعا .. بس مش على الهادى قوى كده ..
- بالضبط .. يعنى على النار المناسبة .
- وأنت متأكد ان هيه دى النار المناسبة ؟
- التجربة الذاتية .. فضلا عن تجربة الملايين تؤكد هذا ..
- طب الذاتية ومهمناها .. امسا حكاية الملايين دى تبسأ ايه ؟
- ملاييز الفلاحين، يا درس .. القهوة .. والتسائ .. والأكل .. كله
- على النار الهادية دى !
- معاك حتى .. اقتنعت .
- نشرب القهوة .. هات الفنجان البنى .. يسدى للقهوة طعم .
- آمى دى بقى مش فامها .
- أولا . أنا أحب اللون البنى ، لانه لون مصرى أصيل . وثانيا :
- القهوة البنى ، أغرق من الفنجان ، ودرجتى اللون تريحنى .

- حنبلى .. مسال ومنان .

- أمه ده .. اكساف حدود .

- أبدا .. اما ناكسد حفيقة ..

من يملك مكويما انسانيا حقيقيا لا يملك فقط القشرة على التعامل
الانسانى مع البشر . وانما على التعامل أيضا مع الأشياء - ويبدأ ملك
الصحراء ، فى اعداد ماده اللوحة التى سيغوم برسمها فى الصباح « **حفظل** »
جمعه من الصحراء ، و (**دوم**) كان قد أوصى أحد السجانة بشرائه من
« جناح » زهور عباد الشمس وبعض الورود ، وبعض فروع شجر
الخروج . يضعها بطريقة ثم يتأملها من بعيد ، ويعود الى ترتيبها مرة
ثانية بطريقة أخرى .. وثالثة ورابعة .. و .. و .. و .. و .. و .. و ..
عميق . وفى الصباح الباكر أرى وليم وقد جلس أمام الحامل والفرشاة
فى يده . وعلى اللوحة خطوطا واللوان . جلست أتأمل هذا المشهد
الانسانى . ما الذى يجرى داخل هذا الفنان وهو بمسك بفرشاته لأول
مرة منذ أربع سنوات ، منذ انتزعوها منه ؟ ما الذى سيخرج من
أعماق هذا الفنان ، بعد كل ما لاقاه فى **سجنون مصر** ، **وأبى زعبل**
وليهمان طره ، **والواحات** طوال أربع سنوات ؟ ما الذى يريد أن يقوله ،
حين وضع « الحفظل » المر و « الدوم » الشديد الجفاف ، مع زهور عباد
الشمس ، والورود التى زرعناها هنا فى الصحراء ؟

تجرى بده بسرعة على اللوحة ، خطوط ، ألوان ، تأمل اللوحة تارة ،
وتارة أخرى تأمل ما يجرى على وجه هذا الفنان من انفعالات . وفجأة -
رأيت على وجهه ما لم أره أبدا من قبل خلال **سنوات السجن** . هل يمكنك
يا حبيبتي تصور تعبيرات وجه أم وهى ترى طفلها يذبح أمامها ، وهى
لا تستطيع انفاذه ؟ بالهول ما رأيته على وجه الفنان الصادق الذى يريد
أن يعبر عما فى داخله ولا يستطيع . كان يفج على حافة السكين بكل
كلماته ووجدانه ، ويرفض الهزيمة . وظل صراعه العنيف ضد احساسه
بالهزيمة أكثر من ساعة . التى بالفرشاة وخشبة الالوان جانبك ، والتفتت
الى وعلى وجهه ابتسامة تحد :

- متى مو ده اللى أنا علوز اقلوه .

وانظير الى اللوحة بالوانها الجميلة واقل مشجما :

- متى من أول مرة يا وليم .

ويخرج من أعماقه تنهيدة طويلة ويقول :

- ودى أول مرة ارسم فيها يا درش ؟

- قصدى يعنى منذ أربع سنوات .

- طيب وانت أليه رأيك فى اللوحة دى ؟

- المهم رأيك أنت الأول .

- لو شفت لللوحة دى فى معرض ثلثت نظرك ؟
- ما كنت عارف يا وليم أنا معلوماتى فى الفن التشكيلى لاتزيد عن معلوماتى عن اللغة الهيروغليفية .
- ويمسك بحجر ويلقي به ويخرق للوحة ويمزق القماش . ثم يقول :
- ما تعمل لنا فنجان قهوة .
- واقول ما زحنا :
- هو أنا برضه أعرف أعمل قهوة .
- ويبتسم ابتسامة باعته :
- زى بعضه أعملها بقى بطريقة « المتقنين » .
- بقدر صدق الانسان مع نفسه بقدر ما يكون احساسه بالهزيمة كبيراً .
- وحين ينتصر على الهزيمة فى نفسه يصبح كالطفل فى طهارته وبرائه وتلقائيته ، حقيقة جسدها لن وليم اسحق الفنان ، حين ظل لمدة شهر كامل ، رسم خلاله أكثر من عشر لوحات ويمزقها . وفى كل مرة كان يمانى ألاما تفوق طاقة البشر ، حتى أننا دون أن نشعر - فهو يرفض بشراسة أى محاولة أو عطف - كلفنا الزملاء الذين يتجاوب معهم انسانياً ، بالابتعاد وحده أبداً وكنت أنا الا ازمه طول الوقت غيماً عدا الاوقات التى اكون مشغولاً فيها . وكثيراً ما كان بعض الزملاء يقومون بعمل « النوبتجية » بدلا منى حتى لا اترك وليم .
- وذات يوم لازمته منذ الصباح وهو يكمل لوحة كان قد بدأها .
- وكنت وأنا أتأمله أحس من تعبيرات وجهه بأنه سوف ينتصر على الهزيمة التى ظال يمانى منها طوال شهر كامل . فى الدقائق الأخيرة كان يضع اللمسات الأخيرة على اللوحة ، وابتسامة مائة تكسو وجهه ، ووضع للفرشاة جانبا وقال :
- نعمل بقى فنجان قهوة .
- بطريقة الفلاحين والا المتقنين ؟
- يضحك من اعماقه ويقول :
- لا . . . بطريقة الفلاحين طبعاً .
- وجلس يتأمل اللوحة ، وقد استغرقه عالمه الخاص . وجلست الى جانبه أتأمل اللوحة ، لكن شيئا آخر لم يستغرقنى سوى فرحى وسعادتى بانفسان احبه انتصر على الهزيمة بعد ان عانى منها طويلا . بعد أن رشف بلذة كبيرة رشفة قهوة مصنوعة من بن « قسطة اليمن » سألنى :
- أليه رأيك بقى يا درش ؟
- قلت مازحاً :
- فى اللوحة والا فى القهوة ؟
- ويباهلنى المزاح :

- فى المهوة طبعاً •
- لا •• دى مهوة منغمين •
- طيب وفى اللوحة ؟
- فيها ما نرصد أن تقوله •
- لكن رانك انت ايه ؟
- ما تقوله رائع وعظم •
- بلساى أم بفرساى •
- وهل يمكن الفصل ؟
- كديرون يفعلون ذلك •
- ليسوا فنانيين • هم أناقون •
- لكنهم فى الصورة •
- مزيغون داخل اطار صورة مسووه •
- ويستمر حوارنا منصلاً ، نتحب ، ونشرب قهوة بطريقة الفلاحين ،
ونسمع موسيقى ديهون وناخ وشوبان ، ونفاهل الصورة ، ونمضى وسط
الصحراء خارج الخيمة سم نمود الذهب ، ونعاود التأمل فى الصورة ،
وتتمتج أسعة الفجر ، مع صوت الموسيقى مع حوارنا الانساسى ، مع
نظراتنا الحائيه الى اللوحة ، ونعشى لحظات فى عالم خاص ، وننمنى
أن يكون هذا هو عالم الناس كلها •
- فجر يوم جديد •
- هو آت لازيب فيه •
- أحلم أن يكون كما أراه فى هذه اللحظة •
- وافيق من حلمى على صوت ينادى على :
- يا زميل منتظرينك فى «القرن»
- كنت أذهب الى « القرن » ثلاث مرات فى الـ «مبوع مع طلوع الفجر ، كى أنوم
معلى هناك ، وكان تخصصسى « فرد عجينة الخبز بالنشابة » • وعن نظام
العمل فى القرن ، والطبخ ، والنسآت الأخرى ، ساحكى لك عنها فى
رسالتى المقبلة يا حبيبتى •

٢٤ يوليو، ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٦)

حبیبی

قبل أن أدخل السجن قرأت وكتبت كثيرا عن الكاحين وعزمهم وآلامهم ،
غير أنى لم أحس بهم تماما الا عندما أصبحت كادحا ما يسرب من
ثلاث سنولت في سجن « جناح » بالواحات الخارجية •
منذ اللحظة الأولى التي وصلنا فيها الصحراء ، لم يكن أمامنا كس
نعيش سوى أن نحول الى كاحين حقيقين ، ناكل من عرقنا وكحنا •
كنا ثلاثين كادحا فقط حين وصلنا الى ارض الصحراء الجرداء من كل
مقومات الحياة الضرورية • وفرضت هذه الظروف القاسية أن يقوم كل
واحد منا بعمل يومي عام في المعسكر ، وعمل آخر خاص في خيمة
السكن • في نفس الوقت خلق تخصص في الأعمال العامة ، خبازين ،
وطباخين ، وممرضين ، ونجارين ، وحدادين ، وفلاحين ، وأخذت أن أكون
خبازا وكان تخصصي « فرد » رغيف العيش وهو عجينة « بالنشأب » •
والعمل في الفرن يبدأ مع غروب شمس كل يوم حتى ظهر اليوم
التالى • المتخصصون في العجن واللث يذهبون مع غروب الشمس يمزجون
للدقيق بالماء والخميرة والملح ، ثم يعجنون ويلتونه حتى يصبح للعجينة
« عسوق » ، فيغطونها باجولة من الخيش ، ويستترط في هؤلاء الكاحين
أن تكون صحتهم جيدة ، وعضلاتهم قوية ، وأجسامهم طويلة • وقيل
الفجر بقليل يذهب الى الفرن منخصص آخر • يمسك بطرف أصابعه
قطعة من العجين ليبرى قوة « العرق » فيها ، ثم يذوقها بلسانه
ليؤكد من « حذقها » • اذا وجد كل شئ على ما يرام نادى على فريق
العمل وينقسم الى اثنين ينف كل منهما على « عجن » الفرن ، واثنين
يضعان الخشب والخطب تحت « صالجة » الفرن ويراقبان اشتعال النار ،
كلما خدد لهيبها يغطسونها المزبد من الخطب ، واثنين يقفان على
« ماجور » العجين ويستترط فيهما أن تكون عضلاتهما قوية ، حيث
مهمتهما أن يخرجوا من « الماجور » كمية من العجين لا يشل رزنها عن
١٥ كيلو ، ويضعاهما على « الطاوله » حيث يتلقاها اثنان اخران أحدهما
يقطع بيده هذه الكومة الكبيرة الى قطع صغيرة ، يزنها الثانى ، ثم يدفع
بها الى أربعة من حاملى « النشأب » الذين عليهم أن « ينفردوا » القطع
الصغيرة « الكورة » من العجين الى ما يشبه العيش « الاسكندرانى » الرقيق
والنفوخ • وطبعاً هناك فرق بين النوعين وهو أحد الفروق التي لا حصر

لها بين الكينة والردف . وبعد فرد قطع العجين لتأخذ شكل الرغيف
 بحملها بمهارة من يضعها على « الكريك » ليجمعها آخر اثنى عين الفرن .
 وبعد خبز العجين والتأكد من أنه « استوى » يستقبل العيش المخبوز
 وهو سخن « ملهلب » ثلاثة آخرون فى يد كل مذهب سفحه مبلولة بالماء
 بمسح بها بسرعة « وجه » الرغيف حتى « يلمع » . ويقوم آخرون برص
 الخبز على ألواح من الحديد ، ثم يقوم الموزعون بتوزيع الخبز على
 « الخيام » . كل خبزه حسب عدد افرادها ، ولكل فرد ثلاثة أرغفة
 فى اليوم ، مع وجود استثناءات للبعض الذين لا تكفيهم ثلاثة أرغفة
 فقط ، مثل محمود زينهم من الأخوان المسلمين وهو بطل مصارعة حرة .

فى أيام الشتاء خاصة ، كنت أخرج فى الفجر من تحت أربع
 بطاطين الى سرد الصحراء القارص ، وأسير فى الخلاء حوالى ٢ كيلو متر
 حتى أصل الى الفرن . وقبل خروجى لبس ملابس داخلية « كستور »
 ثم بدلة السجن « العبك » وبلوفر « صوف » وفوق كل هذا القميص ببطانيتين .
 وفى كل مرة كنت أحسب أنى قمت بعمل التحصينات اللازمة ضد البرد ،
 كان « سرسويبا » أو « سرسويين » أو عدد من « السرسيب » تفتشق
 جلدى ، ولحمى لتستقر فى عظامى بباردة كالثلج ! . وكنت أجرى بسرعة
 الى حيث الدفء فى الفرن ، وعند عودتى من العمل فى عز الظهر والشمس
 عمودية على رأسى مباشرة كنت اضع بطانية عليها حتى لا أصاب بقرية
 شمس ، وأحمل البطانية الأخرى والبلوفر الصوف . وبدخلها ٣ أرغفة
 عيش « سخنين » و « نقاوة » ، وكانت هذه الأرغفة الثلاثة علاوة استثنائية
 لكل العاملين فى الفرن الذين يبدأ عملهم فى الفجر فقط .

وفى أيام الصيف يبدأ الجو الرطب بعد منتصف الليل حتى بعد
 الفجر بقليل ، ومع أشعة الشمس الأولى يبدأ الجو فى السخونة التى
 تقتصها ألواح الصاج فوق رؤسنا فى الفرن ، ترسلها الى أجسامنا
 بلا رحمة ، وكلما زادت حرارة الشمس ، كلما ازدادت كميات العرق
 التى تخرج من أجسامنا . ولا يأتى الظهر الا وتكون أجسامنا عارية
 تماماً ، الامن « الثورت » طمعا !

ودون مبالغة ، كان « خبزنا » أفضل من « خبز » القاهرة ، ولا يقل
 جودة عن « خبز » الاسكندرية ، وهذه شهادة «أهور السجن وضباطه» الذين
 كفوا عن أكل « خبز » جناح وكانوا يأكلون من « خبزنا » ! وشهد الاهالى
 الذين حضروا البناء فى زيارات ما شهدت به اذارة السجن . وكنا نعطى
 لكل زائر ٣ أرغفة بأخذها معه عند عودته ، بالإضافة الى ما كان يأكله
 خلال الزمارة التى كانت تستمر يومين متتاليين .

ودون مبالغة - مرة ثانية - تمكننا من صم كحل العيد وبسكويت
 وغريبة بمناسبة الأعياد . كما صنعنا « جاتوه » و « تورته » فى

الخاصيات المختلفة خاصة في اعتماد ميلاد الزملاء . لكن ذلك لم يحدث
 الا بعد فترة أخذنا خلالها التحسينات الضرورية . فقد بدأنا
 « بتكنولوجيا » محلية . ثم استوردنا تكنولوجيا مناسبة للبيئة . مثلا
 بدأتنا « تحميه » الفرن بيران الحطب ، وابتدئنا اني استخدم
 « السولار » . كذلك المطبخ بعد أن كنا نطبخ على « الكانون » . ومي
 صفاش ، أصبحنا نطبخ في « خلل » كبيرة وعلى « بواصر » كبيرة نسعمل
 بالسولار ، كذلك التي نراها في المطاعم الشعبية وعند « بتوغ الطعمية » .
 وكثيرا ما كان يدور نقاش طريف بين المنسكين بالفتحيم وبرون ان « لا سانب
 البدائية نعطي » نكهة » ، خاصة « للطبخ » والحبز . وبسر التناهي
 بالجديد واسالييه الحديثة التي توفر الجهد والوقت . وكان نصنر
 القشيم يضعون الجهد الأكثر نظير الطعم الأذ والأفضل . وبسر عنهم
 دعاء الجديد بأن الجهد الأقل نظير الوقت الأطول للثقافة والتسود
 بالمعرفة ، وحلال المناقشة يطرح أحد الخبثاء سؤالا : ايها أكثر متعة .
 الطعام اللذيذ ، أو قراءة كتاب ، أو سماع قطع موسيقية ، وانظر كيف
 ان بعض الزملاء وقعوا في « حية » السؤال الخبيث مراحوا يتبشرون
 — أنا شخصيا افضل قراءة كتاب عن اكلة نعمة .

— امال عامل زى عجائز الفرح ليه مش عاجبك الأكل ؟

— أنا لم انتقد الأكل الا في الأيام الأخيرة .

— يعني بعد استيراد « التكنولوجيا » .

ويضحك الجميع ويصفقون مهلين ..

— تبقى من انصار القشيم ..

وبيدرك « الطب » الذي استدرج اليه ويشاركهم ضحك والتصديق .
 والحقيقة أن إدخال التحسينات باستمرار على المنشآت العامة في السجن
 وفر لنا كثيرا من الجهد والوقت . وساعد ذلك على زيادة نشاطنا الثقافي
 والفكري والفني .

فقد استطعنا تنظيم وقتنا بصورة دقيقة ساعدت الجميع على
 التحصيل الفكري والثقافي بشكل كبير . فقد كتب المرحوم « خليل غاسم »
 روايته الشهيرة « الشمنجورة » وكتب صلاح حامط مسرحية « الخمر » . وكتب
 مجدى فهمى كتابا عن « التفسير الذى للتاريخ » . وترجم حلم طوسون ،
 مبادئ « الفلسفة » وشريف حتاتة « مبادئ » لآدمد « ناسر » ومعظم اشعار
 فؤاد حداد وزكى مراد وكمال عمار كتبت خلال فترة سجن جناح . وتعلم
 عدد من الزملاء لغات جديدة ، انجليزية ، وفرنسية ، وروسية . هذا
 الى جانب النشاط المسرحي فقد قدمت مسرحيات من تأليف صلاح حافظ
 ورؤوف نظمي وعبد المنعم سعودى .
 هكذا بدأتنا من الصفر ببدايات سدو الصحراء الى امكانيات تقسرب .

(م ١٥ - الرسائل)

من مثيلاتها في المدينة • وأقمنا على أرض الصحراء القاحلة نواذى سياسيه وبمقابله ومرسم ومسرح • ونحولنا نحن من كادحين في بلاد شديدة الخلف يعملون أكثر من ١٨ ساعة في اليوم • الى كادحين في بلاد متقدمة يعملون ٧ ساعات في اليوم ! لقد نمكنا من تحويل عمده اليقعه من **الصحراء الجرداء** الى **أرض تنبض بالحياة** ، ومجتمع صغير نسوده المساواة التامه • لكل فرد فيه حقوق وعليه واجبات ، الجميع يعمل عملا يدويا لا مربى بين رمدل وآخر • وكل ما يصل الزملاء من نمود وطرود **لصالح الجميع** فيما عدا استغناات قليله كحوافز مادية • وشهد كل من زار هذا المجتمع من الاخوان المؤيدين والمسجونين العادين والضباط والجنود بمنايئنه من حيث العلامات الاجتماعية السائدة ، والمساواة المطلقة في الحقوق والواجبات • وتوفير أفضل الظروف للتزود بالمعرفة والثقافة • ومثلما كنت أحس بالكادحين قبل دخولي السجن بشكل نظرى ، كذلك كان تصورى للمجتمع الاستراكى وسعاه • من لايعمل لاياكل « مجرد تصور نظرى • وحين طبنفا هذا السعار في تلك **الأرض الجرداء** أصبح هذا التصور حقيقة • لمد دلت تجربتنا خلال السنوات الثلاث التي فضيئناها في **سجن « جناح »** ، على أن تخطيط أقل الامكانيات القائم على وحدة الفكر والعمل هو الطريق الوحيد لبناء مجتمع المساواة في الحقوق والواجبات للجميع • واذا كان الانسان هو أداة خطة البناء، وعندها لبناء مجتمع متقدم ، فقد نحنا أيضا في تحويل هذه المقولة الى حقيقة • ففي ظل أصعب الظروف لم نتوقف لحظة واحدة عن تنقيف أنفسنا • وكما قال لنا يوما أحد الضباط الاصدقاء، أن تسود هذه الروح بين عاملين أحرار وفي مجتمع حر ، أمر يستحق التقدير أما أن ينجح **مسجونون** في ظروف بالغة الصعوبة ، ولا يعرفون متى يخرجون للحربة فهو **أسطورة** ••

ذات يوم من أيام سجن جناح ، دار حوار طريف بين عدد من الزملاء، بدأ بنكته من أحد الزملاء العمال :

- أنا شخصيا مبسوط جدا هنا •
- وتلقى النكتة زميل عامل آخر •
- نعمة يحفظها من الزوال •
- باستنكار يقول زميل متقف :
- مبسوط أيه •• ونعمة أيه •• يا زملاء •• الحرية هي كل شيء • •
- ليس بالحربة وحدها يحيا الانسان •
- ويرد المتقف :
- دى نظرة ضيقة الأفق •
- لييه بقى ؟
- أن تفضل الأكل على الحرية •

وبضحك زميل ثالث من العمال :

— وقع في « المطب » .. وهل هناك تنافس بين الأكل والحرب ؟

— أصل له مفهومه الخاص عن الحرب .

ويغضب الزميل المثقف ..

— أنهم من كده أنكوا نفضلوا السجن ، هنا « عن حرية »

ويقول الزميل الأول الذي بدأ الحوار بينك

— ببساطة .. نتمنى الخروج من السجن .. ونرجو أن تتوفر لنا في

بيوتنا ما نأكله هنا ..

وتبدو « الدهشة » على وجه الزميل المثقف :

— للدرجة دي ؟

— وأكثر يا زميل !

— ازاي ؟

ويصبح الزملاء العمال :

— لا بفي .. ده مس معقول .

ويدرك الزميل المنفرد مناخرا — أنه نسي ما مره وسمعه من حصاة

العمال والكادحين .

هذا الحوار يا حبيبتي لم يحدث ناطع . وإنما هو صورة فنية

أردت بها أن أجسد لك حقيقة عاربه ، « ينصفه » من حكر

والممارسة . كثيرون من أبناء الطبقات «عذرة البشر حشو» «مكر

التقدمي لم يستطعوا حل التناقض بين ما يحملونه من فكر . وبين

ممارستهم للحياة ، لسبب محدد هو أنهم ذلوس . وسبب أساسي

مجال الحديث عن الاضرار التي أصابت الحركة النورية حين نؤس ببعضهم

مراكز قياضية ، وإنما أريد أن أصور لك سلوكهم في سجن « جنح »

في نظام حياتنا وكيف استطعنا من حائل إعادة تنظيمهم . أن نصير

إلى المجتمع النموذجي الذي كتبت لك عنه في هذه الرسالة . ثم

كانوا خارج السجن « يشتركون في المعركة مع الحكم الوطني » أبناء

العدوان الثلاثي وبعده بشهور « الضرب العنصر عليهم » وصدرت أحكامهم

ضد بعضهم ، وافرغ عن البعض الآخر نبراه ، ثم ارتد بهم «

في الواحات في أوائل عام ١٩٥٧ . وكان أول « ضارب »

مظام « الحياة العامة » غنينا « الذي مفهوم على أنه «

الجميع » مع استثناءات منه جدا . لقد كانوا « ضاربين »

العظيمة التي استطعنا أن نفرسها في موس «رملة» المسكونين

القدامي — « منذ عام ١٩٥٢ — لكننا عالجنا الأمر بمرونة وحكمة

واستطعنا أن نحمل مجتمعنا النموذجي وسوف تكون رسالتنا الخفية

عن هذا الموضوع يا حبيبتي .

٢٥ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٢٧)

حبيبتي

مع كل دفينه تمر منذ التقيت بك يزداد يقبضى بلحظة الصدق التي أعيشها ، ويزداد اصرارى على التمسك بها حتى آخر دقيقة من عمري . ربما لا يجد واحد من زملاء المسيرة ما يفرضه فى رسائله السابقة ، لكنى أرجح أن هناك من سيجد فى رسائله المقبلة ، ما سوف يفرضه . وربما يلقى فى وجهى بعدد من الاتهامات ، لكنها لن تصل بأى حال الى تلك التي الصقوها بعدد من الثوريين . ومتى ؟ فى ديسمبر عام ١٩٥٦ . وكان المدانون وبعض الذين أدانوهم صدرت ضدهم أحكام بالسجن والأشغال الشاقة . على أن هذا ومثله ليس مجال حديثي فى هذه الرسائل ، وسبكون لها مكان آخر . وحديثي هنا ينصب فى الأساس على نموذج من السلوكيات الشخصية داخل السجن حيث يكون الإنسان عاريا تماما لا يستطيع ستر عورة من عوراته ، تحت أى فناع أو سنار . لقد دلت تجربتي الخاصة على أن السلوك الشخصى هو محك صدق الثورى . فالثوريون يا ابنة المستينات من طيلة خاصة . وبقدر ما يكون التكوين الانسانى للثائر سويا ، بقدر ما ينبت الفكر ، وينمو ويزدهر ، ثم يجنى ثمارا يانعمة له وللآخرين . وفى قاع النفس اللا انسانية تضيق كل جرعات الفكر التقدمى الانسانى ، اذا وصلته ، أو تقف غدهم التي لا يرسلها الا الى لسانه فقط ، ليلوكمها فى حديث **ميهو** ، أو مقال **رشيق** يحتوى على « **بهارات** » نورية جدا ! . واليك تجربتنا معهم فى نظام الحياة العامة :

منذ بدأ تواجدنا فى السجون بال عشرات منذ الخمسينيات ونحن نطبق نظاما للحياة العامة يقوم على أساس **مساواة** كل الامكانيات التي ترد البناء واعادة توزيعها على الجميع يتساوى فى ذلك من تصله امكانيات مهما بلغت قيمتها ، ومن لا يصله شيء على الاطلاق . طبقنا هذا النظام فى **سجن مصر** وفى **ابى زعبل** وفى **ليمان طوره** وفى **سجن « جناح » بالواحات** . وخلال تلك السنوات - ٥٢ الى ٥٧ - لم يثر اصحاب الامكانيات - على قلتهم - اقل معارضة لهذا النظام وبلغت حماسهم له انهم كانوا يعملون باستمرار على مضاعفة

امكانياتهم كلما اشرفنا على الانلاس الذي يهددنا بان نعيش على ما يقسمه لنا السجن فقط وهو دون الكفاف .

وكانت المفاجأة في أوائل عام ١٩٥٧ حين وصل أيضا من سجن القناطر الخيرية عدد من أصحاب الامكانيات ومعهم عدد من المعتقلين ويحملون معهم نظاما للحياة العامة يقوم على أساس مصادرة ٥٠ ٪ فقط من الامكانيات لصالح الجميع ، وال ٥٠ ٪ الباقية لصاحب الامكانيات .

ويدور نقاش بين الزملاء القادمين من سجن القناطر المحررة وبين مسئول الحياة العامة في سجن « جناح » بالوحدات الخارجية ويتوقف حتى اتخاذ قرار .

وجائني مسئول الحياة العامة ، فقد كنت في ذلك الوقت امك اتخاذ القرار ، قال :

- اليك استقالتي .

- وهل امك قبولها ؟

- ولماذا لا تملك ؟

- انت منتخب ولست معينا .

- أفدعها للجمعية العمومية .

- ربما امك علاج الموقف .

- لا أظن .

- كيف ؟ انهم زملاء ١٠٠ !

- أشك في ذلك .

- كلامك خطير .

- واتحمل مسئوليته .

- الى هذا الحد ؟

- وأكثر

- انتظر .. سنرى كيف تعالج الموقف .

وأبدأ نقاشا مع الزملاء :

- المسألة في غاية الحساسية وأرجو أن توافقوا على نظامنا .

- وهل تصادر الامكانيات خارج السجن لصالح كل الزملاء ؟

- أفضل أن نرتفع بمستوى المناقشة .

- لكنك لم تجب على السؤال ؟

- ما زلت أحترم ذكائكم .. انتم تفهمون ما أعنيه .

- اليس لكل انسان احتياجاته الخاصة ؟

- بالتأكيد .. ولكن زيونسي أيضا

- المريض الذي يحتاج الى طعام معين .

- يوفره له نظامنا سواء كان من ذوى الامكانيات أو من عديمها .
- المأخذ الذى يئرب ٤٠ سيجاره فى اليوم مثلا .
- ربما يجد ظروف لا يجد فيها سيجارة واحدة .
- وفنئذ نكون المسألة مفروضة .
- أليس من الأفضل أن يكون الأمر بارادئكم ؟

كان هجدى فهمى وسعد باسبلى بسارخانى مى هذا الحوار . بداولنا مى الأمر مره أخرى وانقئنا على نفل حوارنا مهمم الى كل الزملاء ، وهو ينضم اءانة لموقفهم ، فى ذات الوقت يتضمن اصرارا على نظامنا للحياه العامه والذى ارضيناه ما يقرب من خمس سنوات . فى ذات الوقت فنزح نظاما آخر مرنا جوعره المصادرة ولكن مع استئناء بعض الأشياء والتنازل عن ١٥٪ من قيمة ما يئرد اذا زادت القيمة عن ٥ جنيهات ولن يرغب . وكان من المستحيل أن نتجاهل انانية من يملكون الامكانيات والتي يمكن أن تدفعهم بعد تغليفها « بموقف هجضى » الى تغليل ما بةءمونه أو حتى الى الامتناع عن تقديم شئ بالمرة . وعند مناقشة هذا النظام الجديد معهم وافقوا بشرط أن تزيد نسبته الاسئفاء الى ٢٠٪ اذا زادت قيمة ما يئرد من امكانيات عن ١٠ جنيهات ولم نعترض . فالذين نقل ميمه امكانياتهم عن ٥ جنيهات لن يطالبوا بنسبة لانهم مع المصادرة الكاملة ، وأولئك الذين تزيد قيمة امكانياتهم عن ٥ جنيهات فهم الذين يصرون على حقهم فى جزء لهم .

ومع أننا بذلنا جهودا مكئفة لانئاع زملائنا القءامى للموافقة على هذا النظام الجديد ، ولكى تكون نظرتهم الى ذوى الامكانيات واقعية . فان العلاقات الانسانية بينهم لم ترتق ابءا الى مثل ما هى عليه بين الزملاء القءامى .

ربما طال حدبئى مليلا عن الموقف من نظام الحباه العامة داخل السجن ، وانما أردت بذلك أن أطرح جانبنا من جوانب السلوكيات المسحبة للمناضلل خاصة داخل السجن حيث الهدف الأساسى هو خلق أرقى علاقات انسانية بين الجميع ، كضرورة للمقاومة الجماعية لكل الظروف الصعبة التى يواجهونها فى السجن .

لقد حسبنا عندما حضر أئينا الزملاء من سجن القناطر الخيرية فى أوائل عام ١٩٥٧ أننا سنسمع الكثير عن تجربة تعاونهم مع الحكومة الوطنية ، وسنسمع أكثر عن دورهم فى المقاومة الشعبية فى بورسعيد ، وأحبرا ، وليس آخرا ، عن سبب تفاؤلهم الشديد فى قضية الإفراج عنا بعد تأمم قناة السويس ، ثم بعد العدوان الثلاثى ، ولكن بدلا من كل هذا وجدناهم يستهلكون وقتنا فى قضية تتعلق بذواتهم فى المقام الأول !

ذات مساء من ربيع عام ١٩٥٧ ، وكنت مستلقيا على سريرى الخصى على الخيمة ، وجدت نفسى أمام سريط طويل من ذكريات الماضي البعيد .
الأربعينات ، **وثمانية عشر شهرا وسبعة عشر يوما من الخمسينيات** . ما عسى حصيلها اليوم ؟ فحاة طفروا الدموع من عيني عريده . حزن من لخمه مسرعا الى مكان بعيد وسط الصحراء ، ممر ١٤ برسر سوره على امكن وبكاد يحيل طلام ليله الى نهاري لكن عبات لا سره . ولا يحس الا بظلام مستعيل حالك المسود . هوا ربيع 'صحراء' نفسى ومعض ، لكنى اكاد أعتقد ! وآلام حادة فى كل جسمى . نمند لى عطشى وكاد نحلطها ، دوار يلفنى وصدا يكاد يحطم رأسى . وأروح فى 'عنه' .
 أصحو منها على صوت ودود ، وأرى **الدكتور رؤوف نظفى** وعلى وجهه 'بسامته' الإنسانية :

- نومة لذيذة فى الهواء المنمش ده .
- نومة وأغمساء ؟
- وافت برصه من الصنف الذى يغمى عليه ؟
- أبيه بقى ؟ انسان ميكانيكى ؟
- قدرتك على التحكم فى انفعالاتك كبيرة .
- وكل قدرة لها حدود ..
- أتق فى انها لن تصل الى تلك الحدود .
- أرجو ..
- يقول وابتسامته لا تفارقه :
- تسمع حقة الزجل دى ؟
- أنت عارف يا رؤوف .. أنا أحب اسمك وأنفعل بكلماتك .. لكن ..
- حالتى لا تسمح .
- طيب ما نيخى نروح عند الملك ؟
- لا ، أفضل أن أجلس هنا قليلا ..
- لوحدهك .. لا ..
- أرجو ..
- لا تنس أننى مشروع طبيب .
- وبهزئى ضائقى . ويذعب دعنى بعيدا الى أواخر الأربعينات .
- كان **رؤوف نظفى** واحدا من المناضلين النادرين على كسب ثقة الجماهير ، بين طابئة كلية الطب حيث كان طالبا ، وبين عمال وأهالى حى بولاق حيث ولد هناك . احترق العمل الثورى وعومى السنة الثعالبية . ثم قبض عليه وقام خلال محاكمته بعمل دفاع سياسى يعترف فيه بعضوية التنظيم الذى فصله ويدافع عن سياسته على الرغم من بعض تحفظاته عليها .

هل كان من باب الصدفة أن يدان رؤوف نظمي وعدد آخر من
الزملاء وكلهم من المعروفين بشعبيتهم كال**محمد الزقم** و**عبد الخالق الشهلوى** .
وبغيرهم من الذين أدوا دورا هاما في الحركة الثورية مثل **داود عزيز** و**وليم**
طانيوس ؟ . وأن تصجر هذه الادانات والمعركة الوطنية في عنفوانها ؟
ما أخطر الذاتية حين تتمكن في نفوس الذين يملكون اتخاذ القرار !
وأرى رؤوف نظمي نادما نحوى ومعه **مجدى فهمي** ، وملك الصحراء ،
وبدور حوار انساني أحكيه لك في رسالتي المقبلة يا حبيبتي .

٢٨ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٨)

حبیبی

لماذا خرجت في تلك الليلة التي حدثتك عنها في رسالتی السابقة من خیمتی الی وسط الصحراء ؟ هل كانت الرغبة في وقفة مع النفس ؟ كلا . فالتقييم الذاتي هو جوهر الوقفة مع النفس . هل كانت محاولة لتقييم موضوعی للمسيرة منذ انتزعونی من موكبها ؟ كلا . لست ادري علی وجه الدقة ما الذي كان یسيطر علی کيانی ویکاد یهدد هكذا . ربما كان حیثا اقرب الی احساس ام ذبحوا ولبسدها أمام عنینها . لقد شغنی هذا الاحساس **المؤلم** والبالغ القسوة وأنا أرى طریق المستقبل المنظور **حالك الظلام** ، بعد أن كان فی بداية الخمسينات یبشر بمستقبل مشرق . ولكن لماذا تملكنی هذا الاحساس بعد مجئ زملاننا من سجن **القناطر الخيرية** منذ سهور وفي تلك الليلة علی وجه التحديد ؟ حقا كان لهذا الاحساس ارماسات ، لكنها لم تجعلنی يوما قبل ذلك الیوم المسود أنسام فی المستقبل المنظور وبمثل هذه النظرة نبه الناس . منذ القی القبض علی كانت لنا ملاحظات سياسية وفكرية وتنظيمية علی عمل زملاننا فی الخارج ، بحثنا بها اليهم ، ولم نلق منهم يوما انفی اهتمام . كانوا من علیائهم یرسلون الینا بكم مائل من التقديرات والنجبات . لواقفنا البطولية فی السجن ! ولصمودنا فی وجه **الارهاب** ونجاحنا فی المحافظة علی **وحدة الزملاء** داخل السجن ! لكن درن اسارة واحدة الی ما نرسله لهم من نقد حول مواقفهم السياسية والفكرية والتنظيمية . وكنا نقابل كل هذا الکم من التقديرات والتحيات بفتور بلخ حد السخرية فی بعض الاحیان ثم وصل الی حد الاستنكار حين وصلنی قرارهم الذي یخص علی التقدير الخاص یسی ء ضمن قائمة قرارات الادانة لحدد من **أخلص الزملاء** ، وسجلنا استنكارنا هذا فی شكل رفض لهذا « التقدير » وادانة الهدف منه ، فی ذات الوقت اتخفنا قرارا كنا نملك حق اصداره برفع الاتهام عن الزملاء **الدائین** . ومع ذلك فقد ظلوا فی « علیائهم » ولم تصل الینا كلمة واحدة منهم . حتی حين أوقفنا قرارا منهم « بالتحقیق » مع زملاننا « القداسی » والمجرنین . منذ أكثر من خمس سنوات سكتوا ولم ینطقوا بحرف واحد . وكانت

انفسه اشرى مضى ظهر انيعير هو موقفهم من نظام الحياة العامة .
نقد صانع كل شيء ولم تبس سوى قيمة الروح الجماعية التي
مجنبت في سكتدعها عدد زملائنا القدامى ، مهمل يربطون تدميرها
بعد ان دهروا كل شيء في الخارج ؟

ويسخسى من ماملانتي صوت « ملك الصحراء » .

• ولا سبكك ما درس .

• ولا يهمني من ائمة ما ملك ؟

وبمضى رؤوف نظمي :

• طول ما قينا نفس منى راح فسكت ابدا .

• ونه الى تعدر نعمله انفاستنا الياقبة .. في السجن ؟

ويسود الصمت لحظة .. يقطعه قول مجدى فهمي :

• وقف التدهور على الاقل .

• ارحو ان لا نكون مد وصلنا الى نقطة اللا عودة !

ويبسم مجدى فهمي ويمول :

• لا دى الحكاية عاوزة مفاجى فهو من بن « قشطة اليمن » .. ايه

رايك يا ملك ؟

ويصبح الملك .

• اجري يا رؤوف جهز لنا عدة الشغل . .

• وبلتفت الى رؤوف نظمي . .

• عاور قهوة ، منففين ، ولا قهوة ، فلاحين ، با درس ، ؟

• ما كفايانا متقفين يا رؤوف . .

وفي خيمة الملك اجد عددا من الزملاء الذين تربطنى بهم علاقة ابوية ،
مجموعة من الشباب لا يزيد عمر اكبرهم عن ٢٢ عاما . نبيل حلمي
الطالب بالسنة النهائية بكلية الآداب . جسمه الفحيل يحمل امراض
الكبد ، والكلى والاستباه في الصفراء . مجدى نجيب ابتسامته الانسانية
وتلقائيته النسي تبتر بمولد فنان كبير على يد الملك . ماجد حافظ
الطالب بالثقافة العامة « العمدة » الذى يسهر على راحتنا . مصطفى
حامد عامل الخراطة الذى تعلم القراءة واكتاتية فى اقل من ثلاثة
اشهر . وكتب بتشجيع منى تحبلا سياسيا نشرناه فى الفترة الداخلية
ومحمد خليفه طالب الثانوية العامة الذى حكم على بالاشغال التساقطة
عشر سنوات معي . وفابز مراد طالب الثانوية العامة بتكوينه الانساني
السوي المغطا . وابنسامنه الذكية احبانا ، والخبيطة احبانا اخرى ، وسعبد
عبد اليرهاب الفنان الموهوب .

ما ان دخلت خيمة الملك ، حتى احتوت كيائى المهدود كلمات
الزملاء ، اينائى .

ماجد حافظ ، عمدة خيمتنا ، يقول :

- انمذ نفسك با زميل .
- ليه با عمده ؟
- جرائل الميه فاضيه . .
- معاك حق . . نسيت .
- يعنى آيه نسيت . . افترح عقوبه على نفسك .
- افترح انت با عمده .
- العمده لا يفترح . . وانما يقرر .
- قرر وسانفذ فوراً .
- خذ ٣ سجاير هوليود « لارج » . .
- واضحك قائلاً . .
- على كده راح انسى كل مره . .
- ويقول متوعداً :
- لا . . المرة الجايه بقى . . هاتسوف .
- ويقول مجدى نجيب . .
- اتنى اتهم . .
- آيه يا مشروع قنسان .
- تعطيل المشروع .
- ازاى ؟
- انت نسيت يا استاذ ان موعدنا اليوم لرسم « بورتريه » لك . .
- معاك حى يا مجدى . . متأسف . .
- اقترح عقوبه لنفسك . .
- ترسمنى مرتين . .
- ويضحك الجميع من قلوبهم . .
- ويقول مصطفى حامد :
- كله كوم . . وحسابى معاك كوم لوحده .
- كان موعدى معك . . لراحمه مقالى للفسره .
- وده معناه آيه عند الثوربين . .
- تخريب الثورة طبعاً . .
- اقترح عقوبه لنفسك . .
- والتفت الى الملك ضاحكاً . .
- اقترح انت نا ولمم . .
- ويقول وليم ضاحكاً :
- الشنق طبعاً . .
- ويضح الزملاء بالضحك . . والتفت الى رؤوف نظمي قائلاً :
- احدث طريقه للعلاج يا رؤوف .

ويقول بؤد وحب :

- أولئك وأحبك . . عاوزينك !

وأحس بكيانى المهود وقد تبددت كل آلامه ، وصوت من داخلى
بصرخ بأعلى صوت الحقيقة مؤلمة ، نعم ، لكن مسئوليتك تضاعفت
عشرات المرات !

وبيناولنى الملك فنجان القهوة . .

- فنجان مهوه « قسطه اليمن » يعمل الخ . .

وأقول ضاحكا .

- ما دام تهوه « فلاحين » يبقى راح يعمل الخ . .

- همه دول يا درس مبين غيرهم .

ويحتج مصطفى حامد :

- والعمال راحوا فين ؟

- يا سدى الممال . . قيادة .

- للسلطة والا من خارجها ؟

- ما خلاص اتعدلت . .

يضج الجميع بالضحك وهم يتناولون قهوة « قشطة اليمن »
التي تبرع بها الملك على شرف « درش » وبهمس مجدى فهمى فى أذنى :

- أول مرة تخرق اتفاقنا . .

- كنت فى حالة سئة جدا .

- هذا ادعى . .

- معك حق . .

- اذن لنا قعدة .

الهدوء يعود الى نفسى المضطربة وانسام الساعات الباقية من ليلة
ذلك اليوم . وفى مساء اليوم التالى التقى مع مجدى فهمى فى احدى
« قعداتنا » الناربخة :

أسأله :

- هل كان موقفنا بائسا . .

- بل كان خطوة نحوه .

- ولكنى انسان .

- حقيقة وموقفك دليل جديد يؤكدما .

- وأن تكرر ؟

- يصبح مهزلة .

- وتكتمل المأساة .

- لا يزال فى نفسك ما بسمع بتكرار الموقف .

- وكيف يزول نهائيا ؟

- أن تكون أنت ؟

- كان في الخارج طريق من أمل .
- ليكن الأمل هنا .
- نبدأ من الصفر مرة أخرى .
- وهل نملك غير ذلك ؟
- كتبنا نتحدث ونحن نسير في الصحراء ، ويعيون الزملاء من معبد ترند .
- ما كانت نراننا متعاقبين ، بعكس نور القمر ظلنا . حسنا واحد .
- يخرج علينا سعيد عبد الوهاب ، لا ندرى من أين وهو يصيح . .
- اثبتوا . . خليكو زي ما انتو .
- آيه يا فتان الجبل الصاعد ؟
- حنة دين منظر . . مدهش .
- راح ترسمه يا سعيد ؟
- أتأمله ! الفن تأمل يا أستاذ .
- ذا الحب يا سعيد .
- وهو الحب من في يا أستاذ ؟
- الحب بجميع أنواعه هو علاقة انسانية جوهرها تصديق .
- الصدق مع الذات ، والصدق مع من نحب . حبيبنا كار ، أم زملا . أو
- واحدا من ذوي القربى .
- وهذا الحب « الانساني » ليس غائبة في ذاته . انه غائبة ومى نفس
- الوقت وسيلة الى غاية اسمى : هي حب الوطن بكل ما نرفسه هذا
- الحب من التزام ومسؤولية ، واستعداد لبذل الحياة ذاتها من أجله .
- والتفت الى مجدى فهمى قائلا :
- مجدى . . انت دائما تصيب كبدا الحقيقة . .
- ليس دائما والا أصابني الغرور !
- ويستطرد ضاحكا :
- ما مى آخر حقيقة أصبت كبدها ؟
- فو لك ان الأمل من هنا .
- فعلا لم يعد الا من هنا .
- ومنذ ذلك التاريخ نفصنا كل الاوهام عن كاعلتنا . لنبدأ من جديد .
- من السجن ، وبالزملاء الذين اتبعوا خلال نضالهم خسارح السجن ودلجته .
- انهم قادرون على مواصلة المسيرة .
- كيف بدأنا ؟ وما الذى أنجزناه منذ منتصف عام ١٩٥٧ حتى انتقلنا
- من سجن « جناح » بالوحدات الخارجة الى سجن « المحاربين » بنفس الوحدات
- في أغسطس عام ١٩٥٨ ؟
- هذا ما سوف أحدثك عنه في الرسالة المقبلة يا حبيبتي .

٣٠ يوليو ١٩٧٧

القاهرة

الرسالة (٣٩)

حبيبتي

كان علينا بعد منتصف عام ١٩٥٧ بعد اعتزاز الثقة بزملائنا في الخارج ، ان نسنمد أملنا في مواصلة المسيرة من زملائنا في السجن بعد خروجنا . كان مرارنا : من السجن نبداً من جديد . هذا على الرغم من الاخبار التي وصلتنا عن مباحثات الوحدة بين التنظيمات الثلاثة وقرب وصولها الى تطعيم واحند « تسامخ » ! ولقد كان شعار الوحدة جذاباً للغالبية العظمى من قواعد وضادات التنظيمات الشيوعية في مصر . وكان موقف المسجونين من الوحدة بنجس في وحدتهم الطليعية في مواجهه ظروف السحر وانعكاس هذه الظروف على أفكارهم السياسية والايديولوجية والتنظيمية . لذلك رحبنا بأخبار مفاوضات الوحدة . وان كان هناك سؤال بجول في أعماقنا : لماذا اذفعت القيادات التي عاشت سنوات طويلة ممسمة على بعضها ، وبحكم كل منها على الآخر بالانحراف ، والانتهازية ، بل والخيانة ، الى الوحدة ، وبهذه السرعة الجنونية ؟ وهل ينبع هذه الوحدة من ايمان حقيقي بضرورة انتهاء الانقسام الطويل ، أم انها محاولة بائسة لقيادات تسمر باهتزاز ثقة فواعدها بها ، وتحاول استرداد هذه الثقة ؟

وكان علينا ان نجيب على السؤال الكبير .

كيف نعد انفسنا . وتعد الزملاء لمواصلة المسيرة بعد خروجنا من السجن على أسس نظرية وسياسية أكثر وضوحاً ؟ وكانت الاجابة هي : دعوه كل الزملاء الى تنديم كل المواقف الفكرية والسياسية لزملائنا في الخارج منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بهدف الخروج بدروس مستخلصة . وفي وجه معارضة سرية واتهامات عديدة لنا من بعض الذين حضروا انبسا في عام ١٩٥٧ ، قررنا تخصيص النشرة الداخلية لمناقشة موضوعات اذكر منها : الموقف من نورة ٢٣ يوليو عند قيامها . الموقف من أزمة مارس ١٩٥٤ . الموقف حلال العدوان الثلاثي . مفهوم الوحدة الوطنية وعلاقته بمضمة الديموقراطية والحيات السياسية ، كذلك مناقشة أهم الموضوعات النظرية التي تضمنتها بعض التقديرات الأساسية التي كتبها زملاؤنا في الخارج وأعمها . « حزب السلطة » . و « الوحدة مع الانتهازية » تغليب لها « و « قرارات ديسمبر ١٩٥٦ » .

وخلال أشهر قليلة صدر من النشرة الداخلية « الوعي » عشرون عدداً. اجتمعت على الرأي الرسمي وكان الذين يداخسون عنه يداخمون في الواقع عن ذواتهم ، وعلى الرأي المعارض ، ومد جاء بآراء جديده . وأخرى كانت مرفوضة رسمياً في وقتها على الرغم من صحتها . ونفصلاً عن أن هذه الأعداد من النشرة ، كان لها قيمتها السياسية والفكرية ، فإنها قد أكدت حقيقة أن إطلاق حرية كل الزملاء في المؤسسة ترفع من وعيهم ، وتؤكد ذاتهم ، وتزيدهم ثقة بأنفسهم . ولقد كانت هذه التجربة التي لم تحدث في تاريخ التنظيمات الثورية في مصر أو خارج مصر مؤشراً لمفهوم جديد بدأت صياغته الأوسى منذ ذلك الحين عن الديمقراطية داخل التنظيم ، ربما نستطيع أن نكتب عنه في وقت آخر فليس موضعه هنا .

لكن ما أود قوله هنا ، هو أن هذه التجربة الفريدة رغم أنها كانت منافية للتقاليد التنظيمية المعروفة ، فإنها قد أجابت على العديد من الأسئلة المطروحة وقتئذ . كيف ينق الزملاء بفكرهم على مواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن بعد أن نصصوا عن كنههم القطن بأوصافهم فساد زملاتهم في الخارج ؟

كيف يحتفظون بطهارتهم الثورية ونقايتهم الفكرية بعد انصاف الوحدة بين التنظيمات الثلاث وما سوف يواجهونه من أرماب فكرى تحت ستار « المحافظة على الوحدة » ؟

كيف يمكن أن يفهموا عدداً من الحقائق وبمحلصوا منها تجربة جديدة لمواصلة نشاطهم بعد الخروج من السجن ، حقيقة سكتية الوحدة ، وحقيقة سقوط القيادات التقليدية ، وحقيقة أنه لا أمل إلا في الجديد الذي يقوم على اكتافهم ، وحقيقة أن قضية الانسراج عنا قد تراجعت الى الخلف ، وأصبح الأمل هو في الخروج من السجن بمعد انتهاء مدة العقوبة ؟

كيف يمكن أن يصمد الزملاء في وجه « ظروف انسجن الصعبة » محافظين على شرف التزامهم بالفكرة رغم هذا الواقع المؤلم . داخل انسجن وخارجه ؟ لقد خلقت تلك التجربة الفريدة نواة صلبة . نمك وضوحاً سياسياً وفكرياً ، كان سلاحها في القتال ضد البهيم وعمد انيسار داخل تنظيم الوحدة الجديد ، وكان سلاحها الذي قاتلت به دفاعاً عن سرفها والتزامها .

وتشهدت الشهور السابقة على نقلنا الى سجن « المحارقيق » باتواحات الخارجة في أغسطس عام ١٩٥٨ أحداثاً عامة وأخباراً مثيرة : ١٠ من بين هذه الأحداث « الهامة » شهدت تعثر مفاوضات الوحدة بين التنظيمات الثلاثة وإعلانها بين تنظيمين ، فأممنا احتفالات ، بهيجة ، مناسبة

هذا الحدث « السعيد » . ثم شهدت اعلان الوحدة بين التنظيم الواحد الجديد وبين **التنظيم الثالث** - واقمنا احتفالات « **مهيبه** » مناسبة هذا الحدث « **التاريخي** » . ثم شهدت انقساماً - بعد أقل من أربعة أشهر من « **التنظيم الكبير** » ! وكان المقسمون هم الذين اتحدوا معهم منذ أشهر عبر ان الانقسام والوحدة ، ثم الانقسام مرة أخرى لم يؤثر على علامة **المسجونين القدامى** التي دعمتها الخبرة المشتركة خلال سنوات السجن . ولقد صاعدت هذه العلاقة القوية على تنظيم مقاومتنا لما ينتظرنا في سجن « **الحاريق** » **الجديد** . فبعد اعلان « الوحدة الثلاثية » حمل اليها زملاء القى القبض عليهم في أوائل عام ١٩٥٨ حوكموا ونقلوا اليها في « **جناح** » اخبار بناء **سجن جديد** « **مخصص** » لنا في **الحاريق بالوحدات الخارجة** . ما الذي ينتظرنا في السجن الجديد ؟

ويضحك **حليم طوسون** قائلاً :

- اللي اكلناه وز . وز . راح يطلع علينا بط . بط .

كان نقلنا من ليمان طره - بعد **الاضراب العام** الذي دخله كسل **المسجونين في الأيمان** - الى سجن هو اقرب الى معسكر ، اجراء سريعاً لعزلنا عن المسجونين هناك ، وحتى يتم بناء **سجن « الحاريق »** في **قلب الصحراء** .

هل يطبق علينا نظام السجون التقليدي ، في سجن مثل هذا في قلب الصحراء ؟

ويهمس اليها أحد الضباط الأصحاء . .

- سينتقمون للسنوات التي أخذتم فيها حرييتكم هنا في « جناح » . .

- وهل يملكون أكثر من النظم التقليدية للسجون العادية ؟

- لقد أعدوا لكم **نظماً خاصاً** .

وتبدأ في اعداد أنفسنا للحياة في **سجن « مغلق »** في **قلب الصحراء** . لم يدر بخلنا يوماً أننا سننقل الى سجن له « زنانات » مرة أخرى في قلب الصحراء . حسينا أنهم قد القوا بنا الى ما لا نهاية . لكنهم كانوا يتاملون غظاً ، فكيف نكون **مسجونين ونعيش كالبشر** ؟ كانوا يريدون « بسجننا » أن نمتنع عن تعاطي « **الدعابة والفكر** » ماذا بنا ننهل منهما لنغذي عقولنا وأرواحنا ؟ كيف يغمض لهم جفن ، أو بهذا لهم بال ، ونحن هنا ، في **للصحراء** التي أرادوا قبرا لنا نغنى ونرقص ، ونعيم الاحفالات ، ونعرض المسرحيات ؟

كم بقى أماننا من وقت كي نعد أنفسنا للظروف الجديدة في **السجن الجديد** ؟ ويأتى اليها الخبر « من منبعه الاصلى » من مكتب

قائد السجن الحربى • ! ويحمله الينا الزميل محمد مختار جمعه الذى وصل الينا حديثا ، فى أبريل ١٩٥٨ ، بعد اعلان الوحدة « الشامخة » ! بما لا يزيد عن ثلاثة شهور • كان مختار جمعه مجندا فى الجيش حين القوا القبض عليه • عذبه الخبايا العماة ، « نفخته » و « جلده » وحرقته ظهره بالحديد الحى « وغلخت انظاره » ، ووضعوه عاريا فى الماء الغلى ، كى يعترف على واحد من زملائه ولكن دون جدوى • كان بطيلا ، فاقت بطولته الأسطورة • وحين ضاقوا ذرعا ببطولته وهم الجبناء رغم كل ما يملكون من حديد ونار قرروا ارساله الى سجن « جناح » بالوحدات الخارجة • وفى مكتب قائد السجن الحربى قبل ترحيله بساعات سمع محمد مختار نقاشا بين قائد السجن وبين احد ضباط المخابرات :

- مشى كان احسن نرميه هنا ؟
- مفيش فايده • • لن يتكلم •
- راح ياخذ حريته فى « جناح » • •
- كلها كام شهر ويروحوا كلهم « للحارق » •

وتأتى الينا اخبار اخرى تؤكد ان سجن « الحارق » على « التشطيب » وأن بعثة من ضباط المباحث العامة ، والسجون والمخابرات ، قامت بزيارته للاشراف على التشطيبات النهائية ، ووضع نظام لحياتنا هناك • وقرروا أن ندخل فى سياق مع الزمن حتى لا نفاجا بنقلنا الى الجهول الذى لم نستعد له •

المعرفة هى زاننا الذى لا يمكن أن نعيش لحظة بدونها وتحت أى ظريف من الظروف مهما بلغت قسوته • هذه الكتب والتقارير والبحوث والجلات سوف يلتون بهما الى افواه الذيران لتلتهمها • ولكن متى استطاع اعداء المعرفة الانسانية ، بكل ما يملكون من أدوات البطش والارهاب ، وعلى مر العصور ، أن يحجبوا المعرفة عن طلابها ! وكان أول قرار نتخذوه هو اعادة نسخ كل ما نملكه من كتب وبحوث على ورق « بفر » و « بفر » • و « بفر » • اداة لشراء كميات منه ، بسرعة من بلدة « جناح » التى مشرب أهلها سجون • وتكليف أعمالنا بشراء اكبر كمية منه من القاهرة • وخلال أشهر من شهرين تم نسخ عدد كبير من الكتب الهامة ، وكل التقارير والبحوث التى نملكها على ورق « البفرة » بخط رفيع جدا وغاية فى الوضوح ، نستطيع قرائته دون جهد كبير •

كان حماس الزملاء وهم يقومون باعادة نسخ ما فى هذه الكتب والتقارير من معرفة على ورق « البفرة » يفوق التصور • كانتوا حريصين عليها حرصهم على حياتهم • وحل يمكن أن تكون لحياتهم معنى •

بحدون **الثقافة والفكر ؟ الثائر لا يموت** ، اذا قتل او مات ، انه يموت فقط عندما يحجبون عنه **المعرفة** . وايدا لن نستسلم ، لن يقتلوا ما في داخلنا من حب وصديق ، شرف وانسانية نعتزفها من معين المعرفة الانسانية الذي لا ينضب أبدا .

كانت عملية النسخ تجرى بسرعة لتسبق الزمن . مجموعات الزملاء ، تعمل ٢٤ ساعة في اليوم ، هذا يقرأ وآخر يكتب وثالث يراجع . مسئول « الحياة العامة » يدور على المجموعات المختلفة ، يوزع عليهم المساجير ، يرفضون حيناً ويطلبون بدلاً منها ورق « بفرة » وحيناً آخر يقبلون حتى تعينهم على السهر طول الليل . لم تكن في حاجة الى جلسات توعية كذلك التي عقنهما قبل نقلنا من **ليمان طيره الى « جناح »** . ان حماس الزملاء وأقبالهم على اعادة « نسخ » ما لدينا من فكر وثقافة تصد لما يدور في نفوسهم ، انه أقوى من أى كلام يمكن أن يقال في مثل هذه الظروف ، ما الذي يمكن أن يقال لزملاء أعدوا أنفسهم لمواصلة السيرة بعد خروجهم من السجن وهم لا يملكون شيئاً سوى ارادتهم ، وتحديهم لواقع مؤلم وصعب داخل السجن وخارجه ؟ كان دأبهم على هذا العمل المضنى ، كما كانت تعليقاتهم المزوجة بالسخرية ، تصيدا لاصرارهم على **رفض الهزيمة** .

وفي غمرة هذا النشاط الكبير الذى يستعد للحياة الجديدة ، المرونة والمهولة في سجن « **الحارثيق** » تاتبنا انباء انتصار ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق من راديو القاهرة ، وعلان القاهرة بوقوفها الى جانب الثورة ضد أى تدخل اجنبى ، يبعثه **جمال عبدالناصر** من عرض البحر خلال عودته من موسكو . ونلمح بين بعض الزملاء ، تفاؤلاً بإفراج قريب ، وتقرأ بياناً يصدره أقطاب « التنظيم الواحد » الثلاثة ويوقعون عليه بأسمائهم !

ونفصل بمسخرية :

- ليه كده ؟
- وأيه المناسبة ؟
- ليجوا مكانا تحت الشمس .
- وان يجوده كما بتوقعمون .
- ربما كان وراء الشمس .
- لم يتعلموا بعد .
- سيدغون مرة أخرى .
- آه لو كانوا مؤمنين .
- ومن أين ياتيهم الايمان ؟
- ذواتهم فوق كل اعتبار .

- اليوم يمين .
- وهذا يسار .
- كله ماشى .
- وحسب الطلب .

ومرة أخرى يأتينا من زماننا فى الخارج ما مهدد معنويات زملائنا فى السجن . **الأفراج** أقرب مما تتصورون . استعدوا غائمة بأسماء عدد كبير من **الأخوان المؤيدين** .

ونرى تكاسلا فى عملية نسخ الكتب والتقارير . وتتضاعف مسئوليتنا . ولا نجد سوى الحوار معهم حيناً ، والسخرية بما يقوله الزملاء فى الخارج عن الأفراج القريب حيناً آخر . وتجرى الأحداث بسرعة مذهلة نداء شهر « **للمصل** » الذى حسب زملائنا أنه آت لا ريب فيه يرفضه الطرف الآخر ، وتلوح بوادر شهر « **للمصل** » ، ونقول فى التعليقات الساخرة :

- همه كانوا عاوزين غسل أبيض ولا أسود ؟

- مش مهم . . .

- مش مهم ازى . . الأبيض غير الأسود .

- ليه بقى ؟ الأبيض طلو . . والأسود طلو .

- برضه الطعم مختلف . .

- المهم ما يكونش مر .

- وهل يميزون ؟

- انهم لا يبصرون .

- ربما يحسون ؟

- ذواتهم قتلت مصادر أحاسيسهم .

ويعود الزملاء الى حياتهم السابقة فبواصلون عملية نسخ الكتب التى سناخذها معنا الى سجن « **الحاريق** » وينجزون كل ما كلنوا به ويجرى عمل مخفي لها حتى لا تقع عند وصولنا الى سجن « **الحاريق** » . وفى المساء نلمح سيارة المهور تقف على باب السجن الخارجى فى وقت لم نعتده من قبل . ينزل من سيارته ونراه متجها الى حيث يسكن **الأخوان المؤيدين** . بعد مرور بعض الوقت يزف البنا البكبشى **فؤاد جابر** خبير **الأفراج** الصحى عن ١٠٠ من **الأخوان المؤيدين** . جانت الرجل سعيدا ليس لأنه سيخرج من السجن فقط ، وإنما لأنه يرى . .

- ده مقدمة **الأفراج** عنكم . .

- مش بالقرورة .

- ويقول بدمشة .

- ازى بقى . . وانتو اللى خلليتنوا نؤيد الحكومة ؟

- ولسو . .

- • • ونتضاعف دهشته
- مش ممكن • • ده شئ غير منطقي •
- المهم • • ألف ميسروك •
- سأسحب نايبدي للحكومة اذا لم يعرج عنكم •
- يسجنوك معانينا • •
- زى بعضه • •
- موقف منالسى •
- بيل أبسط أنواع الوفاء • •
- أى وطنى خارج السجن • • مكسب للمعركة •
- ساهمتع عن العمل السياسى •
- خطباً كبير • •
- خير من التماون مع من يسجنون اخلص الوطنيين •
- تغلب عواطفك !
- وهل من العقل أن تسجنوا ؟
- عقل الحكام •
- وهل تختلف عن عقولكم ؟
- اختلاف كبير •
- وما مصدره ؟
- الموقف الاجتماعى •
- لكن المعركة ما تزال وطنية •
- يحسبون انهم قادرون على كسبها وحدهم •
- ولماذا وحدهم فقط ؟
- لضمان موقفهم الاجتماعى •
- ربما لا يفرج عنكم أبدا •
- الا اذا اضطروا الى ذلك •
- وما الذى يضطرهم ؟
- ظروف المعركة التى يمكن أن تفرض الوحدة الوطنية •
- فهمت • •
- وماذا بعد أن فهمت ؟
- سأكون من أقوى المطالبين بالوحدة الوطنية •

وفى ساعة متأخرة من الليل يقبم الزملاء احتفالاً يدعون اليه
 الاخوان المسلمين المفرج عنهم ، لكن لا يحضر سوى عدد قليل منهم البكباشى
 فؤاد جاسر ، والصاغ جمال ويصح ، والصاغ احسن حموده ، وسيد الرئيس •
 وفى نهاية الاحتفال تلقى البكباشى فؤاد جاسر كلمة انسانية تتضمن

كل المعانى التي دارت في حوارى معه • وفى اليوم التالى يشهد سجن
« جناح » **بالواحات الخارجة** مساعد انسانية ، قل ان بحث مثلها •
احكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبى •

اول أغسطس ١٩٧٧
القاهرة

الرسالة (٤٠)

حبیبتی

وشهد يوم الادراج عن المسجونين من **الاخوان المسلمين المؤيدين للحكومة الوطنية** موافق اسنابه عميفة اكحت الجوهر الطيب للانصار . كانت قائمة أسماء المخرج عنهم في مساء اليوم السابق نسل كل ضباط الجيش وعددا من المدنيين ، ولم تتضمن أسماء آخرين من **الاخوان المؤيدين** . وظلت هذه المسألة محل تساؤل من **الاخوان المؤيدين** الذين سألهم القائمة والذين لم ترد اسماءهم فيها . مخاوف كبيرة كانت تنغاب الباتين من **المؤيدين** ، ليس فقط لعدم الافراج عنهم ، ولكن بسبب ما سوف يلاؤونه في السجن بعد خروج فباداتهم . فلقد كان الوضع بين **الاخوان المؤيدين** و**الاخوان المعارضين** قد بلغ درجة كبيرة من السوء . ولقد بلغت هذه المخاوف حدا جعلت **الاخوان المخرج** عنهم يفكرون في اللجوء الى جوار زملائهم حتى يفرج عنهم هم الآخرين . واشهد حوارا بين بعض **الاخوان المسلمين المؤيدين** و**المخرج** عنهم وبين مأمور السجن :

- هل تقبل استضافتنا عندك كام يوم ؟
- وتجدر علامات الدهشة على وجه المأمور .
- استضافتكم ! أين ؟
- هنا في السجن .
- وتزداد دهشة المأمور .
- هل اكذب أفنى ؟
- لا تكذبا . . .
- تريدون البقاء في السجن !
- أيوه .
- ولية ؟ مش راح تلاقوا تاكلوا برة ؟
- مش دي المشكلة .
- وهل توجد مشكلة ؟
- أيوه . . اخواننا الذين لم يفرج عنهم بعد .
- ستحل قريبا جدا .
- ننتظر في السجن حتى تحل .

وبصيح المأمور :

- جـد والا هـزار ؟
- منتهى الجـد .
- دى ببنى مسئوليه على .
- ليه بعى .. نحن نريد أن نـسجن بارادتنا .
- لا تملكون ذلك .
- لا تملك أن نسجن أنفسنا ؟
- ولا تملكون الخروج من السجن بارادتكم .
- اذن سنمـس هنا على أبواب السجن .
- ولا تملكون هذا أيضا .
- لماذا ؟ ألم يفرج عنا ؟
- بعد أن اسلمكم فى القاهرة . . افعلوا ما نـسئتم .
- نحن عهدة ؟
- تمام .
- اذن لن نخرج من باب السجن .
- سلكون مضطرا لاستخدام القوة .
- ويتوتر الموقف لحظة .. ويقول المأمور مبتسما . .
- **الأسجن بالقوة . . والافراج بالقوة . .** أيـه رأيكم ؟
- هل يمكن الاتصال بالقاهرة ؟
- للحصول على اذن باستضافتكم ؟ أمر غريب .
- وبضحك واحد من الأخوان :
- وما وجه القـرابة . . ناس عاوزه تنسجن فيها أنه دى ؟
- فيها كـبر . . **قرار جمهورى** .
- وهل الحصول عليه صعب ؟
- جدا . .
- كان سهلا قبل ذلك !
- سانا لا أفهم فى السياسة .
- ويضح الجـميع بالضحك ، بينما يـدى جرس التليفون . يضح.
- المأمور السماعه ويقول مبتسما .
- وصل القرار الجمهورى .
- باعادة سجننا ؟
- **بالافراج عنكم جميعا .**
- يتحلفون ويتبادلون التهانى ويعودون الى خيامهم يطنفون الخبـير
- ويستعدون للسـودة الى الحرية .
- يهـمس قـواد جلسـى الى أنسى :

- ربيع ساعة وأكون عندك .
- ويهمس جمال ربيع :
- فين ملك الصحراء .. أنا عاوزه .
- أظن في خيمته .
- ينادى على فؤاد جاسر ، وأخرج له من الخيمة ونجلس تحت ظيل شجر الشروع الذى زرعه حول كل الخيام . تخرج منه كلمات خجولة :
- الحاجات دى بفسى مش لازمانسى . حاجة بسيطة كده .
- شكرا يا أستاذ مؤاد . .
- والكلام مرس دول .. يعنى برضه .
- ستحتاج الى سند ؟
- لا .. عندى فى البنك .
- فصدى .. ربما تحتاج ركوب ناكسى مثلا .
- عامل حسابى - معايا ثلاثة جنيه .
- وبينما أنا أنادى على مسئول الحياة العامة لاسلمه هذه الخيرات من علب الطعام محفوظة والسكر والشاى والحلوة الطيحية والسجابر ،
- فصلا عن عشرين جنيتها ، أسمع صوت ملك الصحراء . .
- أنت فين يا أستاذ فؤاد .. أنا دايع عليك ؟
- أنا أهو يا ملك الصحراء .. كان لازم امر عليك .
- فافسى لمدة ساعة . .
- ثلاث ساعات يا ملك .. أنت عارف .
- طيب بينا على « الاتيلية » .. معايا يا درش .
- نقعد هنا .. فى الضلة دى .
- لا فى الاتيلية .. عاوز أرسمك . .
- حقيقى يا وليم ؟
- وينهض لمعاقته فى حب وأخوة .. وفى خيمة وليم نجد كل شىء
- معدا للرسم ، بجلس فؤاد جاسر على كرسي ويبدأ ملك الصحراء يضع خطوطه الأولى . يقول فؤاد ضاحكا .
- طيب ما أنا رايح لهم بنفسى يا ملك . .
- وماله .. أصل وصورة .
- وطبعما الصورة أحسن .
- المقارنة بين صورة وأخرى .. وليس بين الأصل والصورة .
- وما هى مقاييس المقارنة ؟
- قدرة الفنان على ان يقول ما يحس به . .
- وهل تختلف بين فنان وآخر ؟

- طبعاً • • ما أراه أنا قد لا يراه غيرى • •
- مثلاً • •
- فنان يفوض فى الأعماق الإنسانية • • وآخر يستهوية الشكل الخارجى •
- ويضحك فؤاد ويقول :
- وطبعاً أنا شكلى الخارجى • • الحمد لله • •
- شكلك الخارجى يجسد ما فى داخلك • •
- ويضحك بالضحك • •
- يا ساتر • • حرلم عليك يا ملك • • أنا باشوف نفسى فى المرآية • •
- لما تشوف الصورة راح تغير رأيك •
- وبدخل الصاغ جمال ويبيع تسبقه رائحة « البارفان » النفاذة ، ويرتدى اللبلة « الملكى » ، آخر أناقة ، يحيينسا ويقول مزجها حنينه إلى فؤاد جاسر :
- مش كان أحسن تلبس اللبلة يا فؤاد • •
- ويرد الملك :
- ما كنتش راح أرسمه •
- يعنى مش راح ترسمنى يا ملك •
- ما أنا رسمك ثلاث صور •
- كانت بهدوم السجن •
- ويقول وليم صاحكًا :
- واحدة منهم بالروب •
- كانت هاييلة • •
- أبدا • • كانت وحشة • • أوحش صورة رسمتها •
- ويضحك جمال • •
- كل ده بسبب الروب • •
- أنا ما أحبش الأرواب والا البدل « الملكى » ،
- ألبس بليلة « جمهورى » ،
- ما أنت خلعتها خلاص • •
- ويضحك الجميع بالضحك • ويقول جمال ويبيع :
- وحياتك يا ملك • • صورة كده سريمه •
- فوتوماتون ؟ • •
- حتى ولو بالقلم الرصاص • •
- بشرط • • الوجه بس •
- ونضح بالضحك مره أخرى ، وتتوالى التمليقات •
- يا خسارة التقيامة دى كلها •

- طلب ياتزة انجاكتة وعتدة الكرافنة .
- لو بالالوان كان ممكن .
- الظل والنور يقنى عن اللون .
- المهم تبغى الصورة مختلفة .
- وايه وجه الاختلاف ؟
- صورة مسجون . . وصورة مفرج عنه .
- تعبيرات الوجهه .
- ويتدخل ملك الصحراء قائلا . .
- اذا كان كده مس راح ارسوم .
- وينزعج جمال ربيع . ويقول .
- لييه يا ملك ؟
- مش سأيف اى فسرقي .
- ازاي بغى ؟ دى مسأله مهمه قوى . .
- تبقي تنتظر كام يوم لغاية ما أشوف الفرق .
- يا ملك بلاش هزار . . مفيش وقت .
- استنى شويه . . يمكن أنوف حاجة استحق ارسومها .
- الله يمامحك . . مش لافى حاجة فيه تستحق ترسمها ؟ . .
- انت فاهم تصدى ؟
- طبعا . . طبعا . . اماننا وقت .
- أكثر من ساعة لم يتحرك خلالها فؤاد جاسر من جلسته .
- يهمس قائلا :
- نشرب سيجارة يا ملك .
- وفنجان قهوة « قشطة اليمن » .
- قهوة « فلاحين » ولا « متقنين » يا ملك .
- كلك نظري درس . .
- قهوة « فلاحين » طبعا .
- تبقي بتحب الاستاذ فؤاد جاسر .
- ويضحك ولیم وأضحك ويصبح فؤاد جاسر .
- آيه الحكاية . . فهمونى علشان أضحك ممالك .
- أقوم باعداد قهوة « الفلاحين » بكل ما يلزمها من طقموس ، وأشرح لفؤاد الحكاية ، وجلس ولیم اسحق يتأمل الصورة التى أوشك على الانتهاء منها . تعبيرات وجهه تسدل على رضائه عنها ، وهو ناعدا ما يرضى عن صورة يرسمها . أقول لولیم :
- أسرع صورة ترسمها يا ملك .

ويقول بألسنى :

— وربما آخر صورة !

ويقول فؤاد جاسر بصوته الودود :

— ربنا بيحك طولة العمر يا ملك .

ويرد بألسنى :

— مين عارف راح ارسوم فى سجن « المحارق » والا لا . .

وأقول منسجما :

— لن ننوقف عن الرسم يا وليم . . شن .

ويرد بسخرية مزيرة :

— أدق فى عقله التاريخ . . مش كده ؟

ونسود لحظة صمت قطعها نبرات صوت وأصم بحمل الأسف

— متأسف يا درس . . انت مش نافض هموم .

— وأنت جزء هام من همومى يا وليم .

— ما هو علشان كده . . كان لازم الم لسانى :

وأقول ضاحكا . .

— طب لم صورة فؤاد بقى .

ويمود الى فرسانته والوانه . . تعبيرات الأسف ما تزال على وجهه .

الفرشاه تهتز فى يده قليلا . . بتزلها مرتنفس رشفة قهوة . وأقول

ضاحكا . .

— قهوة « فلاحين » اكسير الحياه .

يمود الى فرسانته ويمسكها بحيوبه ويمزج على « البالنسا » عددا من

الألوان ، يضعها فى اللوحة ويقول :

— سوف يا درس . . عيذك نبيها سبه كبير من عفين فؤاد . .

— وأيه اللى بيجمع بينهم يا وليم . .

— سحق الانسنان .

ونسلم أصوات تنادى على فؤاد جاسر . حان الوقت لسفر المخرج عنهم .

فؤاد لا يتحرك من مكانه ويظل جالسا فى صمت ووليم يواصل الرسم

بهدهو ، وحوار سريع يدور بين تعبيرات تجسدها اللحظة على وجه

فؤاد ولتقطها روح الفنان لتضعها ريشته فى الصورة .

— أحسن صورة رسمتها فى حياتى .

وينهض فؤاد جاسر من جلسته وبعانق وليم اسحق ، يقبله والتموع

تجرى على خدوده . وأرى فؤاد يبذل جهدا خارقا للتغلب على انفعالاته ،

وأقول ضاحكا :

— خد بالك يا فؤاد الألوان لسه طرية . .

وبصوبة شديدة نسحب فؤاد جاسر خارج خيمة وليم اسحق كسى

يذهب الى خبخته ليرمدى ملابسه « الكسى » وبأخذ حاجياته ، فمركب

ألفرج عنهم قد أوشك على التحرك •
وعند باب السجن يتجمع كل الزملاء ليودعوا اخواننا لهم دخلوا
السجن وهم مختلفون معهم في كل شيء ، وخرجوا منه وقد انفقوا على
شيء واحد ولكنه أساسى وجوهرى ، مساندة الحكم الوطنى بقيادة
جمال عبدالناصر ، من اجل مصر أم جميع الوطنيين ، وحبية كل
الشرفاء •

وخارج أسوار السجن ، بالقرب منها ، تشهد صحراء اللوحات الخارجة ،
ما لم تشهده أبدا عبر الأزمان والعصور • صورة عتد من الإخوان
المسلمين يعانقون ، ثم ، ود ومحبة من يختلفون معهم فى الفكر ، ويجمعهم
حب مصر •

منى تشهد القاهرة هذه الصورة ؟ متى ؟ • بل منى يشهد الوطن
العربى كله هذه الصورة ؟ متى ؟ •
ونتحرك العربات تحملهم الى الحرية ! وتعود الينا بعد أيام قليلة كى
تحلنا الى سجن الحارثى ! •
اكتب اليك رسالتى المقبلة وأنا فى الطريق اليه يا حبيبتى •

٢ أغسطس ١٩٧٧
القاهرة

تم الجزء الأول

الجزء الثاني « تحت الطبع »

رقم الإيداع ٧٨/٤٥٩٤

الترقيم الدولي ٧ - ٥٨ - ٧٢٠٠

« دار الطباعة الحديثة »

اول شارع الجيش - تليفون ٩٠٨٣١٨
القاهرة

عن الكتاب

نصفي المؤلف الذي نشر هنا في سجون وإيمانات ومكتبات الحكومة المصرية ، وجمهورية مصر ، والجمهورية العربية المتحدة ، وبعد خسروجه ثل سنوات أخرى يتأمل بنص أحداث جيله ٠٠٠ وفي لحظة صدق مع نفسه سجل هذه للندوة الفنية .

إن رحلة المؤلف في سجون مصر كما سجلها في هذا الكتاب لم تكن رحلة ضد على أحد . ولم تكن رحلة انتقام بالكلمات من السجائين . لأن السجائين ببساطة مطعون يهتدون في اللحظة التي يغفلون فيها هذا الفصل .

إن رحلة هذا الكتاب تؤكد أن سؤال الإنسان عن حقه في الحب أمر طبيعي . وإن فهم الإنسان لطروف مجتمعه أمر صاعى جداً حتى وإن كان غاملاً للذين .

والكتاب قد يبدو في ظاهره مجرد رحلة في السجون السياسية . لكنه في أمثاله رحلة للسان يبحث عن حقه الطبيعي في الحرية والحب . إنه رحلة الإصرار على الحق التي تجعل للطلاب الذي يفرغهم السجناء مصر طاعة جديدة وينبذ بها الإنسان أيام المستقبل .

حاول أن تنهم حقه في حب الحياة والناس بأن تقرأ هذا الكتاب أكثر من مرة .

الناشر